

لمواقع الملك عبد العزيز الحربية

دراسات ميدانية تطبيقية

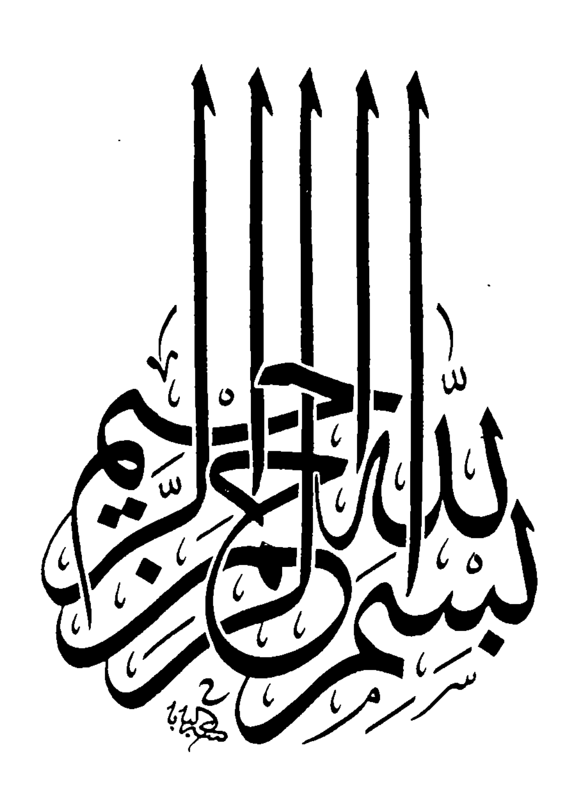
الجزء الأول

تأليف

عمر بن غرامه العمروي

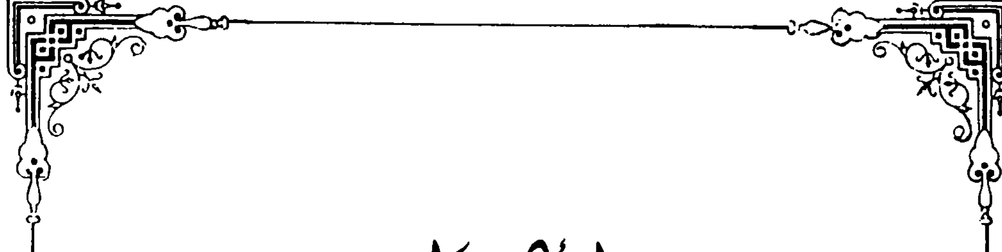
طبع بموافقة
المديرية العامة للمطبوعات
بوزارة الاعلام
رقم ٣٦٧٤ وتاريخ ١٤٠٥/٨/١٩هـ

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م


بسم الله الرحمن الرحيم




بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلى أبناء وطني الكبير - المملكة العربية السعودية - أهدي إليكم جميعاً هذا الكتاب ..
لتعلموا جميعاً أن هذا الأمن والاستقرار والرخاء ورغد العيش، وتحكيم شرع الله بين عباده .

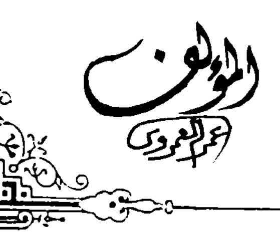
أوجده في هذه المملكة، المترامية الأطراف بفضل الله الواحد الحق المعبود، ثم بفضل جهاد وكفاح ونضال، الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

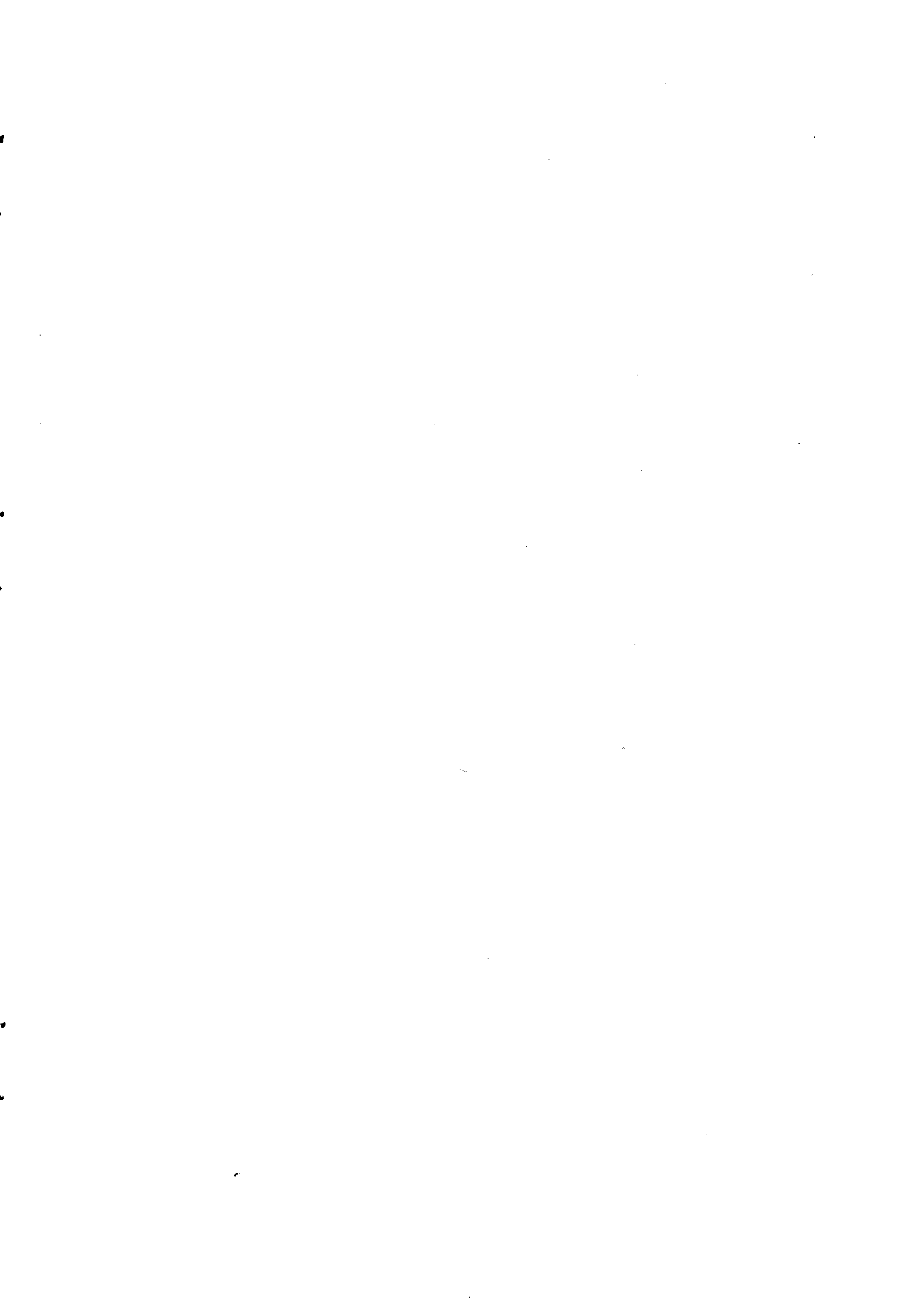
الذي سهر الليالي، وصبر على الشدائد، وصمد في وجوه الأعداء، وذلل الصعاب وقاسى من الآلام ما الله به عليم .

حتى أعاد للحرمين حرمتها، وقضى على السلب والنهب والاقتتال، وحكّم شرع الله الواحد الديان، بين عباده كما شرعه الله، وأرسى قواعد الأمن والاستقرار .

ومع ذلك القائد العظيم، رجال أوفياء، وهبوا أنفسهم له جنوداً مخلصين وآزروه وناصروه وعاهدوا الله على ذلك، ورفعوا راية التوحيد عالية خفاقة .

ثم ورث ذلك أبناء الملك الغر الميامين، الذين أكملوا المسيرة الخيّرة، فكانوا خير خلف لخير سلف .





«بسم الله الرحمن الرحيم»

الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض، يؤتي الملك لمن يشاء و ينزع الملك ممن يشاء ، و يعز من يشاء و يذل من يشاء، بيده الخير إنه على كل شيء قدير.

والصلاة والسلام على رسوله البشير النذير، نبينا محمد وعلى وآله وأصحابه وسلم.

أما بعد :

فانه ليس من اليسير على الباحث في سير القادة والأبطال، الذين خلد التاريخ ذكرهم أن يحصى كل مآثرهم، وأن يتفقد أخبارهم، و يتتبع الأحداث التي مروا بها ومرت بهم.

انما حسبه أن يلقى الضوء على حياة ذلك القائد أو البطل الذي سيتحدث عنه.

فينبىء عن الجوانب الهامة من سيرته و يظهر لأرباب القلم والفكر ماتوصل إليه من أوصافه، ليوقف الباحثين في التاريخ عن الرجال العظماء على جلية أمرهم، وعلى ماتعرضوا له من المآسى التي كانت بمثابة صقل لعقولهم وأجسامهم.

وكانت نافذة إلى العالم عرفوا عن طريقها قوة احتمال هؤلاء الرجال العظماء، وصبرهم وجلدهم في مواجهة الأحداث ومواكبة الأمم والأقوام في حياتهم الخاصة والعامة

ومادام الأمر كذلك فاننى حينما كنت ضمن لجنة تاريخ الملك عبدالعزيز العسكرى في وزارة الدفاع والطيران، وفيما قبل عام ١٣٩٨هـ، وقد قامت اللجنة بجمع ما استطاعت من تاريخ الملك عبدالعزيز (رحمه الله).

كنت قد نظرت فإذا المادة المدونة غير كافية في حق مثل ذلك الملك الأبي، سواء مما ألف سابقاً أو مما جمعته اللجنة، ولا أقول أن من سبقوني في كتابة تاريخ الملك عبدالعزيز لم يكتبوه بحقيقته أو بكماله حاشا لله فهم السابقون ولهم شرف الأولوية في ذلك.

لكني بعد أن وفقت على جميع مواقع المعارك، وشاهدت تضاريسها الطبيعية، وعلمت كيف كانت في ذلك العهد عهد الجهاد والنضال، وجدت ذلك جديرا بالدراسة والبيان.

فاستأذنت اللجنة في تأليف كتاب عن المعالم الجغرافية والتاريخية لتلك المواقع، فوافقوني وأيدوني فكان تأييدهم لي ـــ بعد الله خير معين.

ولا أقول أنني أجدر ممن كتبوا في هذا المجال، ولكن مما حضرني وسمعته من الرواه وشاهدته على الطبيعه كتبت كتابي هذا ولابد أن يظهر فيه الخلاف، لكني تحريت الحقائق بقدر ما استطعت وصدق الله العظيم حيث قال :

(... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيْهِ اخْتِلافاً كثيراً) [1] .

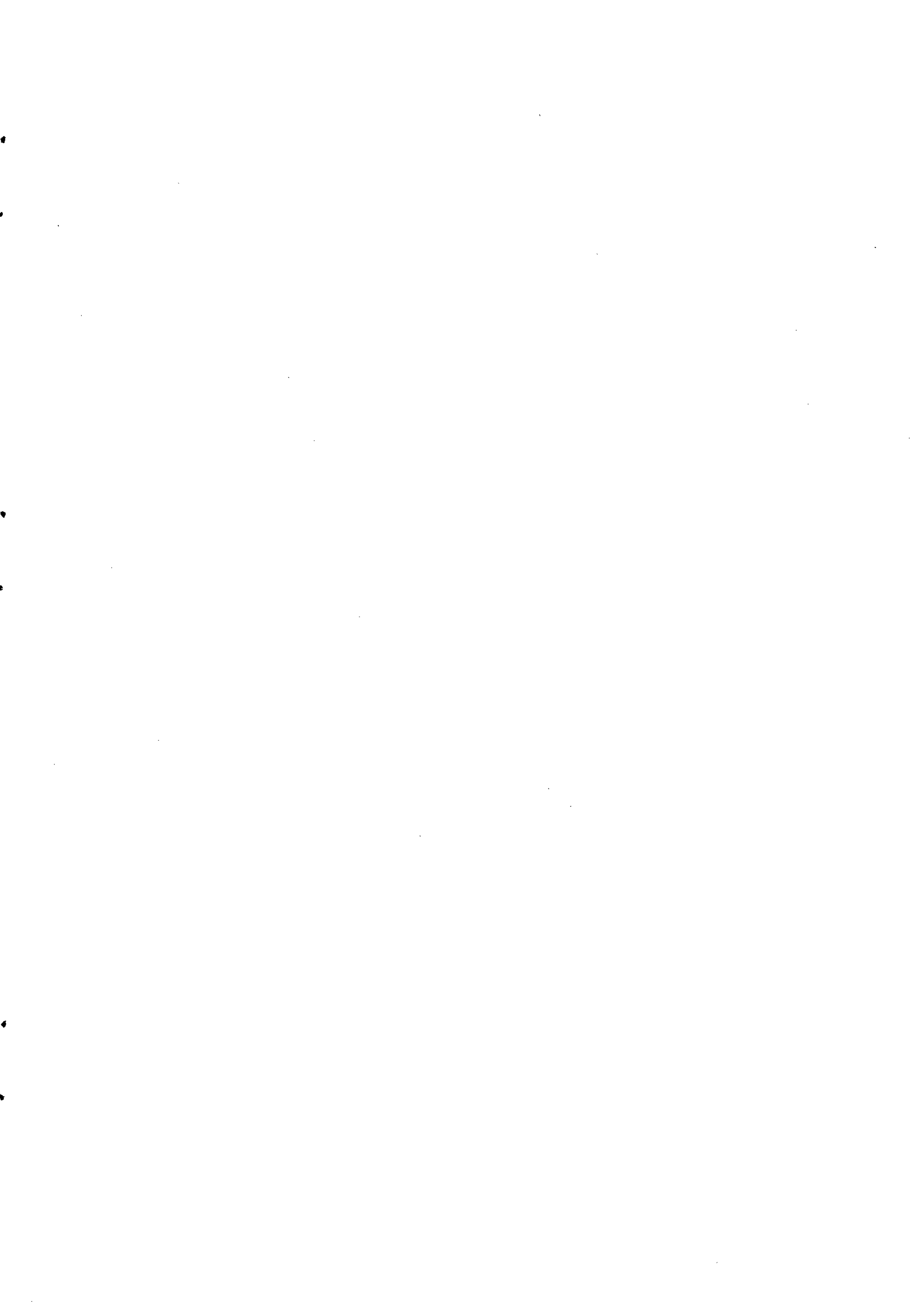
فبدأت باسم الله فهو المعين، وكتبت أول صفحات هذا الكتاب في العشرين من شهر رمضان سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية، وما كان عملي هذا إلا مساهمة عن رغبة جادة بعد أن وقفت على المواقع وطبقت الروايات مرارا، وذلك لبيان الجوانب الهامه في سيرة ذلك الملك السياسى الشجاع العظيم، الذي كان كل شيء فيه يشهد على عظمة خلقه الكريم، ذي الدهاء والحنكة والمكانة السامية، والعقل الراجح والقلب الكبير

(١) الآية: ٨٢ من سورة النساء.

والـنـفـس الأبية والهمة العالية، والتواضع الجم والسخاء، وكان مضرب المثل في الحـلـم والـذكـاء، المـلك الذي جاهد لاعلاء كلمة الله فأحيا السنة وقمع الـفـتـنـة، وأوجـد الأمن والرخاء والاستقرار، وقضى على الفوضى والتخريب والاغترار، وأمر بنشر الدين واقامة شعائره جماعة، وقضى على الجهل والتخلف والمجـاعـة، وحـكـم كـتـاب الله وسـنـة رسـولـه (صلى الله عليه وسلم)، وأقام حـدوده فـي أهـل الـزيـغ والفساد والطماعة، وألف بين سكان هذه الجزيرة (بإذن الله) فأصبحوا بحمد الله اسرة واحدة.

فـالـسـائرون عبر جبالها وهضابها وسهولها ورمالها آمنون، والساكنون مثلهم أو يزيدون.

(فـنـسـأل الله الـرحمـن الـرحيم، أن يجـعـلـه من ورثة جنات النعيم، انه هو الجواد الكريم، (وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين).



منهجي في تأليف الكتاب

قمت بجمع الروايات من الرواه، وعددهم أحد عشر راو يا، ثم قابلتها مع بعضها البعض، ثم قمت بتنسيقها على الصورة التي رأيت أن يكون الكتاب عليها.

وكنت أرجو أن أجعل في أول هذا الكتاب أو في آخره فصلا يبين تراجم الرواه لكنهم رفضوا، بل وكان من الشروط التي اتفقنا عليها أن لا أبيح بذكر شيء عنهم حتى عن اسمائهم إلا ثلاثة منهم، فإنهم قالوا لابأس بذكر أسمائنا فقط هم :

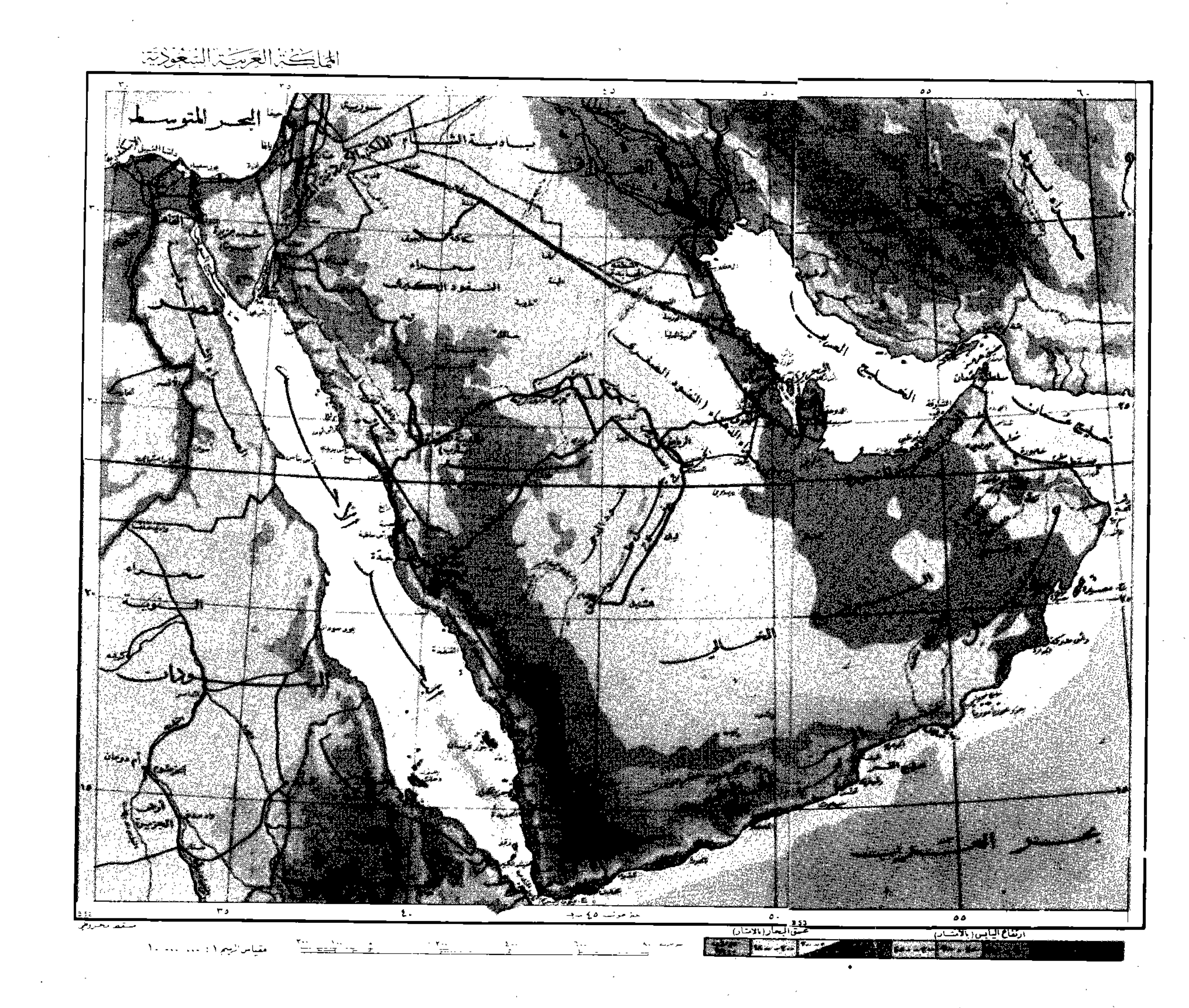
فضيلة الشيخ/ صالح بن سليمان بن سحمان الخثعمى المتوف في ١٤٠٣/١٠/٢٦هـ (رحمه الله)، والشيخ/ عياد بن نهير الشمرى،المعروف بـــ(صاحب الاجفر) المقيم حاليا بالطائف...، والشيخ/ علي بن زيد الشريف المقيم بالمثناة بالطائف حاليا.

ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (المسلمون علي شروطهم) [١] لذكرت الباقين.

وكل هؤلاء الرواة مسنون متقنون موثقون. منهم سبعة هم وأباؤهم من الموالين لآل سعود منذ القدم، واربعة كانوا من المعادين لابن سعود حتى فتح بلادهم، و بعد أن بسط يده عليهم أصبحوا من قادة جنده الأوفياء.

---

(١) أخرجه ابو داود في الأقضية حديث ٣٥٩٤ واللفظ له واخرجه الربيع بن حسين في مسنده حديث ٥٩٦.


المملكة العربية السعودية
البحر المتوسط
بحر العرب
مقياس الرسم ١ : ١٠٠٠٠٠٠٠
عمق البحار (بالأمتار)
ارتفاع اليابس (بالأمتار)

الملك عبد العزيز

اسمه ونسبه :

هو : عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد ابن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن مانع من قبيلة عنزة المشهورة.

أمه ومولده :

أمه : هى ساره بنت أحمد السديري وكانت امرأة صابرة ذات عقل ودين وصلاح (رحمها الله).

مولده : ولد عبدالعزيز في النصف الثاني من شهر ذى الحجة سنة ١٢٩٣هـ.

نشأته وتعليمه :

نشأ عبدالعزيز في حجر أبويه نشأة صالحة فقد أحسن أبواه تربيته.

علمه الأوَّليّ : عهد به والده إلى عدد من العلماء فتعلم القراءة والكتابة وقرأ القرآن والتوحيد، بأصوله الثلاثة وقواعده الأربع، ثم سار يحضر حلقات الفقه، والحديث، والنحو وما وصلت سنه الحادية عشرة حتى أصبح ملما بكافة العلوم الشرعية.

علمه الفروسيّ: وعندما بلغ السابعة من عمره، علمه أبوه ركوب الخيل، والابل، كما علمه الرماية وقلده البندقية والسنان والملاعبة بالسيف، وما أن وصل عمره العاشرة حتى أتقن الفروسية تماماً.

علمه السياسي : كان أبوه يستصحبه في أسفاره وزياراته للأمراء وكبار السن ويأمره بحضور مجالس كبار السن ممن لهم باع طويل في رواية قصص الفروسية، وفي سن الحادية عشرة، خرج به والده إلى قطر وبعد أن استضافهم آل ثاني حاكم قطر لفترة قصيرة غادروه إلى آل عيسى حكام البحرين، ثم إلى الكويت حيث أقاموا.

وكان والده يعلم ابنه عبدالعزيز، حسن الرواية، كما كان يأمره بحضور مجالس القوم، ومجلس آبائه، ويأمره باستماع ما يدور في تلك المجالس من الحكايات، والأخبار، ويستصحبه في مجالس الأمراء والعلماء، فإذا ما انتهى المجلس، أخذ الإمام عبدالرحمن، يسأل ابنه عبدالعزيز ماذا سمعت، وما رأيك؟ ولو كنت كبير من في المجلس ماذا كنت فعلت فيما عرض عليك من قصة وشعر ونثر؟ فكان عبدالعزيز يقول:

كنت فعلت كذا، وقد كرهت كذا، وقد أعجبت بكذا، فمن ذلك علمه والده الحنكة السياسية في مخاطبة الناس وقبول ما يعرضونه عليه، والتعامل بكافة جوانبه، فأصبح عبدالعزيز الشاب السياسي الألمعي القدير على تحمل المشاق، والسيطرة عليها دون شكوى أو ملل.

علمه الشرعي :

قال ابن سحمان: علمت من الملك عبدالعزيز أنه يحفظ أجزاء من القرآن، ويحفظ الرحبية في الفرائض، وتعلم زاد المستقنع في الفقه، ويحفظ من كتب الحديث الأربعين النووية، وبلوغ المرام، وكان يحب قراءة البداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الرسل والملوك للطبري، والسيرة لابن هشام، والمغنى والشرح الكبير، والانصاف، وتفسير ابن كثير والبغوي، وكان يحب من الشعر ماتميز منه بالطابع الإسلامي والنصائح.

تقواه وعبادته :

كان من أشد الناس محافظة في أداء الصلوات في المسجد مع جماعة المسلمين، وكان يكثر من صلاة التطوع لاسيما في الليل، و يكثر من قراءة القرآن والدعاء حتى أنه كلف كاتبه بتدو ين ما اختاره من الآيات والأحاديث النبو ية الواردة في الحث على الدعاء في كتيب أسماه (الورد المصفى المختار ــ من كلام الله تعالى وكلام سيد الأبرار) يقع في (١٠٢) صفحة من الحجم الصغير وقد طبع ثلاثين طبعه وفيه من الآيات والأحاديث، ومما كان السلف الصالح يعملون به مما يشفي و يكفي عن غيره مما ألف في هذا الشأن، وقد بدأه بفاتحة الكتاب وختمه بدعاء :

(اللهم أني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها).

تواضعه :

كان عبدالعزيز تقياً ورعاً زاهداً حليماً عابداً كريماً حنوناً متواضعاً، وكان يكره التملق والمدح وكثرة الكلام، وكثرة الضحك ويحب العلم والعلماء، والقراءة والرواية الحسنة.

فراســـته :

كان عبدالعزيز من قوة فراسته يعلم حال الرجل الماثل أمامه : صدقه وكذبه كما كان يعلم حال المختصمين، ومن صاحب الحق فيهما؛ كما كان يميز الاخلاص في الرجل من الخيانة.

وما ذاك إلا مما حباه الله من الكرامات والنفحات الربانية، فهو بصدق الإيمان واخلاص النية ورسوخ العقيدة وقوة العزيمة والاستقامه لله (سبحانه

وتعالى)، ولما كانت هذه صفاته فأكرمه الله ووفقه وأعانه وأنار له بصيرته، فأصبح يرى بنور من الله سبحانه.

وقد كان عبدالعزيز صابراً مثابراً مؤمناً بالقدر: خيره وشره ثقته بالله قوية في كل خطوة يخطوها، وفي كل أمر يريد تنفيذه، له من المزايا والسمات والمحاسن مايفوق الكتابة ويعجز الكتاب عن تدوينه وترتيبه، ولا شك أن أمر عبدالعزيز كله خير وكله عجب وكله جديد، وأن الله قد اختاره لتوحيد هذه القارة الهائمة في بحور الظلمات والجهالات، وقد وصفه سماحة الشيخ سليمان بن سحمان الخثعمي فقال:

فتى حسنت أخلاقه فتألقت ... وغنت به الركبان فوق الجُلاَعِد[1]

فتى دمس سهل الجناب مهذب ... ولكنه صعب المقاد لكائد

سيرته اليومية :

فأما سيرته اليومية ــ في حالة السلم سواء كان في الحجاز أو في نجد هي:

يستيقظ من منامه قبيل الفجر بساعة فيتوضأ ويقوم فيصلى متهجدا حتى وقت صلاة الصبح، ثم يتوجه إلى المسجد فيصلى مع الجماعة، ثم يعود إلى منزله فيدخل مكتبته الخاصة فيقرأ من القرآن ومن السنة حتى تطلع الشمس، فيقوم فيصلى ركعتين، ثم يذهب فيدخل حجرته الخاصة فيتناول طعام الافطار مع من هم معه من الأولاد في القصر.

---

(١) الجلاعد: جمع مفردها : جَلْعد. وهو الجمل الشديد السريع.

ثم يقوم بالاطلاع على بعض أعمال الدولة حتى بداية ساعة الدوام الرسمى، وكان يومئذ يوافق في وقتنا الحاضر الساعة الثامنة صباحاً.

ثم يغادر إلى الديوان الملكي فتعرض عليه البرقيات الواردة من أنحاء المملكة فيرد عليها بنفسه فإذا أكمل ذلك، قام إلى مكتب آخر فيستقبل رؤساء الديوان و يتبادل معهم الأحاديث ثم ينتقل إلى صالة الاستقبال العامة، وفيها يستقبل شيوخ القبائل والوافدين عليه، والزائرين من خارج البلاد فاذا قضى حوائجهم انتقل إلى مكتب خاص يعرض عليه فيه أخبار العالم الخارجي، فإذا حل الظهر غادره إلى القصر فيؤدى الصلاة مع الجماعة و يدخل قصره فيتناول طعام الغداء مع أولاده لاسيما صغار السن منهم.

و بعد تناول القهوة والشاى يقوم بالاطلاع على ماوصل به البريد من خطابات ومعاملات وتقارير خاصة وعامة.

ثم يقوم فيؤدي صلاة العصر مع الجماعة، ثم يعود إلى مجلسه العام فيستقبل أولاده وبنى اعمامه واحفاده، وسائر أمراء آل سعود، و بعد ساعة من اللقاء يغادر القصر للنزهه بالسيارة فيصلى المغرب في المكان الذي تنزه فيه، ثم يعود فيتناول طعام العشاء بعد صلاة المغرب، ثم يؤدي صلاة العشاء، ثم يعود إلى مجلس خاص فيه نساؤه وفيه يستقبل نساء آل سعود و يقضى لهن ما عرضن عليه من مشاكلهن وطلباتهن عدا ليلة الجمعة فإنه لايكون من ذلك شيء.

بل أنه بعد صلاة العصر يجلس للمستشارين وبعض الأمراء حتى صلاة المغرب، فإذا أدوا الصلاة ذهبوا إلى مجلسه العام فيقوم أحد المشائخ بالقراءة من القرآن، ثم من السنة وكتب الفقه والتفسير.

وكان ينام بعد صلاة العشاء بساعتين.

وكان له ساعة يخصصها للعلماء في صباح يوم الخميس من كل اسبوع ليلتقى بهم فيباحثهم في كل ما يلزم من المسائل الشرعية، وهذا النظام المتقدم ذكره آنفا، هو نظامه سواء في مكة أو الرياض.

سيرته الحربيـــة :

أما عن سيرته الحربية، فأقول أن كل محتويات هذا الكتاب هي من أبرز سيره العسكرية.

وكان يبدؤها بالصلاة إن وافقت صلاة فرضية، فإن لم تكن فرضية صلى صلاة الاستخاره، وهى أغلب صلواته قبل بدء المعركة.

وكان الوقت المناسب له في هجومه على أعدائه هو ماقبل الفجر بساعه أو ساعتين، فأقل فأكثر.

ومما نسب عنه أنه غرف التراب بيده، ثم رفعه إلى أعلى، ثم حصم به في وجه الأخوان البغاة، وذلك في معركة السَّبَلَة.

عبقريتـــــــه :

أن لعبدالعزيز عبقريات عديدة منها :

عبقريته الشخصية : فكان ذا فطرة إسلامية صحيحة، وعقيدة راسخة قوية بعيد النظر، رقيق المشاعر مرهف الاحساس، فعالا للخير، حريصاً على الجمع والإئتلاف، محارباً للفرقة والإختلاف، يدعو إلى التضامن الإسلامي دائماً، ويحرص على تحقيق النفع العام.

عبقريته العسكرية : كان ذا بصيرة وخبرة حربية فنية، تجود بهما قريحة ملهمة من الخالق (تبارك وتعالى)، فكان يصيب في اختيار جنده سواء من حملة البنادق، أو السيوف، أو الرماح، أو من الخيالة، أو المشاة، وكان يسدد ضرباته إلى عدوه بإحكام ونجاح.

قال الراوي[1]:

«أنه كان يقدم ويؤخر في القوات أثناء الاشتباك من مكان إلى مكان فتراه يسحب الخيالة من الميسرة إلى الميمنة، والمشاه من الميمنة إلى الميسرة، وكأنه يرتبها في ميدان تدريب عادى.

وكان هو المشرف المباشر على مطالب القوات وامدادها بالمخططات والسلاح والعتاد الحربي، وكان هو أول من يخرج اذا بدأت الغارة الحربية» ا.هـ.

وكان يصبر على الشدائد وعلى الهزيمة اذا حصلت له لايجزع، ولا يصخب، ولايشتم، بل تراه مرحاً متفائلاً ملىء الصدر بالآمال يردد قوله تعالى: **(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا..)** [2].

ومن أبرز عبقرياته العسكرية : مافعله في معركة كنزان فحينما اصيب اصابة بالغة، تدلت امعاؤه مع جنبه فتراه يردها ويضع الحزام عليها ولم يوهن ذلك من عزمه وقوته ولم تمنعه الآلام والدماء عن الحركة والنضال بل زادته قوة على قوة أيضاً ولم يفتر عزمه بموت أخيه وقواته بل صبر وفي المساء عندما عاد إلى الكويت أمر بضرب الطبول، واقامة العرضة النجدية، وأمر باعلان زواجه.

---

(١) الشيخ/ عياد بن نهير الشمري

(٢) الآية: ٥١ من سورة التوبة.

فبعبقريته تلك هزم العجمان هزيمة نفسية وولوا على أثرها هرباً إلى الكويت.

فأيُّ قائد سواء من المتقدمين أو المتأخرين عمل مثل ذلك.

بره بوالديه :

كان الملك باراً بوالديه فلا ينام ليلاً حتى يودعهما واذا أصبح أتاها، فسلم عليهما وقبلهما في الرأس واليد، ويبادلهما المحبة، ويخاطبهما بلين وعطف، وكان لايقدم على عمل إلا بعد أن يعرضه على والده، ولايهم بفعل شيء حتى يستشيره فيه، واذا أراد الخروج من الرياض أتى إلى والده فيطلبه أن يدعو له بالتوفيق والنجاح وأن يسدد خطاه إلى مايرضي ربه عنه.

فبذلك كان النصر حليفه في كل أعماله وما ذلك إلا لما يعلمه في حق الوالدين، ومن قوله تعالى: **(...فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة...)**[1] .

وقوله صلى الله عليه وسلم **«رضى الله في رضى الوالدين ــ وسخط الله في سخط الوالدين»**[2]، وقال الخطيب في كتابه (الإمام العادل) عن بر الملك عبدالعزيز بوالده :

«عندما قصد الإمام عبدالرحمن المسجد الحرام يوما وكان مريضا فبادر جلالة الملك وحمله على كتفيه من باب السلام ودخل به إلى حيث مصلاه، ولم ير في ذلك غضاضه عليه، بل لم يشأ أن يتولى أحد الخدم والعبيد حمل

(١) الأيتان: ٢٣، ٢٤ من سورة الإسراء.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ج٤/١٥٢ والبخاري في الأدب المفرد ٣ والترمذي حديث ١٨٩٦.

والـده عـنـه وهـو مـوجود، وما ذلك إلا أنه أراد أن يظفر برضا الله واكتساب ثـوابـه فـي شـخـص والـده من جهة، وليلقى على ابناء شعبه درساً عملياً في طاعة الله و بر الوالدين»[1] . ا هـ.

ومن ذلك تعلم ابناؤه، فكانوا يعاملونه كما كان يعامل والده فنحن نراهم يـضـربـون لـنـا ولـلـنـاس أروع المـثل في حسن الأدب والأخلاق السامية في احـتـرام بعضهم بعضا وعطف كبيرهم على صغيرهم وتوقير صغيرهم لكبيرهم حتى وان كان من ابناء أخوانهم، وكان الولد أكبر من عمه، نرى عمه يوقره و يقدمه عليه في الطريق وفي المجلس وفي كل شيء.

تربيته لأولاده :

كـان عـبـدالـعزيز يحرص كثيراً على نشأة أولاده وتربيتهم تربية إسلامية صـحـيـحـه مستمدة من الكتاب والسنة، وكان يحرص على تفقههم في دينهم وكـان انجـالـه يـقـيـمون معه إلى أن يتزوجوا، وعندما يتزوج الواحد منهم فإنه يستقل في بيت خاص كما كان يحثهم على الزواج في سن مبكر.

وكـان يقدر صرفتهم ومرتباتهم حسب أعمارهم بلا تفريق ولا تميز وكان جـلالـة المـلـك عـبـدالـعزيز يحرص بشده على غرس روح الفروسية في أبنائه وأحـفـاده فـكان يخصص لهم من حاشيته رجالاً لهم الخبره الطويله باخلاص وامـانـه، فيقومون بتعليم ابنائه وأحفاده ركوب الخيل والرماية ويجعل للمتفوقين منهـم جـوائـز، كما كان يمنح المتفوقين في الدراسة هدايا مالية وعينية تشجيعاً لهـم. وممـن عـلـم ابناؤه من العلماء إمام وخطيب الحرم الشيخ عبدالله خياط، والشيخ السنارى والشيخ العربي.

---

(١) ج٢/ ٤٩.

أعماله الاصلاحيـــه :

لاشك أن الملك عبدالعزيز كان مصلحاً وله أعمال اصلاحية وخيرية شتى، بل أن له دعوة اصلاحية غفل عنها أكثر المؤلفون أما من كتب فقد كتب شيئاً قليلاً منها.

ولقد قمت بحمد الله بتأليف كتاب (دعوة الملك عبدالعزيز الاصلاحية ــ بعد توحيد الجزيرة العربية ــ بينت فيه كل الجوانب الاصلاحية والأعمال الخيريه، وكما هو معلوم عند الجميع أن الملك عبدالعزيز رفع راية الإسلام عاليه ونصر الله به الإسلام بفضل الله سبحانه، ثم بفضل ذلك الملك نشأنا في أمن وامان، وسلامة واسلام، ورغد من العيش والطمأنينة، وكفاية من العلم، فالعلم للجميع والصحة للجميع والأمن للجميع والدستور هو القرآن والسنه والحكم والتحاكم منهما واليهما.

مغامراته :

للملك عبدالعزيز مغامرات ومخاطرات لا أعلم أن أحدا خاطر بنفسه في مثلها أبداً.

ومن تلك المغامرات الخطيرة أشير بإيجاز لخمس من أشهرها وهي :

الأولى : مغامراته أثناء المسيرة والتوغل في رمال الربع الخالى في أرض لا ماء فيها ولا زاد ولا سكان دون أن يكون معه أى أداة علمية توجهه إلى الطريق المطلوب، فلا بوصلة تحدد له الاتجاهات، ولاخريطة تبين له المعالم والطرقات، انما العزيمة، والقوة، والجرأة، والشجاعة.. جمعها الله في ذلك الفتى المغوار فخرج من الكويت متوكلاً على الذي خلقه من عدم إلى وجود وكان سن عبدالعزيز حينئذ عشرون سنة وستة أشهر.

خرج بستين رجلاً وسار بهم حتى اقتحم الرياض واسوارها وأبوابها المحصنة، وقد قدم على فوارس قد ألفوا الأخطار، وجابوا الامصار لهم الخبرات في كل مقال ومجال.

ولكن عبقرية عبدالعزيز جعلتهم وكأنهم في فلاة أوكانهم لم يكونوا.

ثانياً : وقوفه في وجه ابن رشيد متحدياً، ومحارباً، ومطارداً له، وقاتله حتى قضى عليه وعلى الدولة الكبرى العثمانية ـــ والتي كانت مع ابن رشيد مثل السوار في المعصم يلبسه متى شاء و ينزعه متى شاء يجرها من مكان لآخر.

ومع ذلك فإن عبقرية عبدالعزيز قتلتهم وجعلتهم في صحاري الجزيرة أشتاتاً، لأنهم معتمدون على قواتهم، وهو معتمد على الله المعين والمدبر لكل أمر.

فطردهم عن القصيم بعد أن هنأوا بطيب المقام فيها ولذة العيش فساروا في القرى يطرقون الأبواب يسألون الناس شيئاً من المأكل أو المشرب.

الثالثة : مقاومته وقتاله لقوتين في القصيم هما :

عبدالله بن محمد أبا الخيل الذي خرج بعد البيعة، وبعد أن ولاه عبدالعزيز بن سعود أميراً على بريدة، فجاْه عبدالعزيز مسرعاً من الرياض وهجم على بريدة واحتلها صباحاً بعد معركة (الصباخ)، وهاجم ابن رشيد فقاتله ليلا في (الطرفيه) وانتصر عليهما، انظر المعركتين في الباب الثاني.

الرابعة : فتح الحسا ـــ أو الاحساء ـــ فقد خادع عبدالعزيز الأتراك والعجمان هناك ثم هجم عليهم واستولى على أكبر قوة مسلحة في الجزيرة العربية حينذاك ووقع الجميع اسرى باسلحتهم الخفيفه

والثقيلة وكان عددهم أكثر من ألفى ضابط وجندى، لم يعبأ عبدالعزيز بعددهم ولابعدتهم ولابنظامهم ثم طردهم من المنطقة إلى الأبد.

الخامسة : هزيمته للعجمان نفسيا بعد أن هزموه عسكريا وأصابوه اصابة بالغة تدلت على جنبه امعاؤه[1] من أثرها، ونزف دمه الغالى، وقتل أخوه سعد كما قتل من قواته أكثر من ست مائة مقاتل.

ومع ذلك فقد قام بمعالجة نفسه وأمر باقامة عرسه وضرب الدفوف ليعلم الناس أن عبدالعزيز تزوج تلك الليلة.

وبهذه السياسة التي صاغتها عبقرية عبدالعزيز انهزم العجمان نفسياً وعسكرياً وولوا هاربين من الاحساء إلى الكويت.

فكان عبدالعزيز بعيد النظر، حكيم السيرة، كريم الخصال، عظيم المقدرة قوى العزيمة يستمد العون من ربه، عفواً رحيماً باعدائه اذا سقطوا في يده أسرى تراه يكرمهم و يعفوا عنهم.

وبذلك أسس هذا الكيان الكبير وارسى قواعد الأمن والاستقرار فيه فنحن اليوم ننعم بجهاد وكفاح عبدالعزيز الذي مكث أكثر من خمسين عاماً يضع القواعد والدعائم لهذا الصرح العظيم الذي أكمل بناءه أبناؤه من بعده، فكانوا خير خلف لخير سلف.

---

(١) صور من حياة عبدالعزيز يرويها طلال بن عبدالعزيز ص ٢٨.

وفاة الملك عبد العزيز

في العاشر من شهر صفر سنة ١٣٧٣هـ، الم بجلالته مرض ألزمه الفراش حتى صباح يوم الأثنين الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ. حيث اذاعت محطة الاذاعة السعودية في مكة المكرمة البلاغ التالي:

(كل من عليها فان، و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام). سبحان الحي الذي لايموت، ننعى إلى العالم العربي والإسلامي ــ والأسى يحز في نفوسنا ــ حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية فقد توفاه الله في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين من صباح يوم الأثنين ثانى ربيع الأول ١٣٧٣هـ ٩ نوفبر ١٩٥٣م على أثر مرض ألزمه الفراش مدة شهر واحد تغمده الله برحمته وأسكنه جناته وألهم الأمة الصبر والسلوان فانا لله وانا إليه راجعون).

الديوان الملكى العالى، الطائف

البلاغ رقم ٢

(على أثر وفاة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية تغمده برحمته والتفاف الأسرة المالكة الكريمة حول جثمانه الطاهر خرجوا من عنده وبايعوا حضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود بن عبدالعزيز المعظم ملكاً على البلاد العربية السعودية، وعلى أثر ذلك أعلن حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ولاية العهد لأخيه صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبدالعزيز ولياً للعهد كما بايع سموه أفراد الأسرة المالكة).

الديوان العالى، الطائف

(رحمه الله وغفر له ذنوبه واسكنه جنة الفردوس مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أنه ولي ذلك والقادر عليه).

الشاعر خير الدين الزركلي يرثي الملك عبدالعزيز (رحمه الله) فقال:

رد الجزيرة وهي نسي بلقع ... حوضا عليه للورود وفود

التبرسال بها عيونا والحصى ... درّ ولألاء النجوم عقود

رفلت بأبراد الحضارة أربع ... كانت عليها للعفاء برود

أمن المخاوف غاديا أو رائحاً ... جواب مقفرة رعاها السيد

الناس بين يدى حكيم يمهم ... بلوائه، وبميمنه معقود

يقظ كأن لقلبه ولعينه ... رصدين لا يعيهما مرصود

عقل كأن الغيب منبسط له ... سفرا ورأى في الصعاب سديد

تتعاقب الأحداث دهما حوله ... ويجيل فيها طرفه فتحيد

و يثور بركانا اذا استغضبته ... للحق، ما للظالم فيه خمود

وتراه يبسم للخطوب كأنما ... هو باجتياز شدادها موعود

بالعفو والغضب المهند منتضي ... يشرى النفوس، ولا يسود حقود

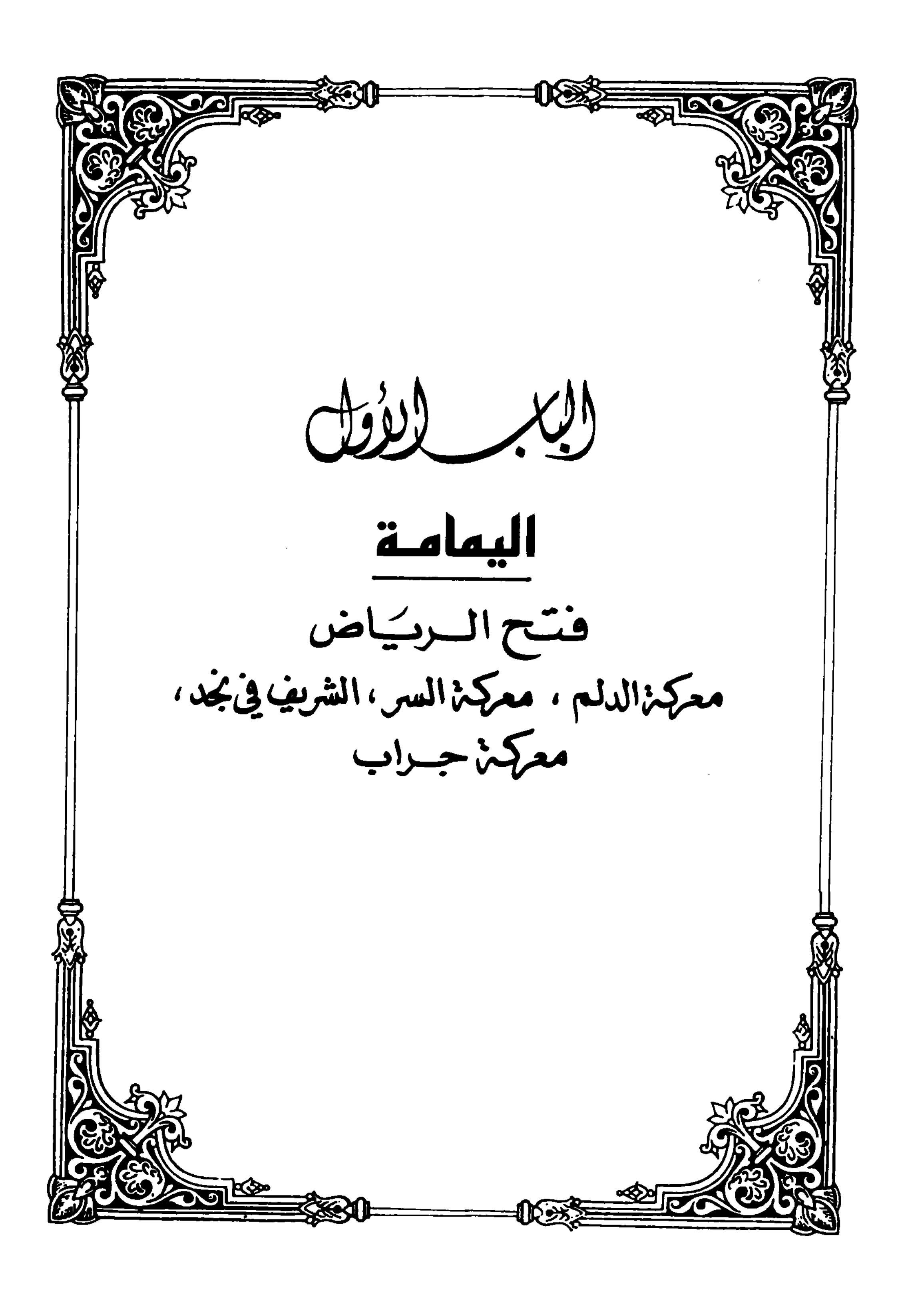
جود كمنهل السحاب، وما الفتى ... بمحبب لولا الندى والجود

عرف الحياة مناعم ومبائس ... وتداولته بيضها والسود

عرش بناه على النضال، عماده ... ودعامه الإيمان والتسديد

مانام عنه مؤسساً ومنظماً ... ستين حولاً يبني و يشيد

ضم القلوب موحداً أشتاتها ... لله ثم لشعبه التوحيد

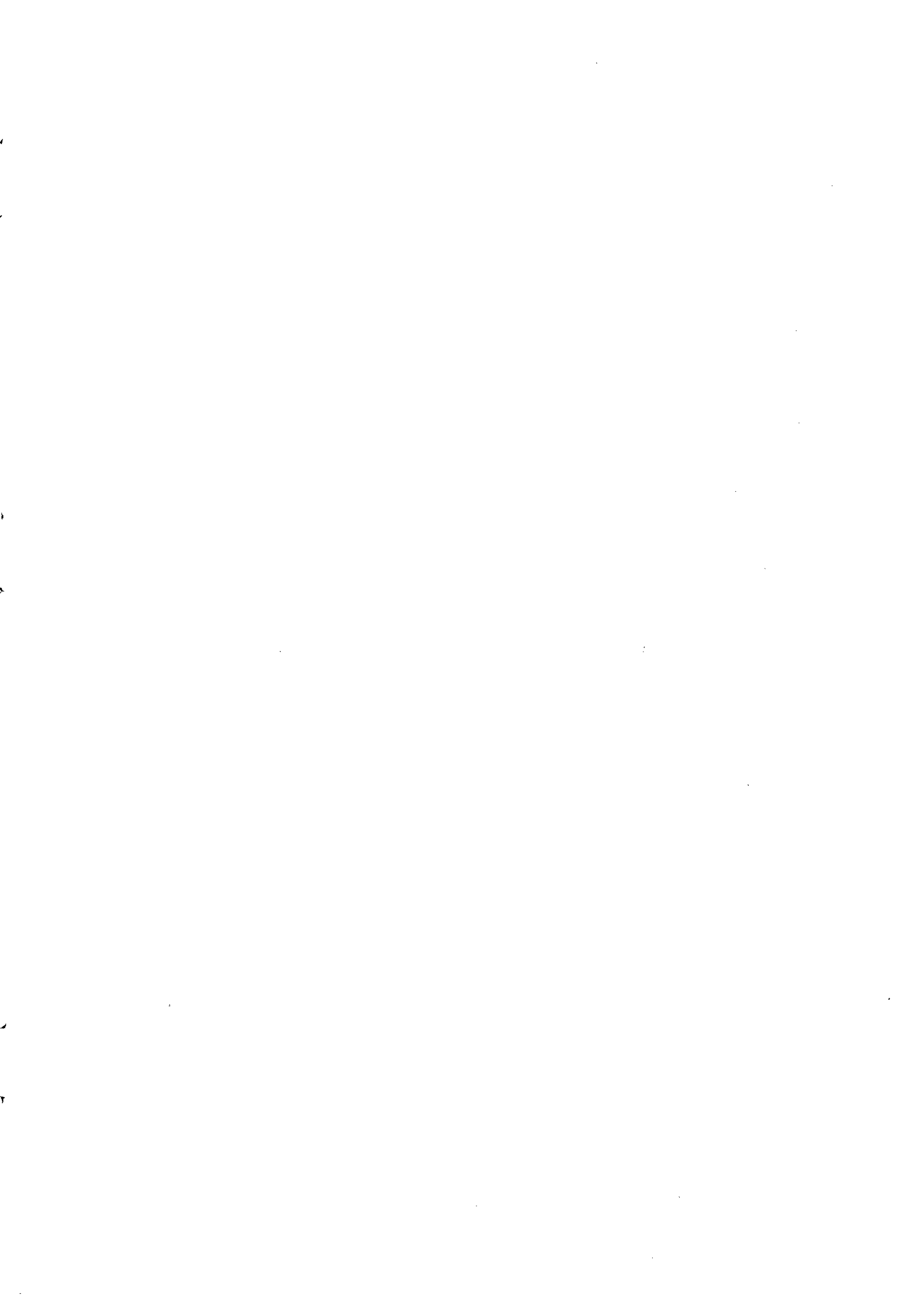


الباب الأول

اليمامة

فتح الرياض

معركة الدلم ، معركة السر ، الشريف في نجد ، معركة جراب



الريـــاض

الرياض :

بكسر الراء المهملة وفتح المثناة التحتية، فألف وبعدها ضاد معجمه : وهي جمع روضة فقد كانت مدينة الرياض قبل بنائها تمثل عدداً من الروضات تتخللها التلال والقفاف والأودية الكبيرة والمزارع الكثيرة فسميت الرياض.

وقد اختلف المؤلفون فيما كتبوه عن مدينة الرياض سواء من ناحية اسمها أو تاريخ إنشائها أو بناء سورها، ومن الذي بناه؟.

فقال الشيخ «ابن خميس» في معجمه :

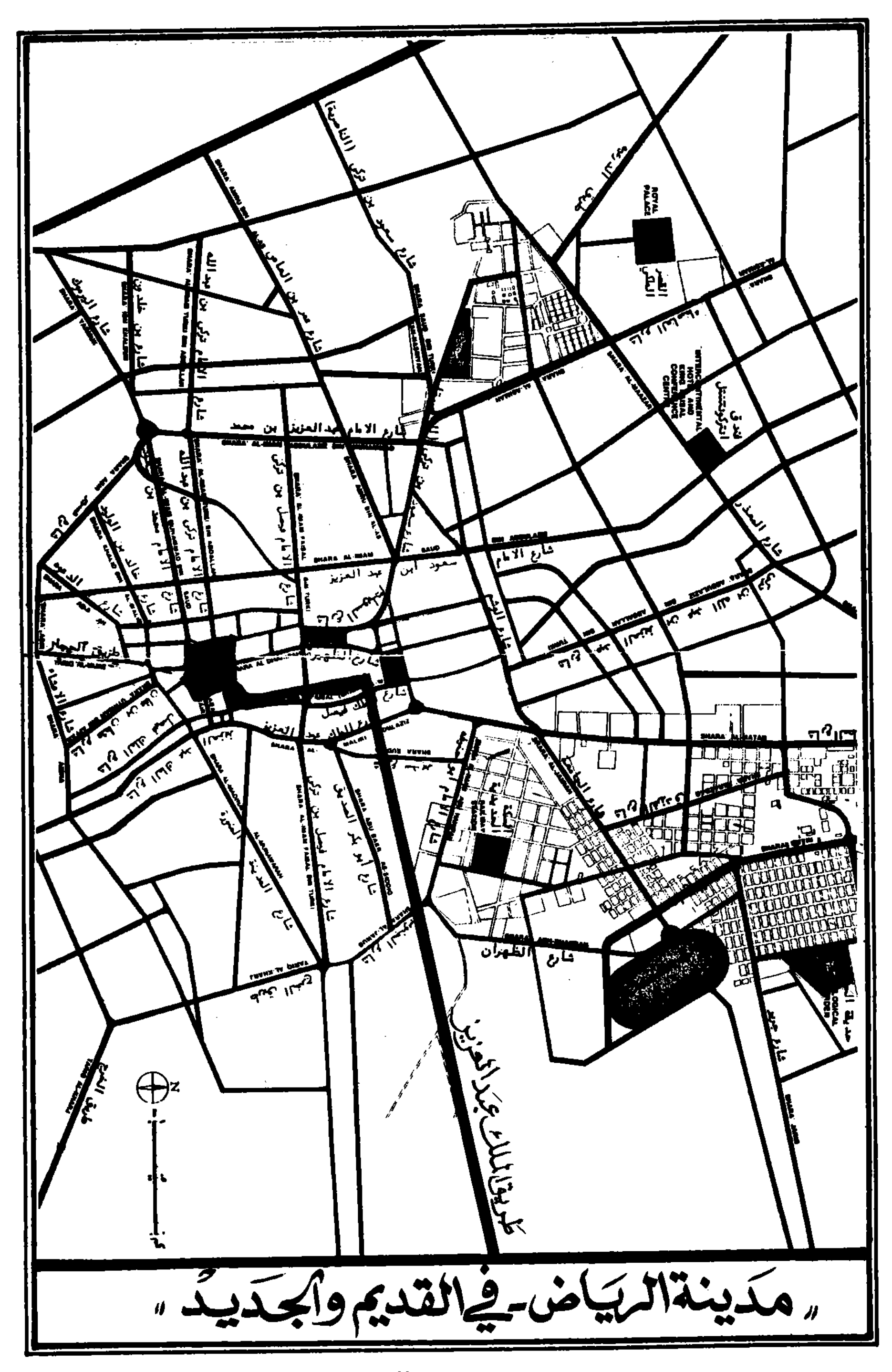
«تدرجت إلى نخيل وبساتين يحوط أكثرها سور بناه (دهام ابن دواس) في أول القرن الثاني عشر الهجرى، ولقد عهدت هذه النخيل والبساتين تحيط بمدينة الرياض احاطة السوار بالمعصم، اذا اشرفت عليها من عمل كأن مدينتها (الدينار) وسط الروضة... إلى قوله:

وكانت المدينة صغيرة محاطة بسور له أبواب، هي : باب الثميرى وباب القرى، وباب دخنه، وباب منفوحة، وباب المرقب، وباب المذبح، وباب آل سويلم، وباب الظهيرة، ووسط المدينة الصفاة تقوم قصور الحكم وأمراء آل سعود الكبار على جوانبها.

وتمتد من الغرب إلى الشرق بما لايزيد عن خمسمائة متر طولاً في مائة متر عرضاً»[1] . ا هـ.

---

(١) معجم اليمامة ج١/ ٤٩٠.



„ مدينة الرياض في القديم والجديد "

وقال السليمان في معجمه مدينة الرياض[1] .

سور دهام بن دواس:

«يعرف باسم حامى دهام بن دواس والحامى من لفظ الحماية سور منيع قوي سميك البناء والترابط بناه دهام بن دواس على مدينة الرياض لكى يحميها من غارات المهاجين من جميع الجهات وهذا الحامى حده : من الناحية الغربية نهاية حلة آل ريس من الغرب..... إلى قوله:

و يأخذ الحامى في اتجاه الجنوب الغربي فيخترق المريسلة و يدخل نصف أم قرو في داخله.

أما حده من الشمال فهو يحف منتصف حى المشيقيق ويجعل سوق الغنم، وسوق الحطب من داخله ويميل في اتجاه الشمال حتى القلعة احدى بواباته، (وموقع القلعة الأصلى في تقاطع شارع الشميسى القديم من شارع الكبارى).

وأما حده من الشرق فإن الكثير من الرواة قالوا أنه دخل منفوحة لما سيطر عليها وضمها إلى مدينة الرياض». ا هـ.

وفي هاتين الروايتين اثبت المؤلفان أن الذي بنى السور هو (دهام بن دواس)، ولقد عجبت من السليمان، لما لم يذكر أسماء الأبواب ولا عددها ولا مواقعها، ولم يرسم خارطة للرياض وسورها فيما قبل عام ١٣١٩هـ أو بعده، ولاسيما وأنه ألف كتاباً قيماً يقع في ٣١٧ صفحة، يختص بالرياض دون غيرها.

---

(١) ص ١٢٨

ثم ذكر الشيخ ابن خميس: الساحة قدوم الوفود التي تحط رحالها أمام سدة الحكم في الرياض فقال يصف ذلك:

-«فتسمع لها في هذه الساحة حمحمة وصهيلا.. حاولت أن أصور هذا المظهر والمنظر في مقطع من قصيدة لي فقلت:

تموج بميدان الصفاة جموعها ... ويلقى بشير القافلين نفيرها

تعج بها الأصوات تصهل جردها ... ويجأر حاديها وتبغم عيرها

اذا قادها عبدالعزيز لراية ... تهوك مسعاها وغر غرورها

تؤوب وممتد الممالك فيئها ... ومستلئم بالكبرياء أسيرها»[1]

غير أن الشيخ حمد الجاسر خالف الأثنين فقال في كتابه:

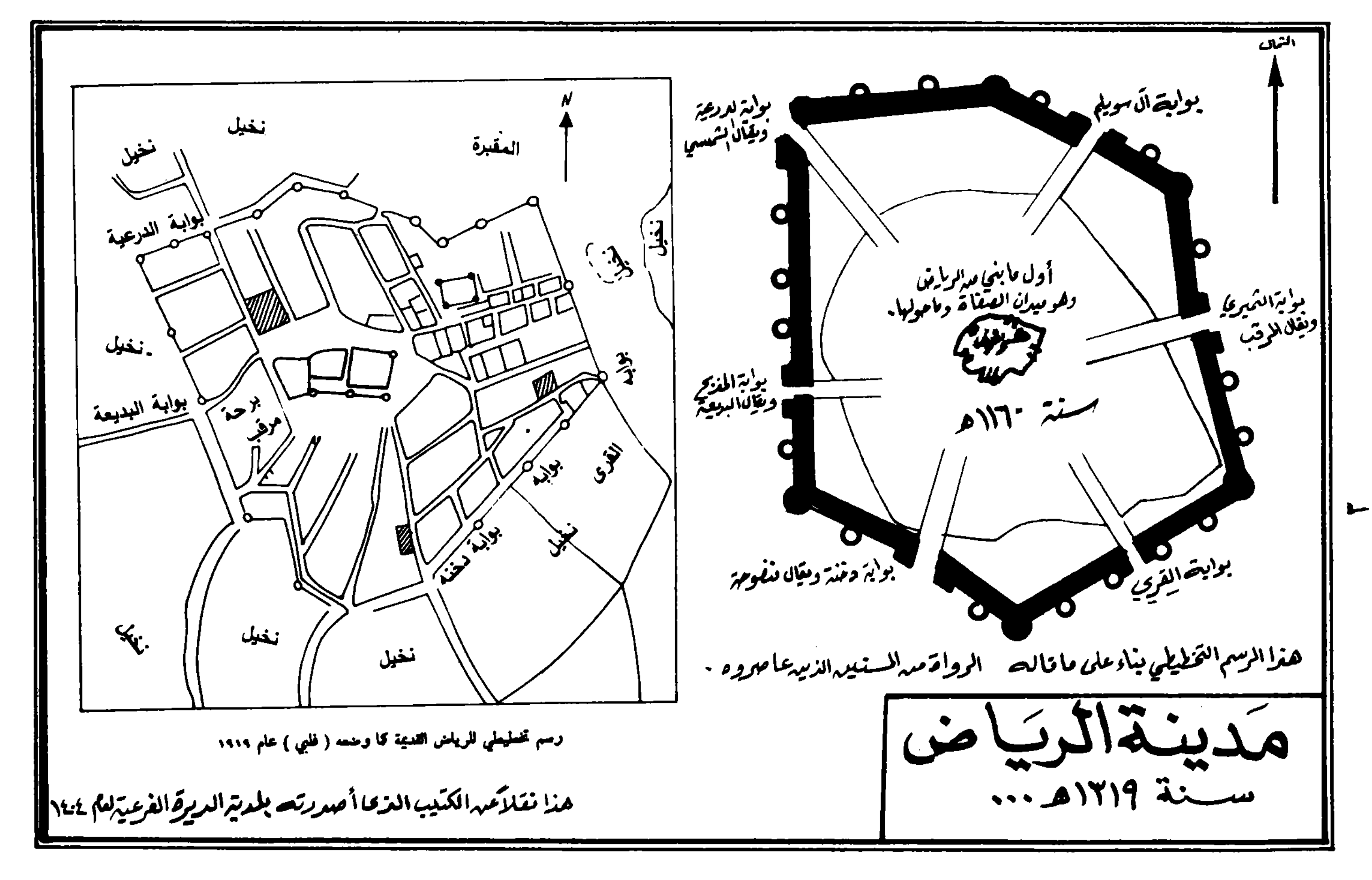
«كانت مدينة الرياض محاطة بسور مبنى من الطين واللبن، أقامه الملك عبدالعزيز بعد استيلائه عليها في شهرى شوال وذى القعده سنة ١٣١٨هـ.

واستغرقت مدة بنائه أربعين يوماً وفيه أبواب المدينة في جوانبها وجهاتها:

فمن الشرق **(باب الثميري)** نسبة إلى رجل من أهل حى حريملاءقتل عند هذا الباب في عهد قيام الدولة السعودية في دورها الأول.

والباب الشمالي : يدعى (باب آل سويلم) منسوب إلى أسرة معروفة بهذا الاسم.... إلى قوله:

(١) معجم اليمامة ج١/ ٤٩١.



هذا الرسم التخطيطي بناء على ما قاله الرواة من المسنين الذين عاصروه.

مَدينة الرياض
سنة ١٢١٩هـ ...

رسم تخطيطي للرياض القديمة كما وضعه (فلبي) عام ١٩١٩

هذا نقلاً عن الكتيب الذي أصدرته بلدية الديرة الفرعية لعام ١٤٠٤

والباب الجنوبي : يدعى **(باب دخنة)** لمجاورته لبئر يعرف بهذا الاسم... إلى قوله:

والباب الغربي : يدعى **(باب المذبح)** لكون الجزارين والقصابين يذبحون الابل والبقر والغنم خارجه... إلى قوله:

والباب الجنوبي الغربي : يدعى **(باب الشميسى)** لاتصاله بمحلة من المحلات خارج المدينة»[١] . ا هـ.

وقد عجبت من الشيخ الجاسر : عند قوله: الذي بنا السور هو الملك عبدالعزيز[٢] ، ثم عجبت أكثر عندما قال: وقد بناه سنة ١٣١٨هـ

راجعت فهرس الخطأ والصواب، لعلي أجد مايصحح ذلك، فلم أجد تصحيحاً ولا تعديلاً، في كتاب شيخنا الجاسر.

قلت: وكيف يكون هذا؟ فالملك عبدالعزيز استولى على الرياض في سنة ١٣١٩هـ، ودهام بن دواس هو أول من بنا سور الرياض، وماقاله الشيخ: يخالف الواقع، ثم قال: الشيخ الجاسر: وفي عام ١٣٧٠هـ أزيل السور الذي كان محيطاً بالمدينة نظراً لاتساعها[٣] ا. هـ.

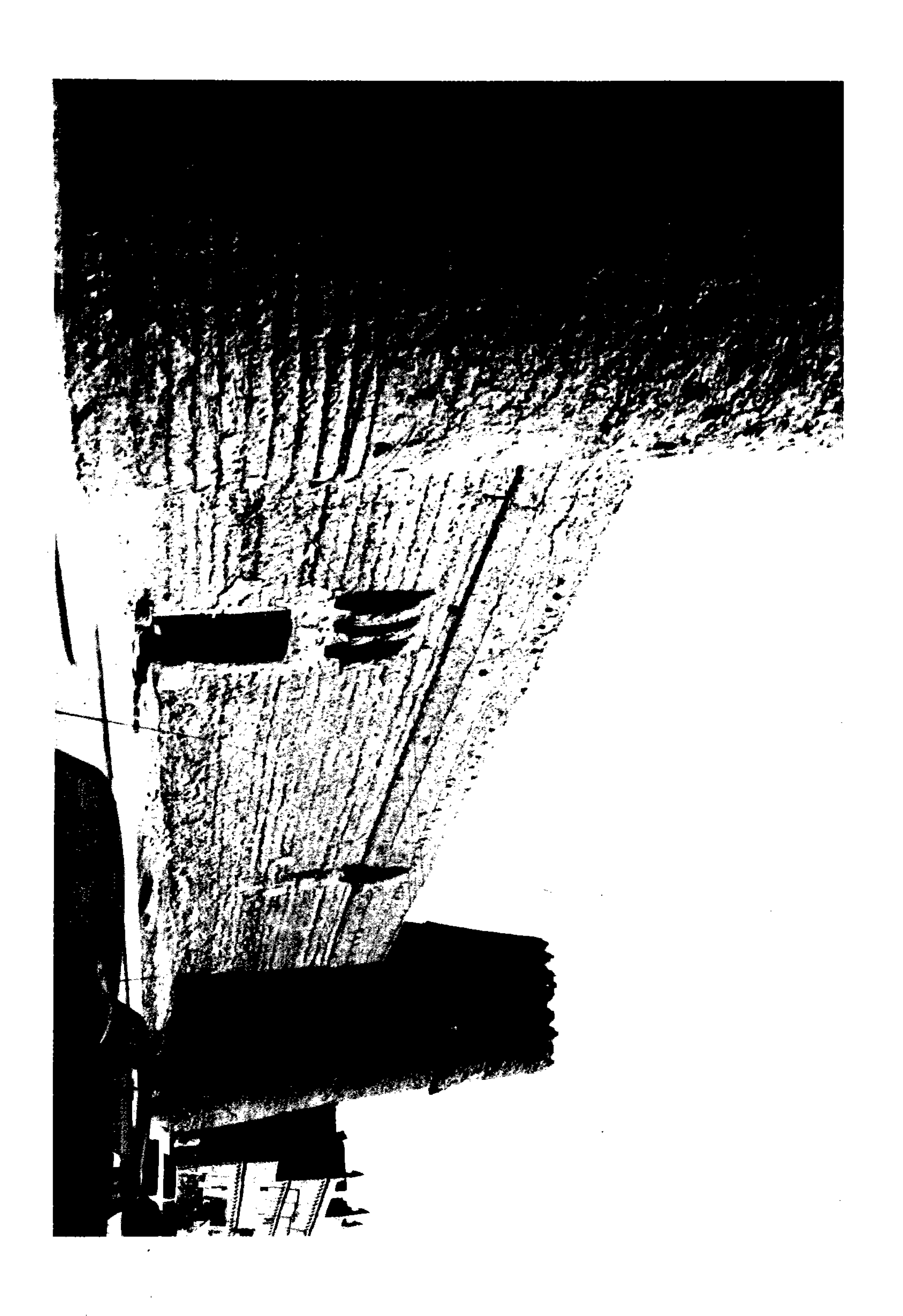
المصمك/ أو المسمك : بفتح الميم الأولى والثانية وسكون المهملة بعدها كاف: ولقول أن السين المهملة أصح من الصاد المهملة لأن الاسم مشتق من سماكة البناء وقوته، فلا يمكن لأحد اقتحامه الا من بابه فقط وقال ابراهيم

---

(١) مدينة الرياض عبر اطوار التاريخ ١٢٠ ــ ١٢٢.

(٢) انما بنا منه ماهدم ابن رشيد عند غزوه الرياض.

(٣) مدينة الرياض عبر اطوار التاريخ ص ١٢٢.



بن خميس[1] : سمى بالمصمك: أى المحكم الاغلاق (المسكرة) من جميع جوانبه.

ويمثل القلعة الأثرية الواقعة في المركز التجارى الواقع إلى الشرق من قصر الحكم بالرياض.

وقد اتخذ ابن رشيد من المصمك مقراً لمنصبه على الرياض وما حولها وكان أهم مثال سكنى تقليدى في نجد عامة وفي الرياض خاصة.

وهو الآن تذكارياً يعد من أهم الآثار في المملكة.

وكان يتلاحم مبناه مع مبانى الرياض القديمة سواء فيما قبل ١٣٧٠هـ حينما كانت المساكن المبنية من الطين تقاربه وكانت الطرقات فيما بينه وبينها تمثل أزقة صغيرة.

أو فيما بعد أعوام السبعينات حينما هدمت المنازل القديمة وبنيت بالخرسانة المسلحة، وفتحت الشوارع من حوله.

وقد نزعت الدولة الأملاك من حوله ليظهر واضحاً للسياح، ورممت وأصلحت الدولة مايجب اصلاحه، حيث كان فيه بعض الغرف المهدمه من الناحية الشرقية.

أجمع المؤرخون والكتاب على أن بناء المصمك كان سنة ١٢٨٨هـ وان الذي بناه هو الإمام عبدالله بن فيصل وممن قال بذلك: ابن عيسى في عقد الدر[2] والشيخ حمد الجاسر[3] والشيخ عبدالله بن خميس[4]، وابراهيم بن

(١) اسود آل سعود ص ٢٥٥.

(٢) ص ٤٨.

(٣) مدينة الرياض ص ١٠٨.

(٤) معجم اليمامة ج٢ : ٣٧٢.

خميس[1] ، لكن الرواة وصاحب معجم الرياض يقولون أن الذي بنا المسمك هو ابن (نعام) بأمر محمد بن عبدالله ابن رشيد.

قلت وقد بني بشكل شبه تربيعي و يبلغ أطوال أضلاعه الشرقي والجنوبي ٥٢ متراً دون الأبراج وطول ضلعه الشمالي ثمانية وستون متراً، وطول ضلعه الغربي ثمانية وأربعون متراً.

وقد بني باللبن والطين وسمك الجدار من الأسفل متر ونصف ومن الأعلى سبعون سم و يبلغ ارتفاع جدرانه الأربعة تسعه أمتار.

و به أربعة أبراج في أركانه الأربعة، الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي متساو يان.

يبلغ ارتفاعهما أربعة عشر متراً، و يبلغ ارتفاع الشمالي الغربي سبعة عشر مترا، والجنوبي الشرقي أثنا عشر متراً ونصف.

وله الآن بابان، باب شرقي حديث صغير، انظر الصورة رقم(٤) و باب غربي وهو باب كبير ارتفاعه أربعة أمتار، وعرضه متر ين وستون سم و يقع في نصفْه السفلى باب (الخَوْخَة).

وهو باب للطوارىء والاستطلاع طول ضلعيه ٦٤ × ٦٠ سم انظر الصورة رقم (٢).

ومنه كان دخول عجلان بعد اشتباكه مع الملك عبدالعزيز في صباح يوم احتلال الرياض.

---

(١) اسود آل سعود ص ٢٥٥.

ويضم السور والأبراج الركنية الأربعة المشيدة عدد من الحجرات منها الكبيرة ومنها الصغيرة، وبه أربعة أفنية داخلية (جمع فناء) للاضاءة والتهوية.

يتوسطها ـ نسبياً ـ برج مربع الشكل ارتفاعه عشرون متراً.

وهذه بعض المخططات للمصمك نقلتها عن كتيب (التعرف على النمط العمراني في المملكة العربية السعودية ـ لمؤلفيه ـ مصلى ـ شاكر ـ منديلي[1] .

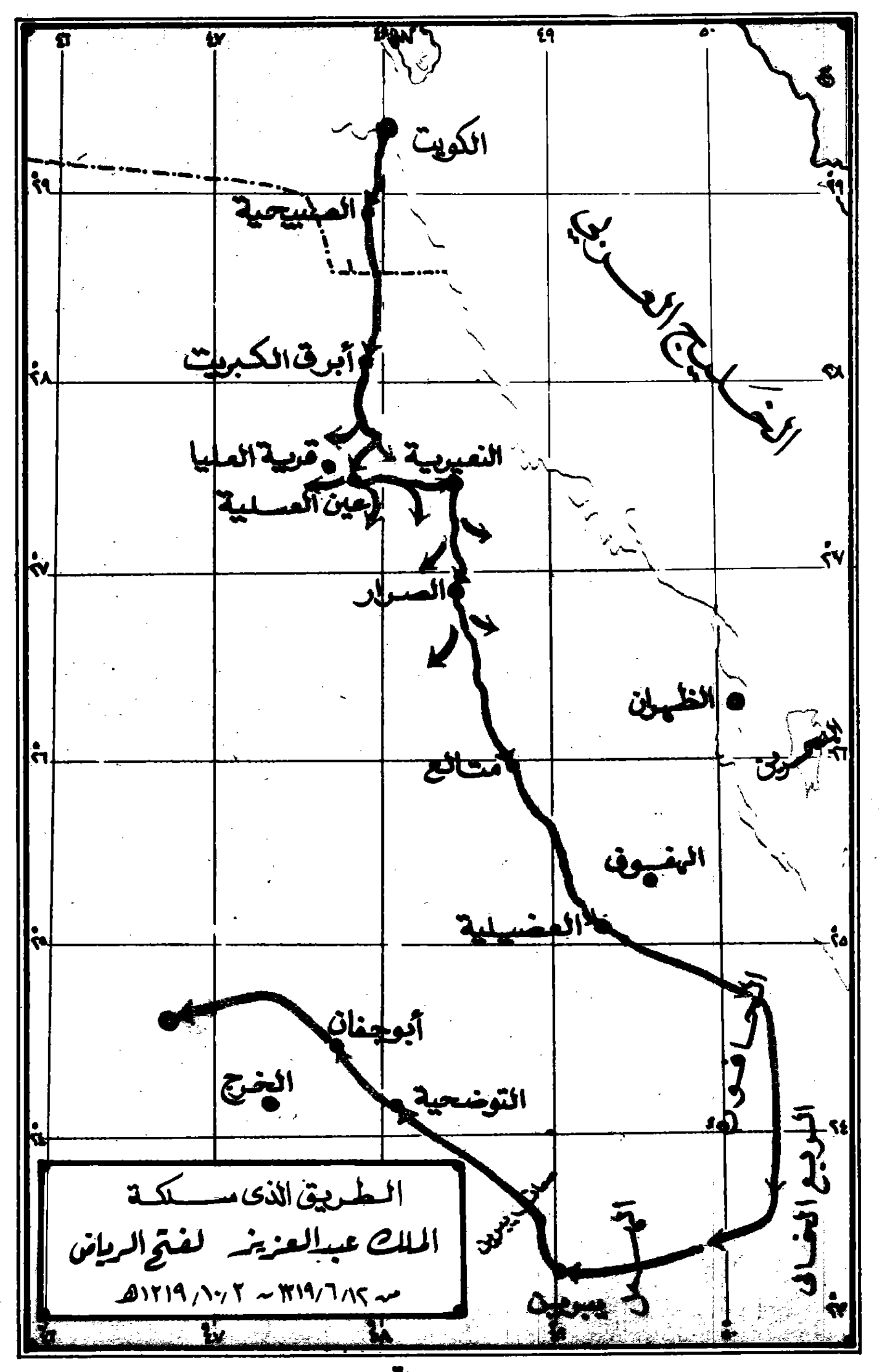
(١) ص ٩ ـ ١١.

الطريق الذى سلكه الملك عبد العزيز
من الكويت إلى الرياض

بعد خروجه من مدينة الكويت، اتجه إلى الجنوب، فالجنوب الشرقى متجها نحو (الاحساء)، ومن شرق(الجهراء) في الكويت، عبر(مقوى)، فـ(برقان)، فـ(الصبيحية) من أرض (الكويت)، ثم ضليعات (الغواري)، فضليعات (السور)، فعدامة (حمى)، ثم دخل الحدود السعودية حيث جبل (الاحيرش)، فـ(أبرق الكبريت) ومن جنوبه (جوف بئر الماء) ثم إلى (الخليقة الشمالية)، ثم سار حتى نزل على عين (العسيلة)، ثم أقام عليها، وشن غاراته على قرية (العليا و(النباج)، و(برقاء الوطينان) فـ(القرية السفلى) ــ تيتل ــ، وكل هذه المواضع فيما بين خطى الطول (٤٧/٣٠، ٤٨° شرقاً) ثم اتجه إلى الشرق فأغار على (قصوان)، و(أبرقية) فـ(النعيرية)، فـ(أم خويسه)، ثم (مليجة) فـ(منيصفة) فـ(عتيق)، فـ(الجلادي)، فـ(صفيه)، ثم اتجه إلى الجنوب، فسار إلى (الصرار)، ثم إلى (الوتان) حتى وصل (وادى المياه)، ثم سار إلى (الهليسية) و(ديماء) و(أصيبع)، ثم سار إلى (الرمادية)، و(مشاش الهيشرى).

ثم اتجه إلى الجنوب الشرقى فوصل إلى (روضة مسيعيد)، ثم (متالع)، فـ(النجبية)، ثم سار حتى وصل (حوذة) جنوب (متالع والنجيبة) وهناك أصبح معه (ألف) مقاتل و(٤٠٠) فارس من العجمان ومطير والعوازم، وبنى هاجر وسبيع، وبنى مرة لكن ذلك لم يدم طويلاً.

فقد قامت الدولة التركية في الاحساء، فبعثت إلى شيوخ وأبناء القبائل التي انضم أفرادها مع ابن سعود، فهددتهم ونشرت الرعب في صفوفهم، فانفضوا من حوله ولم يبق منهم سوى عشرين رجلاً عاهدوا ابن سعود على القيام معه إلى الرياض، فأصبح تعداد قوته ستين رجلاً فقط.


الكويت
الصبيحية
أبرق الكبريت
النعيرية
قرية العليا
عين العسلية
الصرار
الخليج العربي
الظهران
منائع
الهفوف
العضيلية
أبو جفان
الخرج
التوضحية
يبرين
الربع الخالي
الطريق الذى سلكة
الملك عبدالعزيز لفتح الرياض
من ١٢/٦/١٣١٩ ~ ٢/١٠/١٣١٩هـ



ومن هنا سار باتجاه الجنوب عبر جبال(الشعب)، فـ(بطن الفروق)، ثم (نعلة الفروق)، حتى نزل (مشاش العضيلية) فتزود منها بكل مايريده من الزاد والمؤن، ثم سار فاتجه إلى الجنوب الشرقي حتى وصل (الجافورة) ــ الربع الخالي ــ وعلى بعد مئتى كيل عن (الاحساء)، فلما انقطعت أخباره عن الدولة في الاحساء وبنى مرة، والعجمان.

غير مساره من الشرق إلى الغرب، فسار عبر (الهَمَل) فـ(حدبة البدوع) حتى أشرف على واحة (يَبْرَيْن) في موضع يعرف بـ(بِدْع نَخْلَة)، ثم تزود من (يريــن) بما يحتاج، وحول اتجاهه إلى الشمال عبر (وادى وَبْرَة) ومنه إلى (وادى العَاقُولَة) شمالاً، ثم استقر في قفاف (صمان يبرين)، فيما بين قريتى (وقرة) شمالاً، (وَوبْرَة) جنوبا.

وفي (العشرين من شهر رمضان) رحل باتجاه الشمال الغربي عبر (الصُّمـاَن)، فرمال (الدهناء)، فشعاب (هريسان) حتى نزل (روضة التَّوْضِحِيَّة)، والتي يجتمع فيها عدد من الأودية من أشهرها (وادي القَبُورِي)، و(وادي غَضِي).

ثم رحل باتجاه الغرب حتى نزل (أبا جُفَان) شمال (وادى وَسِيْع) إلى الشمال الشرقى من الخرج وعلى بعد (٦٣) كيلا، وعن الرياض إلى الشرق بـ(١٤٧) كيلا.

وفي ثالث العيد، وبينما الناس في لهو ومرح، منشغلين بأفراح العيد خرج الشباب المغامرون إلى جفان فعبروا (خشم عوصاء)، فـ(منافع بنى لذة)، فـ(جبل مذكور)، ثم (حقو النهيدس)، ثم (برقان الاشيعيلات)، (فوادي أبا الناس)، ثم (شعيب نظيم جود)، ثم دخلوا (وادي السلي)، ثم ساروا حتى نزلوا (ضلع الشعيب) وهو التل الواقع في الجنوب الغربي من حى الربوه

(انظر الصورة) رقم (٣) فترك الملك هناك عشرين من رفاقه وترك معهم الأرزاق والمؤن والمطايا ــ (الأبل) ــ والخيل وجعل عليها معضد بن خرسان، ومسلم بن مجفل، وعبداللطيف بن معشوق ــ حامل الراية ــ ثم مشى منها الساعة السادسة ليلاً ومعه (أربعين) رجلاً، ثم دخل بستان (الشمسية). والمعروف الآن بموقع (دوار سمير أميس) حتى (دوار وزارة التجارة)، ثم أبقى في البستان (ثلاثة وثلاثين) رجلا وقال لهم عليكم الانتظار حتى يأتيكم منا خبر، ثم جعل عليهم أخيه محمد وسار ومعه (ستة) من رجاله الأوفياء حتى وصلوا إلى السور المحيط بالرياض وهم يحملون فوق أكتافهم جذع نخله كانوا قد اجتثوها من المزرعة ليصعدوا عليه سور المصمك الحصين الذي يبلغ ارتفاعه عشرين مترا.

وسأورد قصة فتح الرياض وماحصل فيها من حوادث، من خلال حديث الملك «عبدالعزيز بن عبدالرحمن» الذي رواه لفؤاد حمزة وأثبته في كتابه البلاد العربية [١]

(١) من ص ٢٠ ــ ٢٤.

فتح الرياض

في الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة من سنة (١٣١٩هـ) الموافق (١٩٠١م).

قام الشاب «عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود»، بالاجتماع مع اخوانه وأبناء أعمامه، وبعض خدامهم، وممن يعلم بحبهم له ولأبيه وجمعهم في بيته الذي يقيم فيه في الكويت، ويبلغ عددهم أربعين فرداً وكان عبدالعزيز حينذاك أبا لطفل هو تركى[١] المولود في أول سنة (١٣١٨هـ) وسن عبدالعزيز يومئذ عشرون سنة وستة أشهر، ثم قال لهم:

(أن سيدى الوالد لن يسمح لى بالزحف على الرياض إلا اذا اقتنع بأنكم معى وبأنكم لن تخذلونى.

ووالله، يا الأخوان، أنا ما أبغى من الدنيا مالا، ولا خيراً، ولابذخاً ولا تنعما يكفيني هذا الرغيف الذي آكله هنا في بيت الوالد، ولكنى لا أطيق البقاء في الهجرة لأنى أشعر بالذل يضغط علىّ..

ان الرياض ديارنا وديار آبائنا وأجدادنا، وعار عظيم علينا أن يبقى ابن رشيد سائدا عليها وحاكما في ذوينا وعشائرنا.

---

(١) توفي سنة سبع وثلاثين بأسباب مرض ألم به قال الراوي: ان مرض تركى الذي مات بسببه هو مايعرف اليوم بالزائدة الدودية... وكان فتي محنكا شجاعاً يتصف بصفات أبيه عبدالعزيز وقد رثاه الراوى وهو الشيخ/ صالح بن سليمان بن سحمان الذي كان خطاطا للملك عبدالعزيز رحمهما الله في قصيدة يرثى تركى:

زميل العلى والجود والمجد في الورى ... وبحر الندى تركى زين المحافل
له هيبة لو طال في الناس عمره ... لكان له شأن من العز طائل
شهاب لأعداء الشريعة والهدى ... مهاب كما للفيصلى الحلاحل
غدى فبكت كا الورى لوفاته ... تغمده المولى بعفو يساجل

والله يا الأخوان أنا أمامكم في السير، في الطليعة، صدرى يتقبّل الطعن دونكم، ولا أطلب إلا أن تنتقموا لى فيما اذا صرعت.

وما يفتحه الله علينا فللأخوان جميعا، لنا كلنا يا الأخوان على السواء لا أبغى إلا انقاذ شرفى وشرفكم».

فقالوا كلهم سمعاً وطاعة.

وعاهده الأربعون على أن يرافقوه و يكونوا معه، فأما أن يفوزوا جميعاً وأما أن يموتوا معاً وعلى الله الاتكال، فلما أصبح اليوم التالي أخبر والده بكل ماعمله ليلة البارحة.

رضى الإمام «عبدالرحمن» بالغزوة، وزود ابنه بالنصح والإرشاد، وجهز له الحملة بأربعين جملاً وثلاثين بندقية ومائتى ريال.

ولما نام من في الكويت خرج عبدالعزيز وصحبه وعددهم أربعون رجلاً هم:

١ ــ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود.
٢ ــ محمد بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود.
٣ ــ عبدالعزيز بن جلوي آل سعود.
٤ ــ عبدالله بن جلوى آل سعود.
٥ ــ فهد بن جلوى آل سعود.
٦ ــ عبدالعزيز بن مساعد بن جلوى آل سعود.
٧ ــ عبدالعزيز بن عبدالله بن تركى آل سعود.
٨ ــ ناصر بن فرحان آل سعود.
٩ ــ سعود بن ناصر بن فرحان آل سعود.

١٠ ــ فهد بن ابراهيم بن مشاري آل سعود.
١١ ــ عبدالله بن صنيتان آل سعود.
١٢ ــ مسلم بن مجفل السبيعي.
١٣ ــ حزام العجالين الدوسرى.
١٤ ــ ثلاب العالين الدوسرى.
١٥ ــ ابراهيم النفيسى من أهل الرياض.
١٦ ــ منصور حمزه آل منصور من أهل الرياض.
١٧ ــ صالح بن سبعان.
١٨ ــ يوسف بن مشخص.
١٩ ــ سعيد بن بيشان الدوسرى.
٢٠ ــ فهد المعشوق.
٢١ ــ عبدالله بن شنار الدوسرى.
٢٢ ــ عبداللطيف المعشوق.
٢٣ ــ محمد المعشوق.
٢٤ ــ مطلق بن عجيبان من الرياض.
٢٥ ــ عبدالله بن عسكر الملقب بالسيد.
٢٦ ــ ماجد بن مرعيد السبيعى.
٢٧ ــ عبدالله عثمان الهزانى من أهل الرياض.
٢٨ ــ سعد بن عبيد من أهل صلبوخ.
٢٩ ــ عبدالله بن جريس من أهل العمارية دوسرى.
٣٠ ــ معضد بن خرصان الشامرى.
٣١ ــ طلال بن عجرش من الجمالين سبيعى.
٣٢ ــ سعد بن نحيفان من أهل منفوحه.
٣٣ ــ عبيد بن صالح الملقب عويبيل من أهل الرياض.

٣٤ ــ حشاش المرجاني.
٣٥ ــ عبدالله أبو دريب السبيعي.
٣٦ ــ محمد بن قماع من أهل الرياض.
٣٧ ــ عبدالله الجطيلي من أهل عنيزه.
٣٨ ــ ابراهيم بن محيذيف. من أهل الرياض.
٣٩ ــ عبدالله بن خنيزان. من الرياض.
٤٠ ــ شائع بن شداد السهول.

خرجوا جميعاً وهم يقولون:

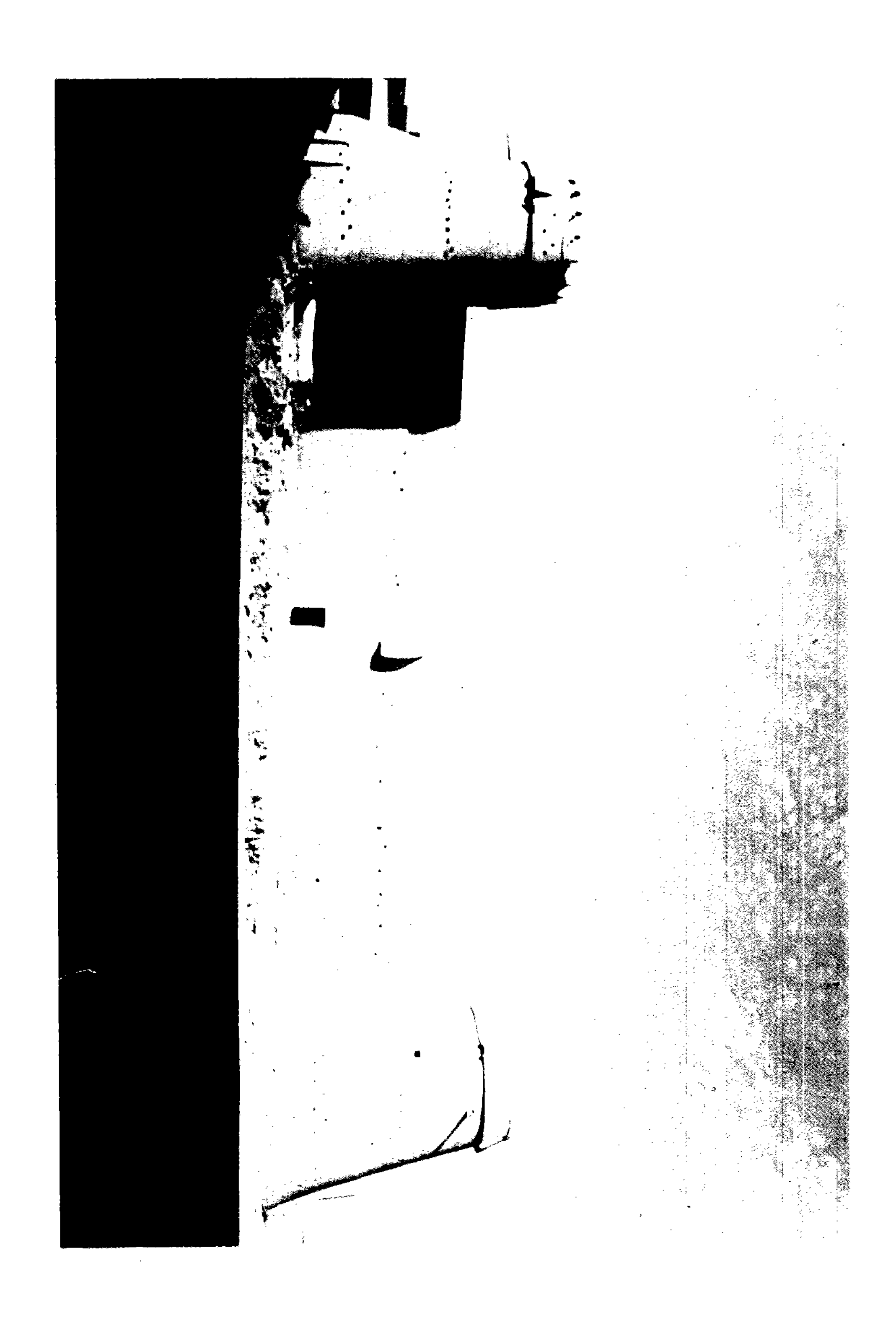
توكلنا على الله، وإيماناً بالله، ونصرنا من الله، لانريد إلا استرجاع ملك الآباء والأجداد، وكان وقت خروجهم في صباح يوم الخميس الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة من سنة ١٣١٩هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ١٩٠١م، فيما بين فصلي الشتاء والخريف.

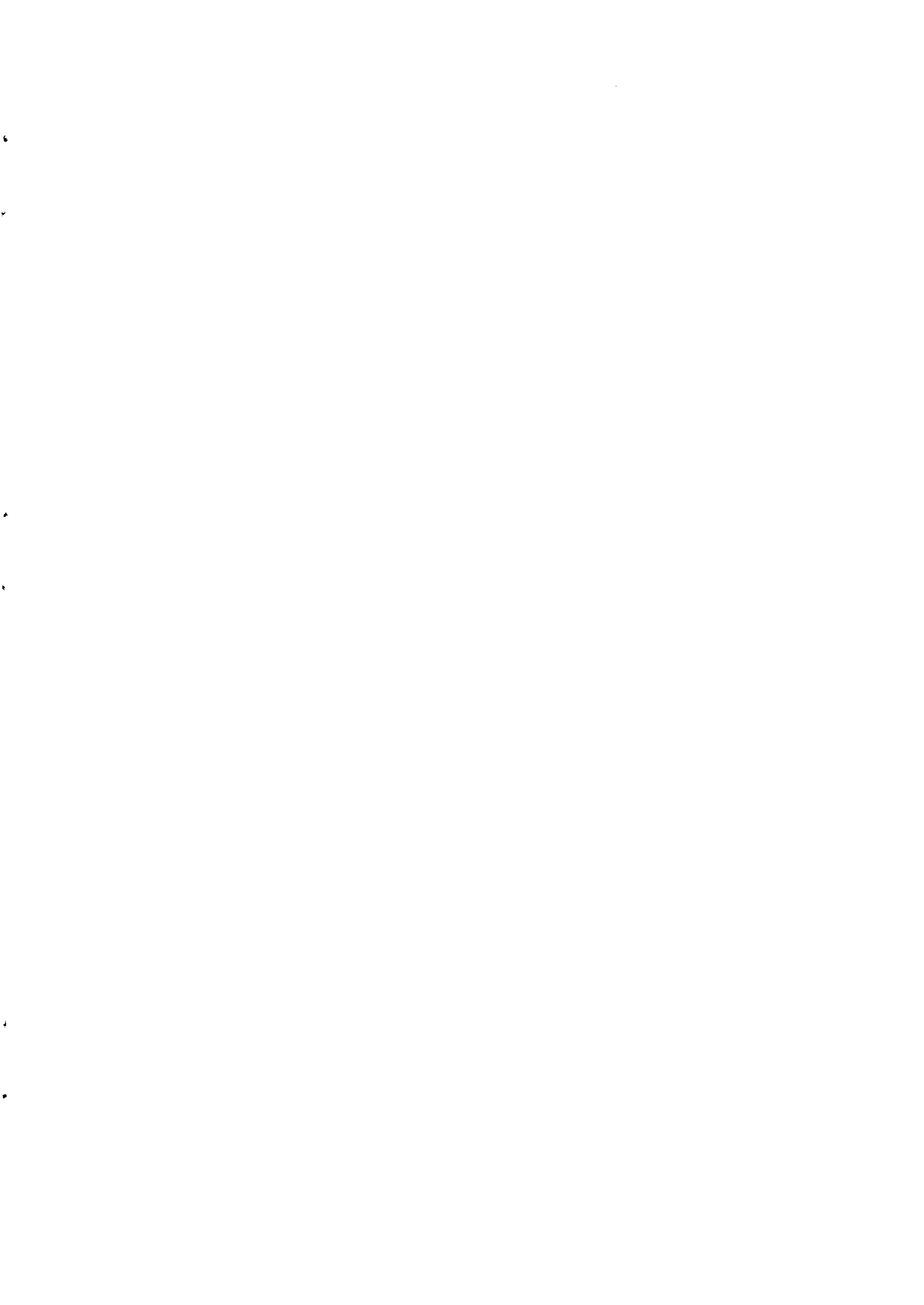
وأخذ عبدالعزيز ــ وهو في مسيرته العظمى ــ يضرب القرى والعشائر المعادية لأبيه والموالية لابن رشيد ويحاول أن يقنع القبائل الصديقة والمحايدة بالانضمام إليه في مسيرته.

وما أن قطع هو ورفاقه حوالي ستمائة كيلا حتى بلغ عدد القوات التي دخلت تحت طاعته ألف مقاتل وأربعمائة فارس، وكانت هذه القوات من قبائل العجمان والسهول وسبيع، وآل مرة.

وفي طريقه ضرب بعض القبائل الموالية لابن رشيد ونجح في خطته واهتزت نجد فرحاً بقدومه.

ولكن السلطات التركية في الاحساء قد أصابها الويل والثبور.





فقامت بقطع الميرة عنه وحركت أذيالها في الصحاري على عبدالعزيز.

وأوحت إلى أتراك البصرة وبغداد فقطعوا مرتب والده .

ودخلت القلاقل إلى الكويت، وخاف الإمام عبدالرحمن على ولده، فبعث إليه برسالة وفيها يقول:

(ارجع يابنى فنحن لاطاقة لنا في محاربة ابن رشيد وأغضاب الدولة في وقت واحد).

أما عبدالعزيز فقد انفضت البادية من حوله والتي دخلت تحت لوائه ولم يبقى معه سوى الأربعين مغامرا، انضم إليهم عشرون من أصهارهم وأقربائهم وخدامهم الذين تعاهدوا جميعاً على الحياة والموت.

ووصل المندوب بالرسالة إلى عبدالعزيز من أبيه وبعد أن علم ما تحمله أسطرها.

رد على رسول أبيه بكل ثقه واعتزاز وصبر وعزيمة بقوله:

(أنني متوجه إلى نحو الرياض لتحرير نجد ووالله لن أعود حتى أبلغ ذلك أو أموت)، ثم اجتمع مع رفاقه وعرض عليهم ما جاء في رسالة أبيه فاتفق الرأى على الهجوم على الرياض فلربما حصلت لنا فرصة في القلعة نأخذها بسياسة.

وكان هذا في (السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣١٩هـ) وهو يومئذ في (الصرار) من قرى (يام) إلى الشمال الغربي من الاحساء وكما قال الأستاذ فؤاد حمزه في كتابه البلاد العربية.

(لا أجد لسانا أبلغ في التعبير عن حوادث القصة الخالدة من لسان الملك نفسه، فقد تحدث عن هذه المجازفة الخطيرة بكلام بسيط سمح، ننقله فيما يلي:

«أخذنا ارزاقا وسرنا وسط الربع الخالي، ولم يدر أحد عنا اين كنا [١] فجلسنا شعبان بطوله إلى عشرين رمضان [٢]. ثم سرنا إلى العارض [٣].

«وكانت رواحلنا [٤] ردية ولم نرد ابو جفان الواقع على طريق الحسا إلا أيام العيد فعيدنا رمضان عليه [٥]. سرنا منه ليلة شوال حتى صرنا قرب البلد [٦]، وكان ابن رشيد قد هدم سور البلد، والمحل الذي يقيم فيه الأمير المنصوب من قبله يقع في قصر للإمام عبدالله، هدمه ابن رشيد وابقى فيه القلعة المسماة (بالمسمك) [٧]، وكانت لنا بيوت للعائلة امام (المسمك) هدمها الرشيدى [٨] أيضاً وعملوا حول بعضها سوراً ثانية وصار فيها بعض حرم للأمير وخدمه فإذا جاء الليل حاصروا في القلعة وعقيب طلوع الشمس يخرجون إلى حرمهم والى البلد. فنحن مشينا [٩] حتى وصلنا محلا اسمه ضلع

---

(١) بعد أن خرجوا من مشاش (العضيلية) في الجنوب الغربى من الهفوف (الاحساء) وتبعد عنها بـ (٥٤) كيلا.

(٢) دام سيرهم من (العضيلية) إلى (الجافورة) في الربع الخالى ثم إلى (الهمل) ثم إلى (يبرين) ثم إلى (صمان يبرين) دام سيرهم شهراً كاملا هو شهر شعبان ثم استقروا في (صمان يبرين) عشرين يوما من رمضان انظر الخريطة رقم (٦).

(٣) العارض: بفتح العين المهملة، بقدها ألف، وراء مكسورة، فضاد: هو (عارض اليمامة)، ويسمى: (طويق)، ويسمى: (اليمامة) أيضاً... انظر معجم اليمامة لابن خميس جـ٢/ ١٢٩.

(٤) الجمال التي تحملهم وتحمل أثقالهم.

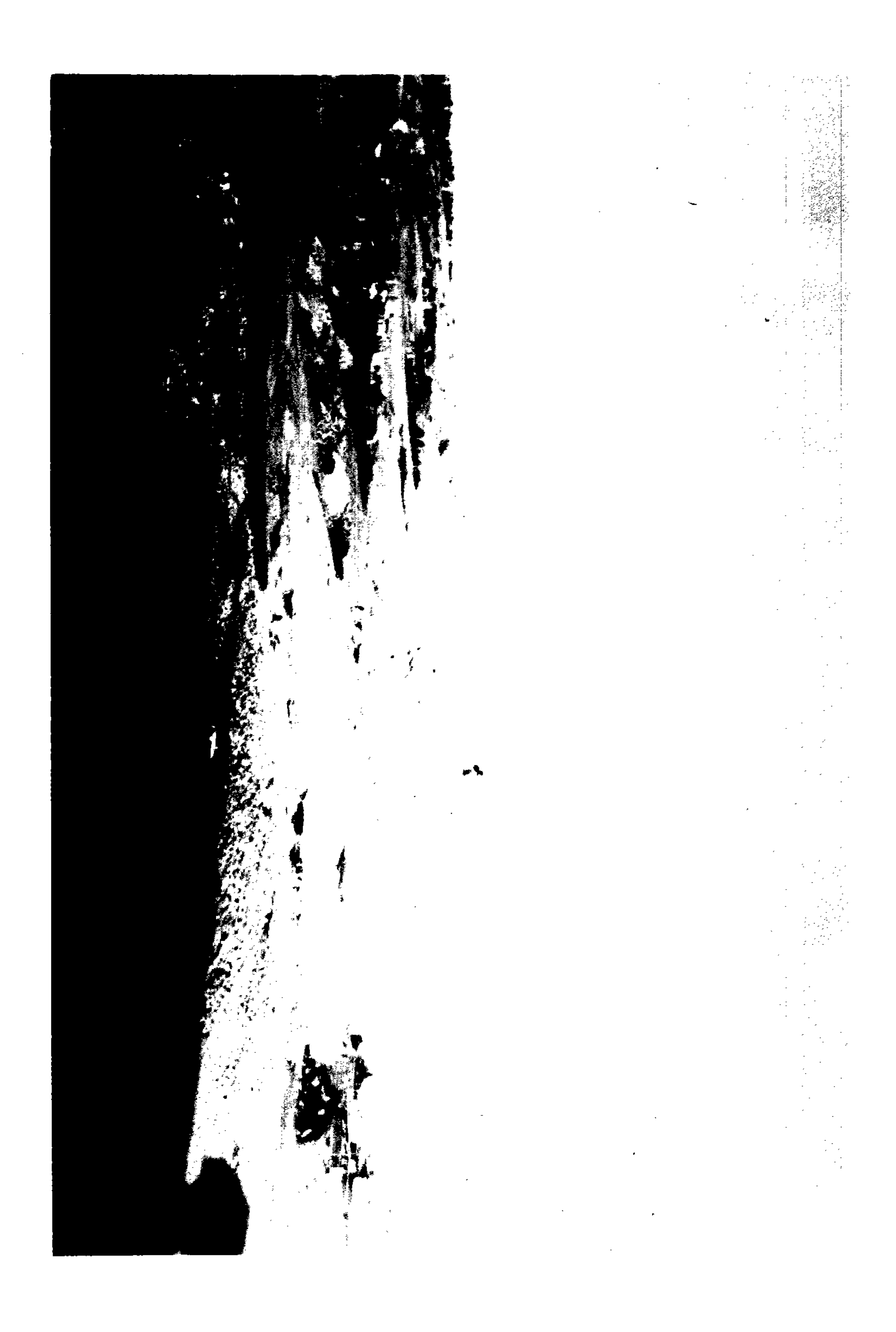
(٥) أبو جفان تقدم وصفه في ص( ).

(٦) يعنى الرياض.

(٧) اسم المسمك بفتح الميم وسكون السين المهملة ثم ميم مفتوحه فكاف وهو الصواب.

(٨) هو: عبدالعزيز بن متعب بن رشيد.

(٩) من ابى جفان.



الشعيب [1] يبعد عن البلد ساعة ونصف للرجلى هنا تركنا رفاقنا وجيشنا على أرجلنا (الساعة السادسة ليلا)، وتركنا عشرين رجلاً عند الجيش [2] ، والأربعون مشينا لانعلم مصيرنا ولا غايتنا، ولم يكن بيننا وبين أهل البلد أى اتفاق».

«بعد أن أقبلنا على البلاد، أبقيت محمدا أخي ومعه ٣٣ رجلاً [3] من أخويانا ومشينا ونحن ٧ رجال، أنا وعبدالعزيز بن جلوى، وفهد عبدالله بن جلوى، وناصر بن سعود، ومعنا المعشوق، وسبعان من خدامنا».

(١) قال الراوى : ضلع الشعيب هو التل الموجود حالياً في شرق محطة القطار، وليس أبو مخروق كما يقولون.

(٢) قال الراوى: أن العشرين الذين أنضموا إلى ابن سعود فيما بعد

أ ـ منصور بن فريج.

ب ـ سعد بن بخيت من موالى آل سعود.

ت ـ محمد بن الوبير الشاملى.

ث ـ زيد بن زيد صاحب نخل الرياض.

جـ ـ صطام أبا الخيل المعرقب المطيرى.

حـ ـ سعود آل مبروك من موالى آل سعود.

د ـ محمد بن هزاع من أهل الدرعية.

ذ ـ فهد بن شعيل الدوسرى.

ر ـ فيروز من مماليك عبدالعزيز.

ز ـ سالم الوفيجح.

س ـ سلطان (مملوك لعبدالعزيز).

ش ـ سعد بن هديب.

ص ـ زايد بقمى السبيعى.

ض ـ نافع الحربي.

ط ـ عبيد (أخو شعوى) الدوسرى.

ظ ـ حترش العرجانى.

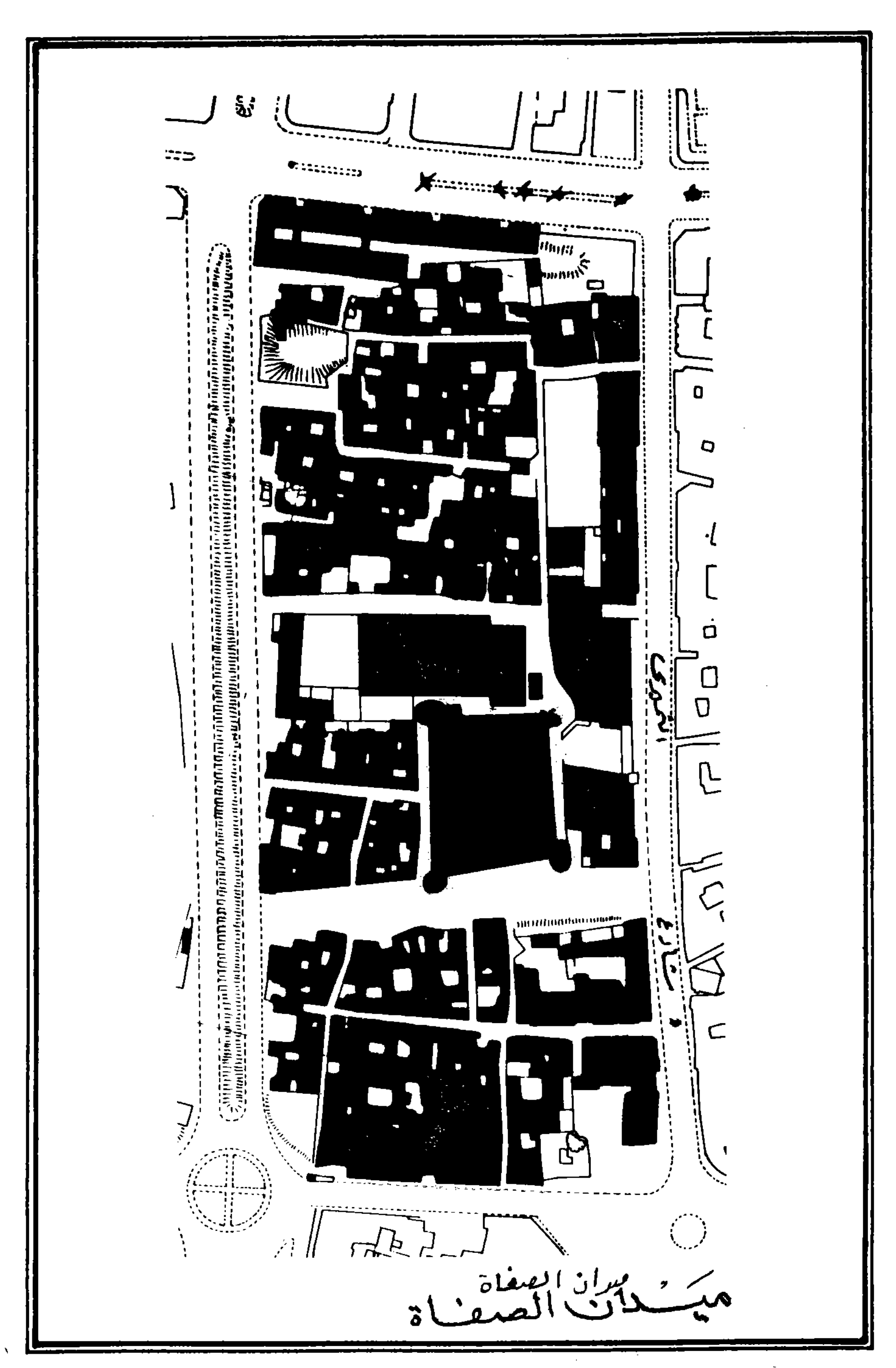
ع ـ مطلق بن جافال.

غ ـ منار العنزى.

ف ـ عبدالله بن مرعيد.

ق ـ فرحان آل سعود.

(٣) في بستان الشمسية الذي كان فيما بين عمائر الراجحى وخزان مياه الرياض ووزارة التجارة.


ميدان الصفاة
ميدان الصفاة

«افتكرنا ماذا نعمل فوجدنا بيتا بجانب الحصن الذي فيه حرم منصوب ابن رشيد. كان صاحب البيت يبيع البقر وهو رجل شايب اسمه جويسر للآن حي [1] ».

«وكان [2] له بنات يعرفنني بسبب مجيئي الأول للرياض يوم الصريف [3] وكان واحد اسمه (ابن مطرف) يخدم عند رجاجيل ابن رشيد في القصر، دقيت الباب، فخرجت احدى البنتين والباب مصكوك.

وقالت : (من أنت)؟

قلت : (أنا ابن مطرف ارسلني الأمير عجلان يريد من أبيك أن يشتري له باكر بقرتين وأريد أن اقابل أباك).

قالت : (ماتخسي ياابن الملعونه، هل أحد يضرب بابا على نساء في الليل إلا وهو يبغي الفسق، أخرج رح).

قلت : (هين أنا الصبح أقول للأمير وهو يذبح أبوك).

لما سمع أبوها الكلام خرج مرعوباً وفتح الباب وكان خائفاً فلما فتح الباب مسكته وقلت :

(اسكت ياخبيث). عرفني الحريم وصحن :(عمنا عمنا).

---

(١) كان حيا عند ماكان الملك يتحدث للمؤلف.

(٢) في الاصل وكانت.

(٣) معركة الصريف الأولى بين أبن رشيد من جهة وابن صباح والإمام عبدالرحمن من جهة أخرى وقعت في ١٣١٨/١١/٢٦هـ.

فقلت : (بس بس) [1] مسكنا الحريم بنات جو يسر ووضعناهم في الدار وقلت : «صكوا عليهم» [2] .

أما والدهما فإنه خاف وهرب من البيت ونحن نظنه محبوسا، فهرب واختبأ في ضلع البديعه [3] ، والحريم ظلوا في الغرفة محجوزين. ورأينا بعد ذلك أننا مايمكن نطمر [4] من هذا البيت إلى بيت عجلان، ووجدنا أنه يوجد بيت وراءه فيه حرمه وزوجها فقفزنا من هذا على البيت الثانى ووجدنا الحرمه نائمه مع زوجها. لففناهما بالفراش وهما نائمان وأدخلناهما إلى دار وسكرناها وتهددناهما بالذبح ان تكلما. ارسلنا عبدالعزيز وفهد ابن جلوى إلى أخى محمد خارج الديرة [5] وجاء محمد ورفاقه، ودخلنا البيت واسترحنا قليلا إلى أن تحققنا أن خبرنا لم يفتضح بعد».

ابقيناهم (أى محمد واخوياه) في البيت، ونحن الآخرون نركب بعضنا فوق البعض الآخر، وحولنا على بيت عجلان ونزلنا إلى داخله، وكانت معنا شمعه فطفنا في البيت قبل أن نجيء إلى محل نوم عجلان، مسكنا الخدم الذين فيه وحبسناهم في دار وصكينا عليهم، ثم مشينا إلى محلّ نوم عجلان وخلينا خمسة عند الباب وواحد معه الشمعة، وأنا دخلت وفي البندقية فشكة، فلما أقبلت وجدت عجلان نائماً مع زوجته، فرفعت الغطاء وعندها تحقق لى خيبة ظنى، أنه ليس بعجلان، والحرمة زوجة عجلان وانما هي وأختها نائمتان معا. اخذت الفشكلة من البندق واخرجتها ثم وكزت الحرمة فنهضت فلما رأتنى صرخت (من أنت).

---

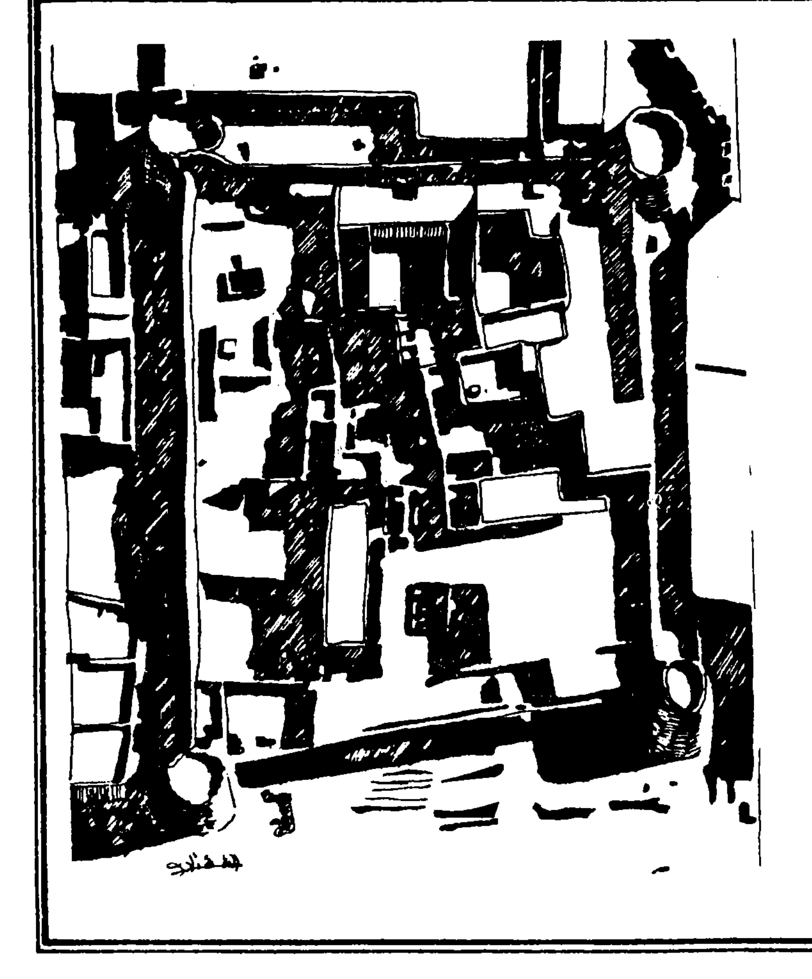
(١) بمعنى : كفى كفى.

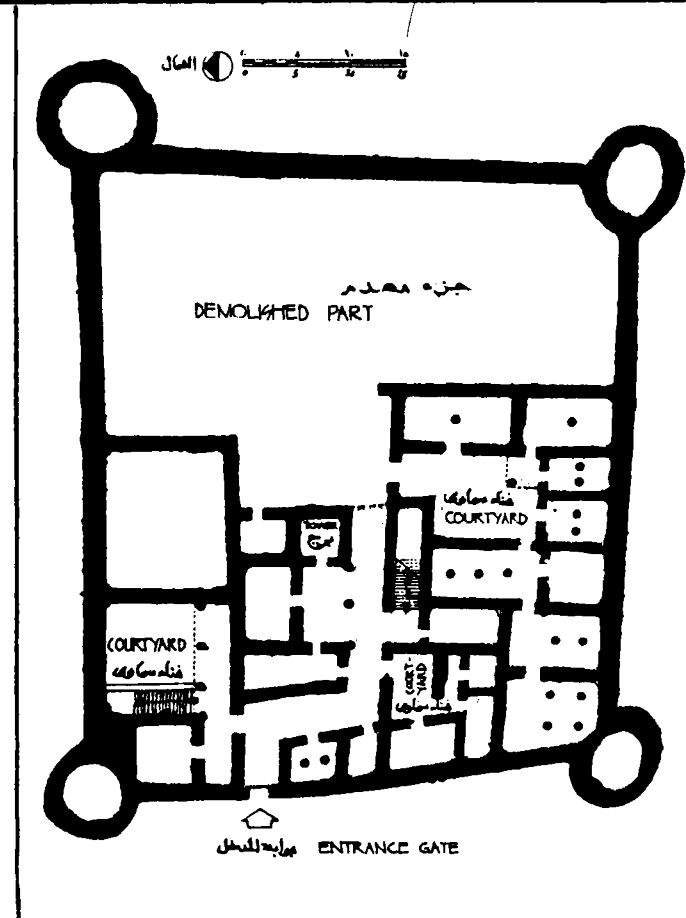
(٢) أى حجزهم في احدى الغرف الداخلية حتى لايتصل أحد ولا يتصلن هن بأحد.

(٣) الواقع غرب وادى حنيفه وهو بداية حى السويد.

(٤) طمر بمعنى: قفز.

(٥) في بستان الشمسية.




الشمال
جزء مهدم
DEMOLISHED PART
فناء سماوي
COURTYARD
COURTYARD
فناء سماوي
COURT-YARD
بوابة المدخل ENTRANCE GATE

فقلت : (بس انا عبدالعزيز)، أما هى فكانت تعرفنى وابوها وعمها خدام لنا وهي من أهل الرياض[1] .

قالت : (ماذا تريد)؟

قلت : (أدور رجلك[2] يافاجرة يالي تأخذين شمر).

قالت : (أنا غير فاجرة، أنا ما اخذت شمر إلا يوم تركتنى): (أنت و يش جايبك).

فقلت : (أنا جيت ادور رجلك لأقتله).

قالت : (أما زوجى فلا ودى تقتله، وأما ابن رشيد وشمر فودى تقتلهم جميع ولكن كيف تقدر على زوجى، وزوجى محصن في القصر ومعه ٨٠ رجل ويمكن لو اطلع عليك أخاف ماتقدرون تنجوا بأرواحكم وتخرجوا من البلاد[3] . تكلمت عليها وسألتها عن وقت خروج زوجها من الحصن)ز

قالت : (أنه مايخرج إلا بعد ارتفاع الشمس بثلاثة ارماح) أخذناها وصكينا عليها مع الخدم ثم احدثنا فتحة بيننا و بين الدار التي فيها أخى محمد ودخلوا علينا. كان الليل عندئذ الساعة التاسعة والنصف والفجر يطلع على(١١)، فلما اجتمعنا في المحل استقرينا[4] وتقهوينا وأكلنا من تمر معنا ونمنا قليلا ثم صلينا الصبح وجلسنا نفكر ماذا نعمل، قمنا وسألنا الحريم من الذي يفتح الباب للأمير اذا جاء؟

قالوا : فلانة.

---

(١) قال الراوى: هى أخت لعبدالعزيز من الرضاع ومن أسرة آل حمد من أهل الرياض.

(٢) زوجك.

(٣) تعنى : الرياض.

(٤) استقرينا : قال في القاموس المحيط استقرى، واقترى، وأقرى : طلب ضيافة وهو مقرى للضيف.



فعرفنا طولها فلبسنا رجلا منا لباس الحرمة التي تفتح الباب وقلنا له : استقم غند الباب فاذا دق عجلان افتح له ليدخل علينا. رتبنا هذا وصعدنا إلى فوق في غرفة فيها فتحة نشوف باب القصر و بعد طلوع الشمس فتحوا باب القلعة وخرج الخدام على العادة إلى أهلهم لأنهم كما ذكرنا اصبحوا حذرين من يوم سطوتنا الاولى ثم فتح باب القلعة وأخرجوا خيولهم وربطوها في مكان واسع. لما رأينا باب القلعة مفتوحاً نزلنا لأجل أن نركض للقلعة وندخل القصر بعد فتح الباب.

بنزولنا خرج الأمير[1] ومعه خدمه قدر (عشرة) رجاجيل قاصداً بيته الذي نحن فيه، وبعد خروجه اقفل البواب بابه وراح لأسفل القصر وترك الفتحة، نحن عند نزولنا ابقينا أربعة بواردية.

وقلنا : اذا رأيتمونا راكضين اطلقوا النار على الذين عند باب القصر فلما ركضنا كان عجلان واقفا عند الخيل فالتفت الينا مع رفاقه ولكن هؤلاء الرفاق ماثبتوا بل هربوا للقصر وحينما وصلنا إليه كان الجميع دخلوا ماعدا الأمير عجلان هو وحده.

أما أنا فلم يكن معى غير بندقى وهو معه سيفه رد لى السيف وهو يومى بالسيف ووجه السيف ماهو طيب غطيت وجهي وهجمت بالبندقية فثارت وسمعت طيحت السيف في الأرض يظهر أن البندق اصابت عجلان[2] ، ولكنها لم تقض عليه، فدخل من الفتحة[3] ، ولكنى مسكت رجليه فمسك بيديه من داخل (الخوخه) ورجلاه بيدى، أما جماعته فقاموا يرموننا بالنار،

---

(١) عجلان بن سالم.

(٢) في يده اليسرى.

(٣) الخوخه المربعة في وسط باب (المسمك) وأضلاعها ٦٤ × ٦٠ سم انظر الصورة.

ويضربونا بالحصى أيضاً، ضربني عجلان برجله على شاكلتي ضربة قوية أنا يظهر غشيت من الضربة فأطلقت رجليه فدخل، بغيت أدخل فأبى على أخواياه ثم دخل عبدالله بن جلوى والنار تنصب عليه، ثم دخل العشرة الآخرون، فتحنا الباب [1] على مصراعيه وجماعتنا ركضوا لامدادنا وكنا أربعين والجماعة الذين أمامنا ٨٠ ذبحنا نصفهم [2] ثم سقط من الجدار [3] أربعة وتكسروا والباقون حوصروا في مربعة ثم امنّاهم فنزلوا، وأمنا عجلان فذبحه ابن جلوى [4] .

ثم جاءنا أهل البلاد [5] فأمناهم وسكنا يومنا وليلتنا ثم شرعنا في بناء السور[6] ، اركبنا ناصر بن سعود بالبشارة لمبارك ووالدى وطلبنا المدد».

«وبعد شهر أرسلوا لنا أخي سعد ومعه مائة رجل وبعض الذخيرة من الكويت وكان السور قد تم بناؤه، وكان ابن رشيد في واجهة الكويت والعراق فسمع بنا أهل نجد القريبون، جاؤونا، والبعيدون جاءنا منهم اناس وصار عندنا في البلد قدر ألف من أهل نجد».

قال الشاعر حسين بن نفيسه، في فتح الرياض:

تألق في الهوجا الهدى ثم انورا	ونادى مناد العدل والجور ادبرا
واخصب منها الربع اذا كان ممحلا	وامطر فيها الجود حتى تكثرا
وصارت على رغم الانوف بسبة	لأيمن محمود السجايا غضنفرا

(١) باب المسمك الكبير وارتفاعه اربعة امتار وعرضه مترين وستون سم.

(٢) قتل أربعون من حرس المسمك التابعين لعجلان أثناء الاشتباك.

(٣) جدار المسمك والذي يبلغ ارتفاعه تسعة امتار.

(٤) عبدالعزيز بن جلوى آل سعود.

(٥) من اهل الرياض وضواحيها.

(٦) السور الحائط على الرياض حينذاك.

فآب بها الناس ترنوا عيونهم واصدقها بالسيف ضربا منكرا
ابا شبل من قد صدق القول فعله مع الصبح لما أن أهل وكبرا
أتاها برهط أو يزيدون نصفهم وقال لهم أمالنا أو لنعذرا
وقال اثبتوا فالموت طرق رقابكم فما الذل دفاعا لما الله قدرا
فأزمرهم حتى لأمر تعاقدوا يمينا على أن يجعلوا الموت مصدرا
لعمرك ما نال العلى مثله فتى سطا اذ سطا في عاقب ما تفكرا
فقادهم كالليث في وثباته اذا صال تخشى باسه اسد الشرا
وتبا لمن يحمل من الهم ثقله اذا كان ضرب المشرفيات افخرا
فصبح أهل القصر حتى أبادهم أبت دون العلى أن تصبرا
فأسقاهمو كأس الحمام على قلا ومنها سقى عجلان حتى تقطرا
مكور فحان المكر منه مقاتلاً فمن شؤمه أن واجه الله مدبرا
خلائف سؤعن هدى الله اضربوا ووافقهم من باع دينا وما شرا
فردوا هداة الحق لاينفذونه واهل الخنى كانوا صحابا وشورا

إلى قوله :

فغار لها رب السموات آنفا رحيا وقصاما لمن كان غيرا
اذا جاء أمر منه فينا مدبر غدا كل امر دون ماجاء ابترا
أيا وقعة من صادق صار مقتد بما كان من جد قديم له جرا

حنانيك من قال الدليل لسانه جمعت ضعاف المسلمين من القرا

فاغدقهم بالفضل حتى تمولوا وأودعهم نجل الكرام المطهرا

اصول نشت في الدين طابت فروعها فنها جنينا الطلع من حيث اثمرا

وهم عابد الرحمن اعنى وعقبه مصاليخ ناس دارعين وحسرا

فما المجد إلا منهم واليهم بقاياه سل عنهم خبيراً لتخبرا

فلما استباح الدار عبد عزيزهم بلامنة للظاعنين وحضرا

إلى قوله :

وقام لأمر المسلمين برأية لحاملها التأييد أن سار أو سرا

يجر الخميس الزحف ان ناب نائب كدفاع موج البحر لما تزخرا

تر له في الاطوال كل طمرة وكل كميت صادق العدو احمرا

عليها من الفتيان صبح مفارها سلالة امجاد وسادات حسرا

الـدلـم

التعريف الجغرافي :

الدلم بكسر الدال المهملة فلام مفتوحة فيم: احدى المدن التابعة للخرج، بها امارة، وفيها الدوائر الحكومية الاخرى وبها المرافق العامة وبها المزارع، والنخيل والبساتين الجميلة وبها العمران وترتبط بالخرج حالياً، وقد كانت قاعدة اقليم الخرج، ذكرها الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب، حيث قال:

والدام: «قف بظهره البياض وفيه مياه منها الخويرات والثلماء والاكبشة، ثم ينحدر في نخل جو وحصون منها القبيب وذو الاراكة والأقعس والريان والعيون والظبية، وعن يساره ذلك العين التي يخرج منها السيح الكبير ومن عن يمينه المنصف وهو حصين لبنى عامر ابن حنيفة ثم المنيصف وهو المنخرق منخرق نساح، ثم اسفل من ذلك القرى من اليمامة الضبيعة والملحاء والخرج»[1] ا . هـ.

قلت: وان كان ورد الاسم بلفظ (الدام) فإن الدليل قائم على أنها الدلم الحالية : وقد أوردت الكثير مما قاله الهمداني : ليعلم القارىء ذلك، وقد استشهد العلامة ابن خميس في معجمعه اليمامه بكلام الهمداني هذا. وقال عن الدلم.

«أنها قاعدة اقليم الخرج قديماً وأكبر مدنها... إلى قوله: وكان اسمها قديماً الخرج وكان اسم المنطقة جوا وربما أضافوا. فقالوا جوا الخضرمة»[2] ا. هـ.

---

(١) ص ٢٨٢.

(٢) ج١/ ٤٣١ ـ ٤٣٥.

الموقع الجغرافي :

تقع الدلم في الجنوب الشرقي من المنطقة الوسطى وفي غرب منطقة اليمامة ككل، وفي تقاطع خطى العرض ٩، ٢٣ درجة شمالاً والطول ١، ٤٢ شرقاً.

المنـــــاخ :

المناخ صحراوى شديد الحرارة صيفاً، درجاته من ٤٠° ــ ٤٣° درجة و بارد شتاء وتبلغ درجة برودته من ١١° ــ ٩° درجة.

والارتفـــــاع :

متوسط سقوط الامطار	الارتفاع التقريبى بالامتار
٢٧٫٥ ملم	٤٣٠ متر

الوصف الجغرافي :

الدلم أرض منبسطة تكسو المزارع معظم أراضيه، ففي جنوب الخريطة تقع المدينة، ثم يليها أراضى زراعية فسيحة، ثم آثار تسمى «حلة ابن زامل» القديمة يليها خندق وسور مبنى من اللبن (الطين) يمتد من جهة الشرق إلى الغرب و يرتفع ذلك السور مترين وله دعامات بشكل نصف دائرى لتثبيته والمحافظة عليه من التلف.

و يبلغ طول السور والخندق أربعمائة متر، ثم يليه من الشمال المزارع والأشجار الكثيفة، ثم أرض منبسطة أسمها (المحمدى)، ثم يليها المزارع والبساتين وتسمى أرضها نعجان. يوجد في شرق الخريطة رمال الضاحى وفي غربها ضلعان أبو ولد وجنوبها ضلع الصحن، وترتفع الضلعان هذه عما ، يليها بـ(ستين مترا).

المســـاحــة :

تبلغ المساحة الموضحة بالخريطة لموقع المحمدى من الشرق إلى الغرب ثلاثة أكيال، ومن الجنوب إلى الشمال كيلين.

الحـــــدود :

نجد المنطقة من الشرق رمال (الضاحى) ومن الغرب ابو (ولد) و(الصحن)، ومن الجنوب مدينة (الدلم) ومن الشمال (نعجان)ـ انظر معركة الدلم في الخريطة (٧)٠

معركة الدلم

بين يدى المعركة :

بعد أن تم لابن سعودماينشده وهو فتح الرياض والسيطرة عليها وعلى ما حولها، وتهدئة الناس فيها.

أخذ ابن رشيد يفكر في اشغال ابن سعود وزعزعته واثارة القبائل عليه وقطع التجارة فيما بين الكويت والرياض، وفيما بين البصرة والبحرين والأحساء، فقام يعيث في الأرض شرقاً وشمالاً وجنوباً للحصول على ماينشده.

الموقف العـــام :

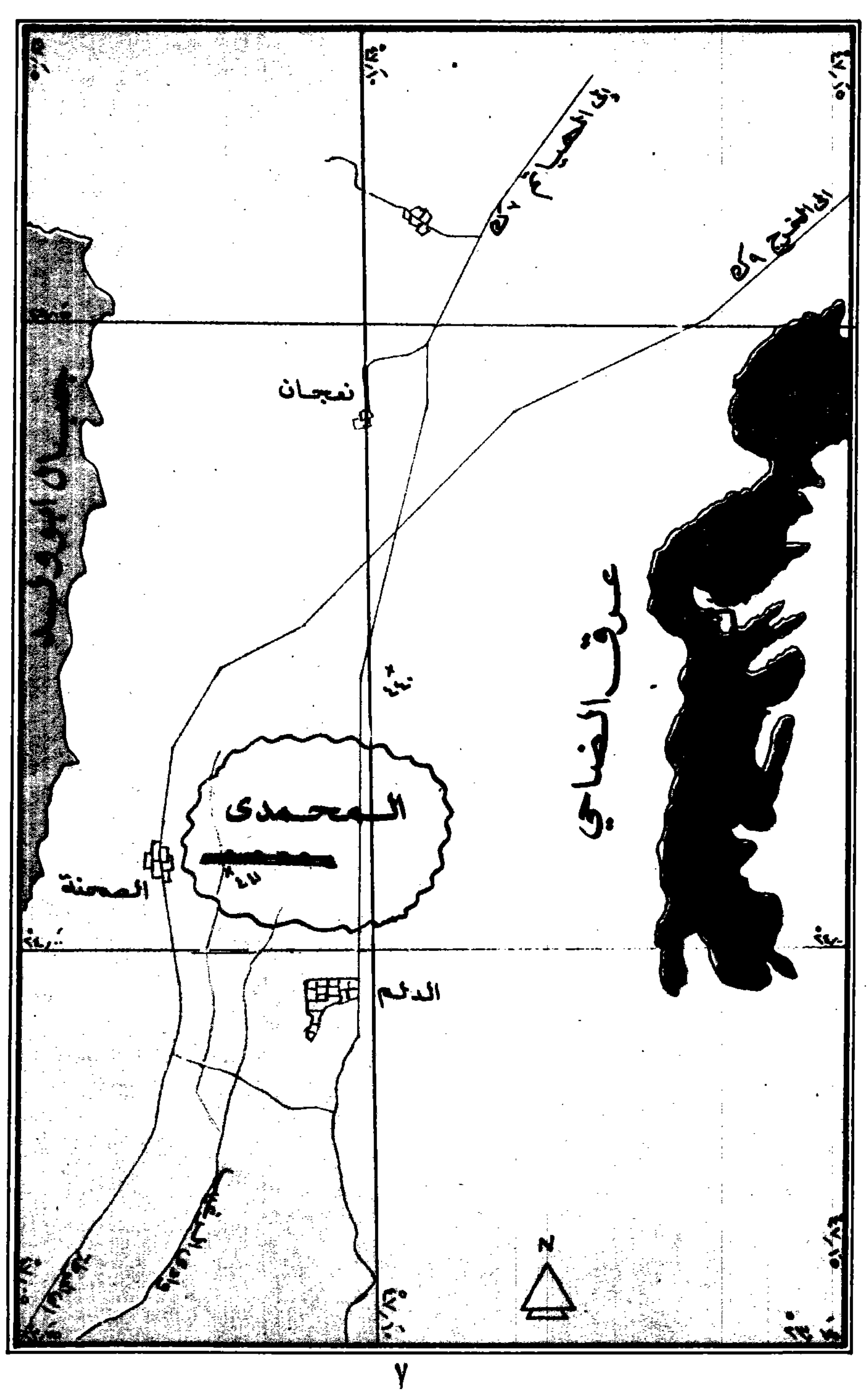
ابن رشيد :

علم ابن رشيد ماحققه ابن سعود بعد فتح الرياض من انتصارات ومن موالاة القبائل التي تدخل في طاعته يوماً بعد يوم و يعلم أن فيه قوافل تجارية تغذي الرياض من البصرة والكويت، كما أن فيه إمدادات عسكرية بين ابن صباح وابن سعود، وأراد ابن رشيد أن يترصد لها في الطريق لسلبها ونهبها.

فخرج في قوة كبيرة يريد منطقة حفر الباطن لاقتناصها.

ابن سـعود :

بعد أن أنهى الترتيبات الهامة كافة، لإرساء قواعد الأمن والاستقرار في الرياض وما جاورها، أخذ يغير على القبائل المجاورة من قحطان في القويعية


المحمدى
نعجان
الصحنة
الدلم

وما حولها وعتيبة في حلبان والشعراء والدوادمى، ومنطقة الوشم وما حولها، والتي آلت لآل ابن رشيد بعد أن فقدت حكم آل سعود إحدى عشرة سنة وكان خلال هذه العمليات قد مرض مرضاً شديداً.

وقد جعل والده بعد أن وصل من الكويت موجهاً له مرشدا وقائماً في الرياض لينير له السبيل.

وصل إليه أخبار ابن رشيد وما ينويه،

فرسم مع والده مخططاً، المقصود منه أحد أمرين: إما أن يأتي ابن الرشيد على أثر ذلك المخطط إلى الرياض فيقتل وينتهون منه أو أنه يقاتله في معركة ويقضى عليه فقام ابن سعود فبث دعاية في شمال الرياض وجنوب الحفر وهى أنه خرج من الرياض هارباً إلى الكويت خوفاً من ابن رشيد.

ابن رشيد :

فعلاً وصلت الدعاية إليه، فجاء مسرعاً ليحتل الرياض ونزل على موارد (ببان) الواقعة شمال الرياض ثم نشر استطلاعاته فحققت له ذلك الخبر، فزحف حتى وصل موقع حيِّ(المرسلات) وحيِّ (الملك فهد)، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٠هـ.

فوجد الرياض محصنة ووجد عبدالرحمن بن سعود فيها ووجد أخبار عبدالعزيز بن سعود تفيد أنه في منطقة اليمامة، فذهب لملاحقته فنزل (السلمية) فقاومه السكان كلهم، ومنعوا عنه الماء والأرزاق، فخرج واتخذ من (نعجان) مقرا له ولقواته، أنظر الخريطة (٧).

وكان قد بعث أناسا من الموالين له لاستمالة قبائل يام والعُجمان والدواسر وغيرهم من منطقة اليمامة.

ابن سعود :

بعد أن قام بحيلته تلك خشي من حقيقتها فزحف في قوة تقدر بكتيبه ودخل (الخَرْج) و(السِلْمِيَّة) و(الدّلِم) فرحبوا به وأكرموه و بايعوه.

فأراد المزيد فخرج إلى (الحَوْطَة) وأبقى الأمير أحمد السديري قائداً لسرية ترابط في (الدّلِم)، وقال له أريدك على استعداد تام للزحف إلى (الرياض) ان هجم ابن رشيد عليها وإن أتانا هنا فأنا سأكون عندك لملاقاته.

وخرج إلى (الحوطة) وقد جاء اليها من الجنوب ونزل من قفاف الخشنة فيما بين مدينة (الحَرِيْق) غرباً وقصور (آل خَثْلاَن) جنوباً ثم اتخذ من القصور مقراً له حتى قدمت له (الحَرِيق) البيعة.

ثم سار من (الحريق) إلى (الحوطة) فاستقبل هناك، وبعد أن تم له الولاء عليها جاءته النذر من أحمد السديري في (الدلم) أن ابن رشيدوصل (السلمية) وسيهاجم (الدلم).

فأسرع ابن سعود إليها ووصلها ليلاً ثم اجتمع بقواته واستعرض مع قادته آخر التطورات عن ابن رشيد فوجده قد نزل (نعجان) ومنعه سكان (السلمية) و(الخرج) والقرى المجاورة من دخولها، كما منعوا عنه الماء والزاد من أسواقهم فاتجه إلى (الدلم) التي سيهاجمها في الصباح الباكر.

سير المعركة :

تقدم ابن رشيد في الصباح الباكر لمهاجمة (الدلم) وكان قد علم من استطلاعاته أن ابن سعود خارج (الدلم) وخفي عليه أن ابن سعود قد دخلها ليلة البارحة.

أمر ابن سعود فرسانه بمهاجمة فرسان ابن رشيد، بعد ان نصبت لقوات ابن رشيد كميناً في مزارع (المحمدى)، وقد كانت أرضا لا زراعة فيها حينذاك وكان ذلك الكمين يتكون من سرية قوامها مائتا مقاتل، وقد تحصنوا في خندق طوله أربعمائة متر مبنى من جهته الشمالية بسور من الطين بارتفاع مترين يتخلله أربعة أبراج دائرية الشكل بارتفاع خمسة أمتار.

تقدمت قوات ابن رشيد وهي آمنة بخلو المنطقة وكان ساعة التقدم طلوع الشمس، فاشتبك الطرفان على أرض المحمدي ودارت المعركة بينهما ودامت سبع ساعات كانت النتيجة كمايلى:

الخسائر :

ابن رشيد :

قتل سبعة من قواته وجرح خمسة عشر وأسر ثمانية عشر كلهم من أهل (لبدة) من شمر.

ابن سعود :

قتل من قواته ثلاثة أشخاص وجرح سبعة آخرون.

قوات الطـــــرفين :

ابن رشـــيد : أربعة آلاف مقاتل، وأربعمائة فارس.

ابن سعـــود : ألف وثمانمائة مقاتل، وستون فارساً.

النهـــاية :

انسحب ابن رشيد : إلى السلمية جنوب الخرج وتعقبته قوات ابن سعود حتى غربت شمس ذلك اليوم، وفي الصباح الباكر خرج من السلمية بعد أن جمع فلوله وولى إلى حدود الكويت.

أما ابن سعود : فقد تم بينه وبين بنى تميم العهد على الولاء والمسانده ودخلت تحت طاعته الحوطة والحريق والدلم والسلمية والخرج والأفلاج وخرج من تلك المناطق عائداً إلى الرياض، منتصراً في أول مقابلة قتالية مع ابن رشيد.

الملك عبد العزيز يصد الغزاة

لك الحمد اللهم يا واسع المجد ... ولا الله أولى بالجميل وبالحمد

لك الحمد يامنان ياواسع العطا ... لك الحمد حمداً ليس يحصى بلاحد

لقد منّ مولانا علينا بلطفه ... واحسانه والله ذو المد والمجد

لقد جاءنا الأعدا على حين غفلة ... وفي هجعة من آخر الليل بالجرد

على عدة منهم وشدة أهبة ... وغيظ وايعاد عنيف بما يرد

وما كان منا عالم بمجيئهم ... الينا ولا كنا على أهبة تجدى

فجاء الطغاة المعتدون بخيلهم ... وجندهم المخذول يمشى على وخد

إلى أن غشوا كل البلاد وأحدقوا ... بارجائها واستنجدوا كل ذى كمد

يريدون أن يسطوا على البلد التي ... أبى الله أن تسطو به غارة الضد

فنبهنا الله اللطيف بفضله ... ورحمته حتى كأنا على وعد

فثرنا كآساد الشرى نبتغي الوغا ... إلى السور والأبواب نعدوا بلا عد

فلله من جند أسود ضراغم ... يسومون في الهيجا نفوسا بلا نقد

مساعير في الهيجا مداعيس في الوغا ... ليوث شرامن طبعها الفتك بالضد

فلما استحسر المعتدون بأننا ... شعرنا بهم هابوا القدوم على الجند

ولو قدموا لألقوا رجالاً أعزة ... قد اعتقلوا بالسمهرى وبالهند

وبالصمع حول السور دون نفوسهم   وأمــوالهـم والمحـصنـات بمـا يـردى
فولوا على الأعقاب لم يدركوا المنى   وصـار لهـم شأن سوى مرتما القـصد
وهمتهـم أخـذ الحـمير ومـا عـسى   يـكـون لهـم فيهـا من العز والحـمد
وسـاورهـم مـنـا أنـاس أمـاجـد   قـلـيـلـون كالآساد لـكـن بـلا وعـد
فـسـددهـم ربى وأظفـرهـم بهـم   وأجـلـوهمـو منهـا عـلى كـثرة الجـنـد
وفـي قلـة مـنـا وفي حين غـفـلـة   وعـن كـثرة منهـم عـلى أهـبـة تجدى
فكـر عـلى الأعـقاب نحو بنوده[1]   وثـقـلـتـه قـد آب بـالخـزى والكمد
وقـد قـتـلـت أجـنـاده وأصـابـه   من الـعـقـر في الخـيـل المطهمة الجرد
بمـا فـل منـه الحـد فانـثـل عرشه   وصـار إلـى افـسـاد زرع وفـي وقـد
ولمـا أراد الله اظـهـار عـجـزه   وخـذلانـه سـار الـعـدو عـلى عـمـد
لـشحـم وتخـريـب وافسـاد حرثـنا   وقـطـع مـعـاش المسلمين ذوى الحـمـد
ولـكـنهـم والحـمـد لله وحـده   أصـابهـمـو رعـب شـديـد من الجـنـد
فـلـم يـتـمـكـن جـنـده من مرامهم   وكـف أكـف الـظـالمين ذوى الكمد
عـن الجـد غير ثـمـار فضـل ونـعـمـة   مـن الله مـولانـا فـشـكـرا لـذى الحـمـد
وقـد أيـقـنوا أنـا سـنـعـدوا عليهـم   وقـد حـذروا منـا وان كـان لايجـدى

---

(١) نحو بنوده: البند العلم الكبير فارس معرب وجمعه بنود، انظر معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص ٢٧.

وهل حذر يجدى عن القدر الذي ... يسابق علم الله قد كان مستبدى

فأخرج نحو المفسدين امامنا ... أناساً قليلاً يعتدون على الضد

فوافوهمو قبل الغروب فأمطروا ... عليهم بصوب المارتين التي ترد

فولوا على الأعقاب نحو خيامهم ... وما أحد يلوى على أحد يجدى

وقد قتلوا منهم أناساً وأثروا ... جراحاً كثيراً فات عن حصر ذى حد

وقد صح أن القتل من غير مرية ... ثلاثون نفساً بل يزيدون في العد

فأصبح مرعوب الفؤاد مرزءا ... وخالجه رعب مآب على كمد

وفر هزيما آخر الليل مجنبا ... كسيراً ذليلاً خائب الظن والقصد

فلله رب الحمد والشكر والثناء ... على لطفه فيما نسر وما نبدى

فيا نجل سادات الملوك ذوى التقى ... ومن فاق في جود أطيد وفي مجد

عليك بشكر الله والحمد والثنا ... واظهار دين الله جهراً على عمد

واعزاز أهل الدين واللطف بالورى ... وعفو عن الجانى المسىء بلا قصد

وبالحزم في كل الأمور فأنما ... تنال المنى بالحزم والعزم والجد

ومن جرب الأشياء يكفيه ما جرى ... ومن لم يجربها ببعض على اليد

ومن لم تنبهه الحوادث بالذي ... يحاذره يوما يكون على كمد

وشاور اذا ما رمت أمرا تريده ... فبالحزم والشورى تنل غاية القصد

و يا ملكا فاق الملوك بحسن ما	يروم من الاعزاز للدين عن جهد

ليهنك ياشمس البلاد و بدرها	بنيل المنى والفوز بالعز والمجد

و يا عابد الرحمن يامن سمت به	مآثر آباء كرام ذوى سعد

ملكت فاسجح[1] وابذل العفو والندى	فبالعدل تنجو في غد نائل القصد

حنانيك راع الله فيمن رعيته	وكن حازما فيما تسر وما تبد

لقد كنت ياشمس البلاد مسددا	ورائك محمود وعقباك للحمد

فلا زلت وطأ على هامة العدا	لك النقض والابرام في الحل والعقد

ولازلت مسرور الفؤاد مؤيدا	وضدك في كبت وكمت وفي ضهد

فمن مبلغ عبدالعزيز وجنده	ومن معه أنا علونا على الضد

وما نال الا الخزى والعار والردى	وولى على الأعقاب منكسر الحد

ليهنيك ياعبدالعزيز به الذي	قد اعتز أهل الدين من كل ذى رشد

وأكمد أكبادا وأوهي ذوى الردى	ومن به المولى علينا من المجد

ونصر على الاعداء وهزم جنودهم	فما شم الا عن الرشد في بعد

فسر نحو أعداء الشريعة قاصدا	بهمتك العليا ولا تأل في الجهد

إلى شم أعداء دين محمد	ذوى الغدر والمكر المجرد عن رشد

---

(١) ملكت فاسجح : فاعف وتلطف.

وجر عليهم جحفلا بعد جحفل	وارهبهمو بالصافنات[1] و بالجرد
فانك منصور عليهم مؤيد	وعندهمو من بأسك الخبر المردى
من الذعر والارعاب ماقد أخافهم	وصيرهم كيما يفرون من بعد
وأحسن ما يحلو به الختم أننا	نصلى على المعصوم أزكى ذوى المجد
وأصحابه والآل ماهبت الصبا	وتابعهم والتابعين على الرشد

من قصيدة لسماحة الشيخ سليمان سحمان انظر عقود الجواهر المنضدة الحسان ص ٣٦٢.

(١) الصافنات و بالجرد : الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر والصافن الذي يصف قدميه.

السـر

التعريـف :

السر : بكسر السين المهملة المشدده بعدها راء مهملة، هو : نفود رملية تمتد من قريتى دلقان ولغدان إلى الشمال الشرقي من مدينة القويعية بـ(٥٦) كيلا، وينتهي في قرى (الربيعية) و(الرويضه) و(الشماسية) إلى الشرق من مدينة (بريدة).

يفصل بينه وبين نفوذ (الركيّة) ووادي (الرمّة) وبذلك يكون طوله (٣٤٠) كيلا وعرضه لايتجاوز الـ(٣٠) كيلا.

موقع المعـركة :

يقع السر وسط الجزيرة العربية، وقد وقعت المعركة في تقاطع خطى الطول ٤٧/٤٤°، والعرض ٢٦/٢٥ شمالاً.

أقرب المدن والقرى إلى الموقع :

أقرب مدينة للموقع هي :ـ

١ ـ **(شقراء)** : عاصمة الوشم وتبعد عن الموقع إلى الشرق بـ(٥١) كيلا.

٢ ـ **ساجر** : وتبعد عنه إلى الجنوب الغربي بـ(٣٥) كيلا.

المنـاخ :

مناخ السر وما حوله صحراوي شديد الحرارة صيفاً شديد البروده شتاء بلغت

درجات البرودة فيه سنة ١٤٠٥هـ (٥) درجات مئوية فوق الصفر.

الارتفاع :

يرتفع موقع المعركة عن سطح البحر بـ(٧٦٤) متراً.

الأمطـار :

يبلغ متوسط سقوط الامطار السنوى (١١٩٫٧) مم.

التضاريس لموقع المعركة :

نـفـود رملـى على أرض مرتفعة صلبة تجاورها الصحراء الجافة من الشرق والغرب.

الحـــدود :

يحـد الموقع من الشرق نفود (الملحاء) وجبل (غراب) وعروق (المواصل)، يلـى هـذه المواضـع مـن الـشـرق مـديـنـة (شـقـراء) وقـريـة (اشـيـقر) ونفود (الثويرات).

ومـن الـغـرب مدينة (ساجر)، وقرى (العيون) وقصر (السكران) وبلادين (السكران)، و(الفَيْضَة) وضلع (الفيضة و(الأرطاوى) و(الجنيفة)..

ومـن الـشـمـال ابـرق (مِـغْـلِـث) ونـفـود (السر) ومن الجنوب نفود (السر) و(عُسَيْلَة) و(البتر).

معركة السر

(ابن جراد)

تقديـــم :

عـندما فتح ابن سعود الر ياض و بسط يده عليها وعلى من حولها واحتل اليمامة من بلدان الحر يق والحوطة والافلاح، ووقعت بينه و بين ابن رشيد أول مـعـركـة في الدلم فانتصر ابن سعود على ابن رشيد الأمر الذي هز كيان ابن رشـيـد، وأصبح يخاف من ابن سعود لئلا يتقدم على مناطق الوشم والقصيم، لان المـنطقتين لهما أهميتهما عند ابن رشيد خاصة، فرأى أنه لابد من ايجاد قوة عسكر ية نظامية ولابد من السعي إلى استمالة القبائل في المنطقتين تلك.

وكـان ابـن سـعـود بالفعل يخطط لاحتلالهما و يترقب الفرص الملائمة التي تمكنه من ذلك.

الموقف العـــام :

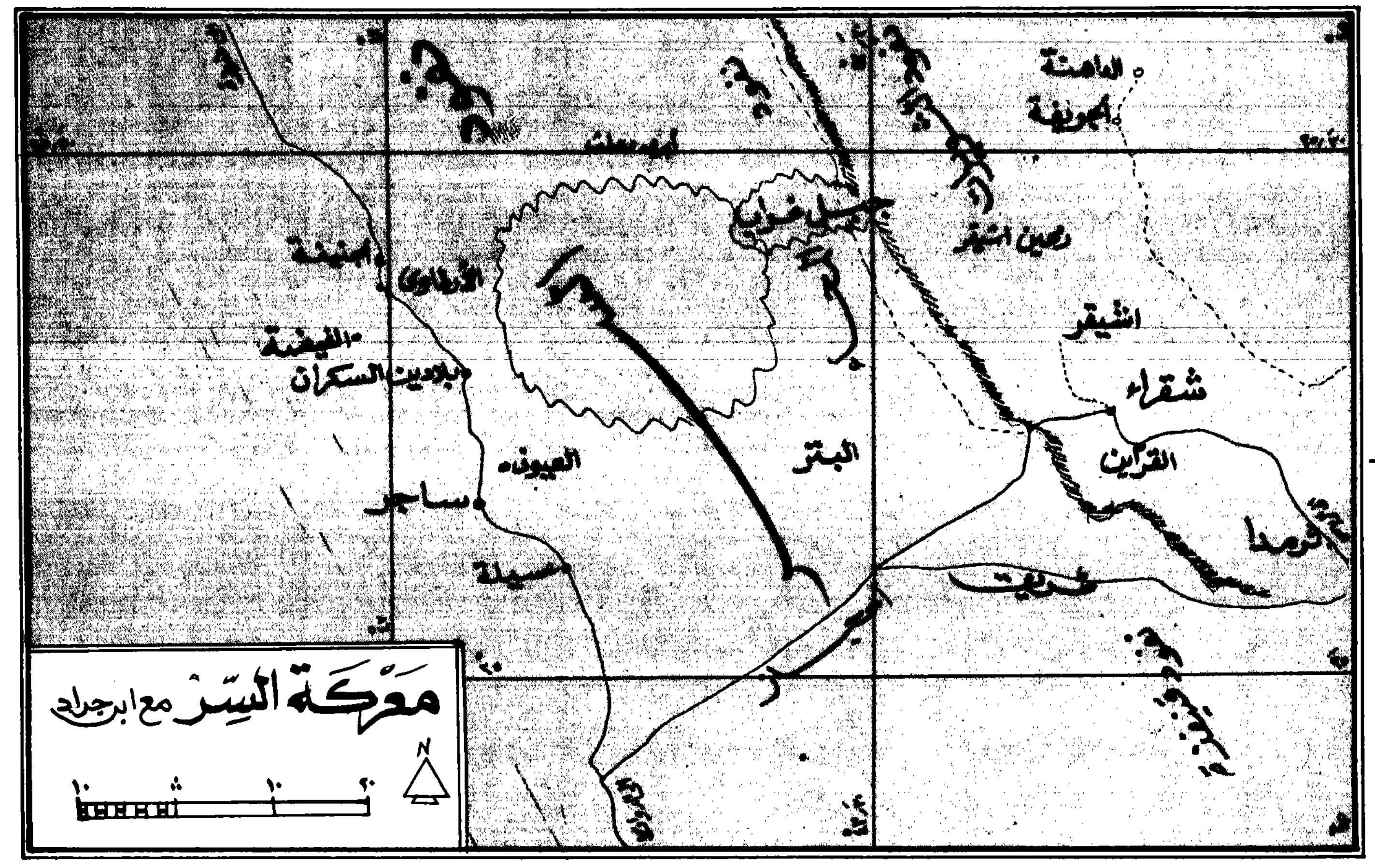
ابن رشيد :

جهز ابن رشيد قوتين :

الأولى : وقـوامها اربعمائة وثلا ثون مقاتلا بقيادة ابن أخيه/ ماجد ابن حمود ابن رشيد، أمره باتخاذ (عنيزة) مقرا له ولقواته.

الثانية : وقـوامـهـا ثـلا ثـمـائـة بقيادة حسين بن جراد وأمره أن يزحف إلى الوشم و يتخذ من (السر) مقرا لقواته.

وأَمّرَ على بر يدة/ عبدالرحمن بن ضبعان لحفظ النظام فيها.


معركة السر مع ابن جراح
N
الداهنة
عين اشيقر
اشيقر
شقراء
القراين
البتر
ساجر
الأرطاوي

وبعد أن أمن على منطقتى القصيم، والوشم، وأعطاهم وعوده بجلب قوات تركية لحمايتهم من أى اعتداء.
وغادرهم إلى العراق في أول شهر ذى الحجة ١٣٢١هـ.

ابن سعود :

علم ابن سعود بكل ما عمله ابن رشيد في شأن القصيم والوشم، فتبادل الرأى مع والده الإمام عبدالرحمن الفيصل فقال «له هذه فرصتك ياولدى فانتهزها سريعاً».

فأمر بتجهيز قوة وزحف بها إلى السر حيث يقيم حسين بن جراد وقوات ابن رشيد.

سير المعركة :

في صباح يوم الأحد الثامن عشر من ذى الحجة سنة ١٣٢١هـ هاجم ابن سعود بقواته حسين بن جراد في (السر) واشتبك الطرفان في معركة قوية حاسمة كانت عبرة لابن رشيد ونصراً لابن سعود، وهي ثاني معركة ينتصر فيها ضد ابن رشيد بعد (الدلم).

الخسائر :

قوات ابن سعود : قتل منهم أحد عشر وجرح ثلاثة وخمسون.

قوات ابن رشيد : قتل منهم مائتان وتسعة قتلى وجرح سبعون آخرون.

وفيها قال سماحة الشيخ/ سليمان بن سحمان قصيدته التي هنأ بها القائد الظافر/ عبدالعزيز آل سعود، فقال :

معالى الامور الساميات المعالم ... لاهل التقى والجود أهل المكارم

وبالحزم للاعداء وبالعزم في الوغى ... تنال العلى بالمرهفات الصوارم

وكل معالى الخلتين اخذتها ... ونلت ذراها في الخطوب العظائم

وقد فقت ابناء الملوك جميعهم ... بجد واقدام بكل الملاحم

يلاحظك الاسعاد اين تيممت ... بنودك لايثنيك لو مات لائم

وماقصرت اعداك في الحزم والدها ... وتقليبهم أفكارهم للمصادم

وقد جمعوا جيشاً لهاماً عر مرما ... وصالوا به واستنجدوا كل ظالم

ولكن دهاهم من دهائك فتكة ... بلفتيان صدق كالأسود الضراغم

وحسن رجاء الله فيما ترومة ... بحزم وعزم والوفاء الملازم

وصدق وتدبير وحسن طوية ... حللت به فوق السهى والنعائم

ولاحظك الاقبال والعز فاستما ... لك النصر والاسعاف بين العوالم

وحل بهم ماحل بالناس قبلهم ... قديما من الادبار عند الملاحم

لأمر قضاه الله جل جلاله ... وليس لأمر حمه من مصادم

فسرت إليهم بالجيوش تقودها ... لتفجأهم في غرة بالضياغم

لعمرى لقد كانوا ليوثا لدى الوغا ... وليس لهم عند اللقاء من مقاوم

ابدت بها خضراهم فتمزقوا ... ايادى سبا واستاصلت كل غاشم

وولت على الاعقاب حرب وما ارعوت ... ولكنهم باؤا بشر الهزائم

وحالت على ابناء حائل وقعة ... ابحت بها خضراهمو بالصوارم
وقد غودروا في فيضة السر جثما ... طعام سباع والنسور الحوائم
ووالله ما من وقعة قبلها اتت ... عليهم فقد باؤا باحدى القواصم
واخرى ستدهاهم بها في بلادهم ... وتفجاهم فيها بأسد ضياغم
يسومون في الهيجاء نفوسا عزيزة ... وترخص منهم في حضور المواسم
وتستأصل الاعداء بها وتسومهم ... بها الخسف والاذلال سوم البهائم
بحول الذي فوق السموات عرشه ... ويسعدك الاسعاف في كل ظالم
فيا من سما مجدا وجودا وسؤددا ... وحل على هام السها والنعائم
ليهنك ياشمس البلاد وبدرها ... بلوغ المنى من كل باغ وغاشم
هنيئالك العز المؤثل والعلى ... هنيئا هنيئا فخرها في العوالم
فهذا هو الفتح الذي جل ذكره ... وهذا هو العز الرفيع الدعائم
فلله من يوم عظيم عصيب ... يشيب النواصي هو له في الملاحم
فشكرا لمن اولاك عزا ورفعه ... ونصرا واسعافا على كل ظالم
فذى وقعة مامثلها شاع ذكرها ... ولامثلها فيهم اتت بالعظائم
ولا قبلها كانت عليهم فجائع ... ولا سامهم من قبلها ذل سائم
فلازلت في عز اطيد مؤثل ... واعداك في خفض وذل ملازم
ولازلت وطاء على هامة العدى ... لك النقض والابرام بين العوالم
ولازلت كهفا للعناة ومعقلا ... منيعا منيفا في الخطوب العظائم

الشريف حسين في نجد

خرج الشريف حسين بن علي من مكة في سنة ١٣٢٨هـ يسير بقوة كبيرة من عتيبة و بوادي الحجاز والقوات النظامية، حتى نزل (القو يعية)، فأقام بها و بعث برسائل إلى ابن رشيد يستنجده على ابن سعود.

ابن رشيد :

وصلته رسل الشريف، تطلب النجدة فما كان في وسعه إلا أن جهز قوة قوامها ثمانمائة مقاتل من أهل (حائل) وانجد بها الشريف، و بذلك خرق اتفاقية الصلح بينه و بين ابن سعود.

فعندما أمر قوته بالتحرك كتب وكيله زامل السبهان كتاباً إلى أمير القصيم حينذاك، عبدالله بن جلوى يقول فيه :

«ان بيننا وبين الشريف معاهدة، تضطرنا إلى مساعدته، أما العهد الذي بيننا و بين ابن سعود فهو حبر على ورق».

الشريف :

لم يكن الشريف يرغب في الحرب ضد ابن سعود وأهل نجد كما قيل، وانما كان قصده الحقيقي ازعاج ابن سعود واضطراره إلى الخضوع لشروط يحددها الشريف نفسه و يفرضها على ابن سعود ليحقق امنية وعُد بها من الدولة العثمانية فقط.

ابن سعود :

عندما وصله خبر زحف الشريف بعث أخيه سعد بن عبدالرحمن يستنفر

حاضرة بوادى نجد في الوشم والشعراء وما حولها، وعندما وصل سعد إلى الشعراء هاجمته فرسان «(الشيابين) التابعة للشريف حينذاك، فظن أنهم سيكونون معه، فلما ادركوه وعلم قصدهم حاول الافلات منهم لكنهم قد بعثوا رسولاً جاءهم بمائة فارس آخرون من عتيبة أنصار الشريف.

فاستسلم سعد لهم وقبضوا عليه وأتوا به إلى الشريف حسين في القويعية.

أما عبدالعزيز ابن سعود فقد كان منشغلا بثورة الهزازنة في الحريق وخرج العجمان عن طاعته في الاحساء.

لكنه بعد أن علم بما حدث لأخيه استنفر أهل نجد وخرج بهم إلى حيث يكون الشريف حسين.

الشريف :

علم الشريف بخروج عبدالعزيز من الرياض إليه في القويعية.

فكتب له خطاباً مما قال فيه :

«اذا أنت هجمت علينا تركنا لك الخيام وذهبنا بأخيك سعد إلى مكة، فيبقى رهينة حتى تطلب الصلح الذي نريده والذي نملك شروطه».

وبعث الشريف الحسين رسوله الذي يحمل خطابه، الشريف (خالد بن لوىء) يرافقه محمد بن هندى، من أمراء عتيبه الحجاز، ويحملان معهما الشروط المطلوبة من عبدالعزيز لفك أسر أخيه.

الشـــــروط :

الـشـروط هـي فـي الأصـل شـروط الدولة التركية التي طلبتها من الإمام عبـدالـرحمـن الـفـيـصل وابنه عبدالعزيز سنة ١٣٠٨هـ بواسطة وكيل متصرف الاحساء حينما قابلهما في عين نجم بالاحساء وهي :

١ ـــ أن يـعـتـرف لهـا ابـن سـعـود بـالـسيادة، ولو اسميا على نجد أو على القصيم.
٢ ـــ أن يـدفـع ابـن سـعـود سـنـوياً شيئا من المال حق التبعية والاعتراف وهذان الشرطان هما اللذان يريدهما الشريف لنفسه لعلو شأنه بهما عند الاتراك. لكن ابن سعود غضب من هذا غضباً شديداً.

الشريف خالد :

خـالـد بـن لـوىء وهـو الـصـديق المخلص لآل سعود اطلع عبدالعزيز على حقيقة الشرطين وهي :

أن الـغاية الحقيقة في كتابة مثل ذلك تنفع الشريف عند الأتراك وتعلوا شأنه ولا تضر ابن سعود.

تـعهد خالد بن لوىء لعبدالعزيز أن ذلك مجرد حبر على ورق وانه كفيلا امام ابن سعود في ثلاث فقط :

١ ـــ ان يرجع سعد بن عبدالرحمن إلى الرياض في سلام.
٢ ـــ ان لايتدخل الشريف في شئون نجد مالم يتجاوز عبدالعزيزالحدود.
٣ ـــ ان لايطالب الشريف ابن سعود بدفع المبلغ المتفق عليه ومقداره ستة آلاف ريال (مجيدى).

ابن سعود :

وافق عبدالعزيز على ذلك وكتب الشرطين وأوفد ابن عمه عبدالعزيز بن تركي إلى الشريف حسين، يرافق خالد.

الشريف :

عندما سمع بخروج عبدالعزيز إليه في (القويعية) خرج هو الآخر منها إلى (الشعراء) في شمالها ثم استقر فيها حتى جاءه عبدالعزيز ابن تركي وخالد بن لوىء بالشروط.

بعد ذلك أفرج عن سعد بن عبدالرحمن فعاد مع ابن عمه عبدالعزيز بن تركي إلى الرياض وعاد الشريف الحسين إلى الحجاز.

جـراب

التعريف الجغرافي :

جراب تنطقها العامة بالكسر والتسكين. وقد ترجم لها الشيخ حمد الجاسر في معجمه اسماء المدن والقرى، فقال: «جراب : مضمومة والعامة تسكنها، فراء مفتوحة، فألف فباء هجرة للمريخات من مطير بمنطقة الزلفي»[1].ا.هـ.

الموقع الجغـــرافي :

تقع جراب في الشمال الشرقي من المنطقة الوسطى وفي تقاطع خطي العرض ٧، ٢٦° شمالاً والطول ٠٠، ٤٥ شرقاً. أنظر خريطة المواقع رقم(٩).

المنـــــاخ :

المناخ صحراوى حيث تبلغ درجات الحرارة من ٤٠° ــ ٤٢° درجة مئوية صيفاً وشديدة البرودة حيث تبلغ درجات البرودة حيث تبلغ درجات البرودة من ٩ ــ ٥ درجات شتاءا.

والارتفـــــاع :

المتوسط السنوي	الارتفاع التقريبى بالمتر
١١٠ ملم	٦٥٥ م

(١) ج/١ ٢٣٨.

وصف المنطقة الجغرافي :

منطقة مملوه بالتلال الصخرية الصغيرة والمتوسطة. أنظر الخريطة رقم (٩) فانك ترى فيها هجرة جراب، وبها سبع غرف وبويت صغير، كلها مبنية من الحجارة والطين يجاورها خمس أبار صغيرة عادية، ينحدر من جنوب هذه الهجرة واد صغير يسمى وادى جراب يسيل من الشرق إلى الغرب وفي غرب الخريطة تشاهد منحدرات وادى الأرطاوى، وهو وادى كبير خصب يسيل من الجنوب إلى الشمال، فالشمال الشرقي، حتى ينتهى في رمال الدهنا الواقعة شمال جراب وتبعد هجرة جراب عن الدهنا بـ(٤٧) كيلاً وأقرب مدينة لها هى الارطاوية في الشرق وتبعد بـ(٧٢)ك والزلفى وتبعد عنها بـ(٥٥) كيلا.

المســـاحة :

موقع القتال :

تبلغ المساحة الموضحة بالخريطة رقم (٩) وهي التي تمثل المعركة ثلاثة أكيال من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب خمسة أكيال.

الحـــدود :

ليس من حدود معروفة مشتهرة أكثر مما سأوضح وهو أن موقع اشتباك القوتين تحده من الشرق تلال صغيرة ومن الشمال رمال الدهناء ومن الغرب صحراء ومن الجنوب منحدرات الأرطاوى وبعض التلال الصغيرة.

الارطاوى ـ جراب

التعريف الجغرافي :

الارطاوى : هو واد ينحدر من شمال قرية جراب في جبل (مجزل) ويصب في منطقة (الامعز) التي تحفها رمال الدهناء الكبيرة شرقاً، ويبلغ طوله أكثر من سبعين كيلا.

وقد نسبت المعركة التي دارت فيه بين جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود وبين ابن رشيد، باسم جراب، والصحيح الارطاوى لأن بين قرية جراب وموقع القتال في الارطاوى أكثر من خمسة وثلاثين كيلا اذن فالموقعة هي موقعة (الارطاوى) وليس جراب.

الموقع الجغرافي :

يقع الارطاوى إلى الشمال من مدينة الأرطاوية بـ(٧٢) كيلا وإلى الشمال الشرقى من مدينة الزلفى بـ(٥٥) كيلا، وهى شرق نفود الثويرات الواقعة في شمال السبلة، وهي في تقاطع خطى الطول ٠٠/ ٤٥° شرقاً والعرض ٧/ ٢٦ شمالاً.

المناخ :

صحراوي : شديد الحرارة صيفاً حيث تبلغ درجات الحرارة ما بين ٤٢ ـ ٤٦ درجةم، وشديد البرودة شتاء حيث تبلغ درجات البرودة من ١٥ ـ ٦ درجات م، فوق الصفر.

الارتفاع والأمطار :

يرتفع الاطاوى عن سطح البحر (٦١١) متراً و يبلغ متوسط هطول الأمطار السنوية بـ(١٠١)مم.

الوصف الجغرافي :

أراضى الارطاوى أربعة أقسام :

١ ــ وادى الارطاوى وهو واد خصب تكسوه الاشجار (الارط البرى) المعروف والسمر و بعض الاعشاب ولو كانت المنطقة كثيرة الأمطار لكان الارطاوى من أجمل أودية نجد يتسع كل ما اتجه إلى الشرق.

٢ ــ التلال الجبلية وهي مجموعة تلال تختلف في الارتفاع والانخفاض وعره لمسالك حتى أن الماشى على قدميه حافياً لايستطيع السير أبدا، لخشونة الأرض ومجموع التلال يكون القسم الشمالي من جبل (مجزل) الذي تقع قرية جراب في اعلاه من الناحية الغربية، والتي سميت الموقعة في كتب المؤرخين باسمها، وجراب هذه منهل لبطن المزيجات من قبيلة مطرى، و يرأسهم كميخ المطيرى وقرية جراب هذه تتكون من خمس غرف مبنية من الحجارة ومسقفه بالسمر والطين، ويجاورها من الجنوب والغرب خمس أبار صغيرة انظر الخريطة رقم (٩).

٣ ــ أراضى منبسطة وهى منحدرات الارطاوى ومجزل والمجاورة لرمال الدهناء من الجنوب والغرب والشرق حيث قاع الأمغر الذي تسيل فيه مياه الارطاوى.

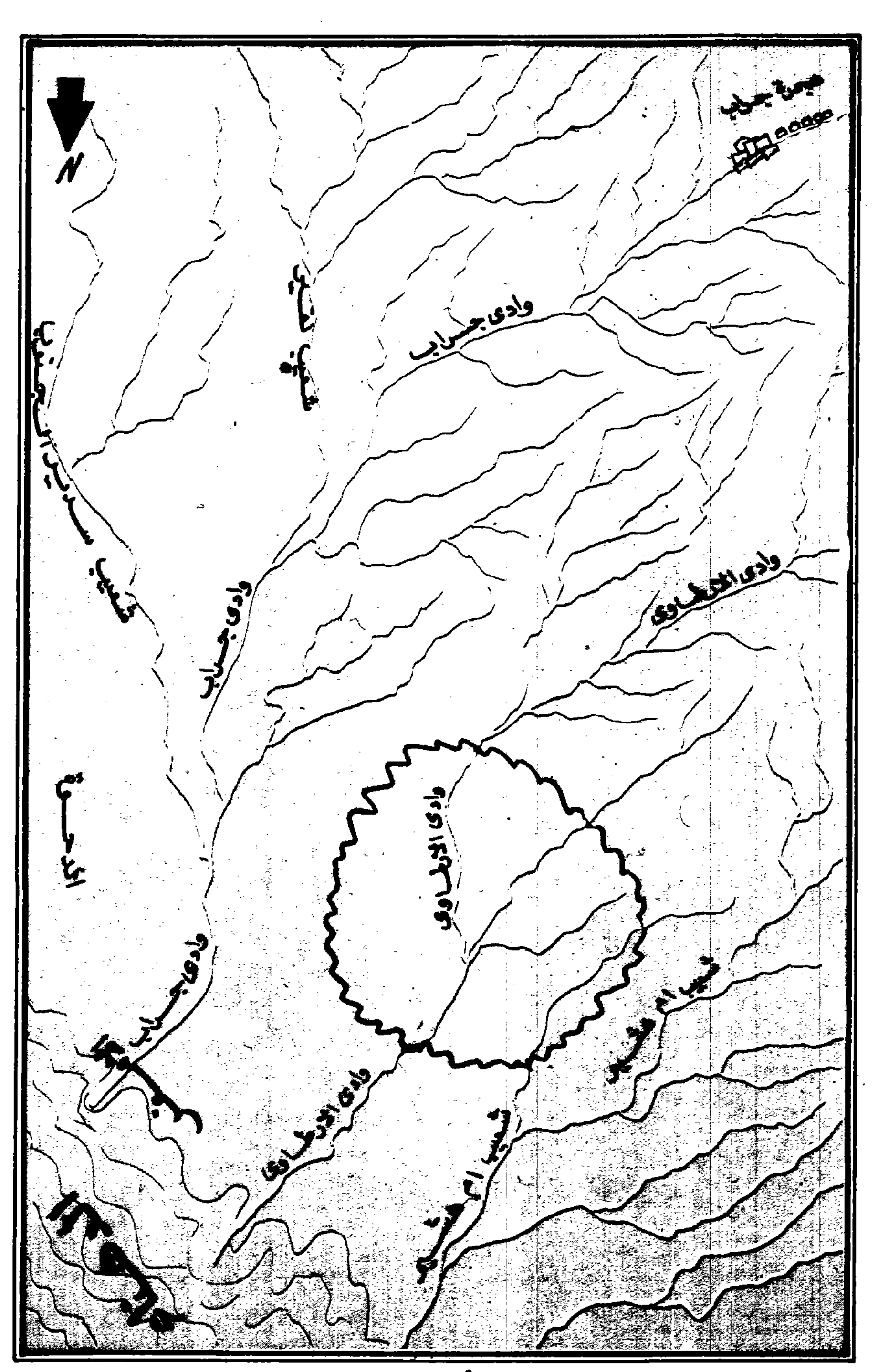
٤ ــ رمال الدهناء الكبرى.

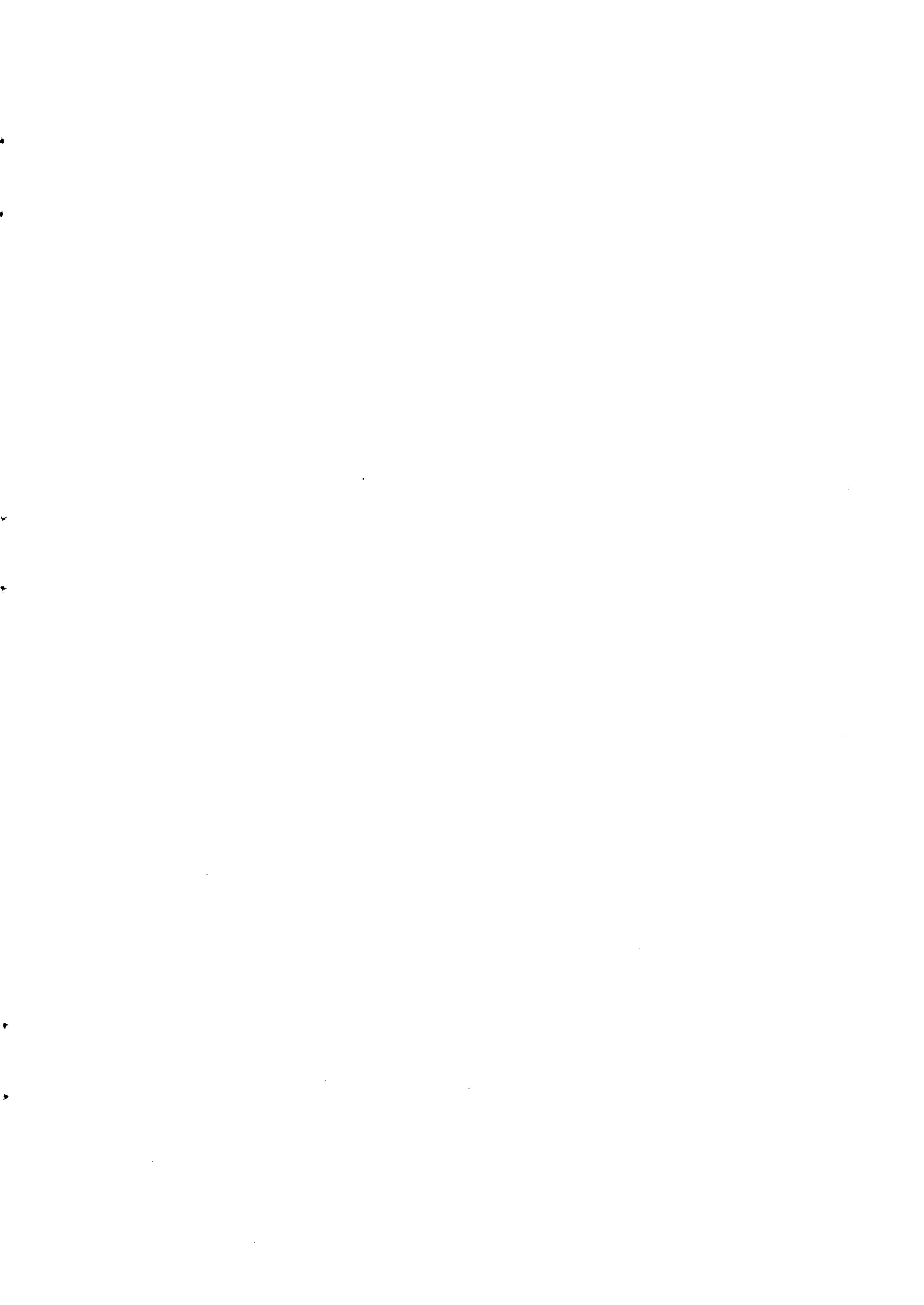
المساحــة :

تبـلـغ مـساحة الموقعه بالارطاوى، والموضحة بالخريطة رقم(٩) من الشرق إلى الغرب بـ(خمسة أكيال) ومن الجنوب إلى الشمال ثلاثة أكيال.

الحـــدود :

تحـد الارطاوي من الجنوب والغرب منحدرات جبل (مجزل) ومن الشمال رمال الدهناء ومن الشرق أراضى منبسطة، فأرض الامغر.


وادى جراب
وادى جراب
وادى جراب
وادى الأرطاوى
وادى الأرطاوى
وادى الأرطاوى
شعيب ام هشيم
شعيب ام هشيم



معركة جراب

بين يدى المعركة :

بعد أن انتصر ابن سعود واحتل الأحساء والقطيف وطهرهما من عسكر الأتراك، وأصبح سلطان نجد والاحساء والقصيم بل والمنطقة الشرقية كلها، كثر أعداؤه وأصبحوا يرونه مدمرا لهم.

فلم يهدأ لهم بال وأخذوا يفكرون ويخططون للقضاء عليه و بعد دراسة لهم زادت عن عام توصلوا إلى نتيجة، ظناً منهم أنهم سينتصرون، معتمدين على الشيطان الذي يصور لهم كبائر الأمور صغائرا، كما اعتمدوا على قواتهم النظامية المدربة، وسلاحهم الفتاك آنذاك.

ونسوا أن ابن سعود هو الغالب لأنه معتمد على الله، فأول أعماله أخلص له العقيدة وهى أساس كل شيء في هذه الحياة، ثم استعان به على كل متكبر جبار، وشعاره (إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [١] .

أما هم فغرتهم القوى والعدد والعدة وزين لهم الشيطان أعمالهم من أجل ذلك قامت الدولة التركية بتكليف الفريق/ سليمان شفيق المتصرف في العراق، وعمدته بتسليم عشرة آلاف بندقية ذات عشر طلقات مع ذخائرها، وصناديق من الأموال إلى : سعود بن متعب ابن رشيد في حائل،وكلفته بمقاومة ابن سعود ومهاجمته في الرياض.

ولكن ابن سعود عندما سمع اعلان الحرب العالمية الأولى، خشى امتدادها إلى الجزيرة العربية، ولرغبته في المحافظة على أرواح المسلمين

(١) سورة محمد آية: ٧.

وعدم هدر دمائهم بغير حق، كتب إلى كل من ابن صباح، وابن رشيد والشريف في مكة، وطلب من الثلاثة طلبا واحد هو ما قال فيه:

«أرى وقد وقعت الحرب العالمية، أن نجتمع ونتذاكر أمورنا، فلعنا نتفق فيما بيننا على ماينقذ العرب من أهوال الحرب أو نتحالف مع دولة من الدول الكبرى لحفظ حقوقنا وتعزيز مصالحنا». هكذا قال.

فماذا كان جواب الأقطاب الثلاثة؟

ابن صباح :

«أن في الكويت باخرة بريطانية فأقبل الينا، وقابل ربانها وأنا معك على ماتتفقان عليه».

الشريف :

«سأرتقب الفرصة ثم أعمل ما أراه صالحاً لبلادي».

ابن رشيد :

«أن أنور باشا قد أرسل إليّ عشرة آلاف بندقية، وبعد أن نحطمها على رأسك أفكر بما تقول».

وما كان عبدالعزيز يريد أن يعرف من اجاباتهم، المحاسن والمساوىء سواء في اعمالهم، أو نواياهم السيئة، فهو أدرى بهم من غير استفتاء فالاجابات كلها مساوىء، تنبىء عن خبث نواياهم وغطرستهم واعتمادهم على القوى الاستعمارية الأجنبية، فكان ذلك مما زاد عبدالعزيز قوة، وعزيمة،

وزادهـم هم تعاسة ورذيلة، وصدق الله في قوله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[1].

الموقف العـــام :

(ابـن رشيـد فـي صبـاح يـوم الأثـنين الـسابـع عشر من شهر صفر عام ١٣٣٣هـ خـرج ابن رشيد من حائل في كبرياء وخيلاء في قوة كبيرة، بعد أن حـصل عـلى عـشرة آلاف بـنـدقية مع ذخائرها من الحاكم التركى في العراق.

وزحـف قاصداً عبدالعزيز بن سعود في الرياض، بناءً على ما خطط له الأتراك من قبل.

ابن سعود :

يـعلـم بـخروج ابن رشيد من حائل، كما أنه قد علم بخط سيره فاستنفر قـواتـه المرابطة في القصيم، وأهل العارض ومعهم العجمان ومطير، وخرج بهم عـلى الطريق التي سيسلكها ابن رشيد، وقد جد ابن سعود في سيره ليصده عـن مـورد هـجـرة جراب، وبالفعل كان لابن سعود السبق، فقد احتلها قبل ابـن رشـيـد ونصب له القوات حولها انظر الخريطة رقم (٩)، وبقى بها حتى وصلت قوات ابن رشيد.

وكـان ابـن سـعـود قـد أمـر بـبـنـاء التحصينات، من الحجاز على ربوات مـرتـفـعـات فـي شـمـال وشـرق الـبئر ووضع المدفع في وسطها وعليه الضابط الانجليزي (شكسبير).

---

(١) الآية: ٤٣ من سورة فاطر.

وأقبلت قوات ابن رشيد وهي حالمة، تظن أنها هي الوحيدة في تلك البقاع، وكانت لا تفكر إلا في الوصول إلى ذلك البئر وبخيبة الأمل ما أيقظها من تفكيرها ذلك إلا رصاص قوات ابن سعود في صدورها، فولت هاربة مدحورة عبر شعاب جراب، ووادي الأرطاوي متجهة إلى الشمال الشرقى حيث الدهناء.

قوات الطرفين :

ابن سعود : يبلغ عدد قواته (٣٢٠٠) مقاتل و(٣٥) فارساً.

ابن رشيد : يبلغ عدد قواته (٣٤٠٠) مقاتل و(١٨٠) فارساً.

سير المعركة :

في صباح يوم الثلاثاء، الموافق للثالث من شهر ربيع الأول، من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، أمر ابن سعود قواته بالتحرك خلف ابن رشيد، وترك قبيلة مطير برئاسة فيصل الدويش لحماية بئر جراب خشية التفاف العدو عليها.

وكان خط سيره عبر شعاب ووادى الأرطاوى، منحدراً باتجاه سيل الوادى إلى الشرق وبعد أن اجتاز نصف الطريق فيما بين الدهناء ومورد جراب.

خرج ابن رشيد من الدهناء، وصعد عبر منحدر وادى الأرطاوى وكان الوادى كثير الأشجار به غابات كثيفة وبه بعض ركي الماء، وبينما قوات ابن سعود تحط فيه، اذا بقوات ابن رشيد تهاجمها من الشمال الغربى وهم المشاة وكان الزمن هو ضحوة النهار من ذلك اليوم.

ودارت المعركة بأشرس ماتكون وأقوى، وقد اتجهت قوات ابن سعود في اتجاه واحد، وهو قتال المهاجمين من المشاة، وبالرغم من أن القوات المهاجمة أكثر وأقوى سلاح، فقد صدتها القوات السعودية وقهقرتها إلى الوراء في مسافة كيل على الأقل، لكن ماذا حصل في صفوف عبدالعزيز؟

أنها الخيانة العظمى، فقد قامت قبيلة العجمان، وهي من قوات ابن سعود، فتراجعت إلى الخلف وكأنها تريد حماية الخط الخلفى، ونهبت كل تموينات ابن سعود من ذخائر وعتاد وزاد، وفرت إلى الاحساء وهجمت بعدها قوات ابن رشيد من الخيالة، والتي كانت بين أشجار الوادى، ودارت المعركة بينها وبين القوات السعودية، من الخلف وحمى وطيس المعركة، واستمر القتال على أشده حتى صلاة الظهر.

وقد حدث الارتباك في القوتين فحينما انسحبت قبيلة العجمان من ميمنة ابن سعود وفرت، رأتها فرسان ابن رشيد، فشكلت خط التفاف على القوات السعودية، وأصبح خط الوسط في القوات السعودية، يقاتل من الأمام والخلف، مما سبب له الضعف.

أما ميسرة ابن سعود فانها توغلت في صفوف خطى الوسط، واليمين من قوات ابن رشيد، وبانسجاب الفرسان من قوات ابن رشيد، ساعد القوات السعودية، وانتصرت على خطى الوسط واليمين، فهزمتهم شر هزيمة...

أما قبيلة مطير التي ترابط على ماء جراب، فإنها كانت تشاهد المعركة تماماً لأنها في أعالى جبل مجزل فماذا عملت؟

أغارت على مخيم وتموينات ابن رشيد خلف الدهناء، فنهبتها بكاملها وأخرجت النساء والأطفال منها في العراء بلا مأوى، وولت بها إلى مدينة الأرطاوية.

وانتهت المعركة بين القوتين المتقابلتين قبيل العصر، والكل قد وهن عزمه وقواه.

واتجه ابن سعود بمفرده إلى الأرطاوية، أما قواته في المسيرة فقد انتصرت وعادت إلى القصيم، وخط الوسط عاد إلى بئر جراب، وولت قوات ابن رشيد إلى مقرها بالدهناء، فاستقبلهم النساء والأطفال بالبكاء والويل، وولوا إلى حائل وهم شتى.

أما ابن سعود فإنه عندما عاد إلى الأرطاوية، وجد الدويش هناك وقد غنم، فاستقبل ابن سعود وأطلعه على غنمه، ثم عاد ابن سعود إلى الرياض.

خسائر الطرفين :

ابن سعود :

قتل من قواته (١٧١) قتيلا، منهم الضابط الانجليزي (شكسبير) وجرح أكثر من ثلاثمائة جريح.

ابن رشيد :

قتل من قواته (٢٠٣) وجرح مائتان وتسعة جرحى.

وخسر كل من القائدين مخيماته وتمويناته وفازت بها الأعراب، وقد سئل ابن سعود عن المعركة وعن الفائز فقال:

«لم يفز فيها سوى الأعراب.... نهبوا أرزاقنا وفروا»

وقد وصف الشاعر خالد الفرج غطرسة ابن الرشيد وخروجه من حائل وما حصل له في جراب وذكر أيضاً ما قامت به قبيلة العجمان من غدر وخيانة لابن سعود وما انتهت به المعركة فقال:

نـفـذ ابـن الـرشـيـد فيا يـليـه　　مـاتـقـول الأتـراك ومـا تـمـلـيـه

حـاصـرا همـه بـثـأر أبـيـه　　فـأتـى للـقـصيم لايـثـنـيـه

أحـد تـقـدح الـضـغـائـن فـيـه　　فـي جـراب الـتـقـى بمـن يـبـتـغيـه

فـتـلاقـى الـبـتـار بـالـبـتـار

فـي جـراب تـكـافـأ الخـصمان　　جـنـد هـذا بـقـدر جـنـد الـثـانى

فـاسـتـمـروا فـي جـولـة وطـعـان　　فـاز عـبـدالـعـزيـز بـالـرجـحـان

فـدهـتـه قـبـيـلـة الـعـجـمـان　　فـغـد الـغنم قـسـمـة الـبـدوان

والأمـيـران أصـبـحـا فـي انـكـسـار

وفي معركة جراب التي فاز بها الاعراب كما قال : ابن سعود قال سماحة الشيخ سليمان بن سحمان قصيدة يسلى بها السلطان عبدالعزيز ويقول له أن الحرب سجال.

فقـــال :

امور القضا ليست بحكم العوالم　　ولـكـن إلـى رب حـكيم وعـالم

قضاها الـه العرش جل جلالـه　　وقـدرهـا مـن قـبـل خـلـق العوالم

بـخمسين الفا قدرت من سنيننا　　فـلـيـس لامـر حمـه مـن مـقـاوم

فلو أن (لو) تجدى وتـنفع فائزاً　　لاصـبـح مـفـتـونـا بهـا كـلا لائم

يـلوم على ماقدر الله والقضى　　فـتـبـا لـه مـاذا جـنـا مـن مآثم

وما كان هذا الأمر بدعا فقد جرى ... لافضل خلق الله صفوة هاشم

محمد الهادى إلى الرشد والهدى ... واصحابه اهل النهى والمكارم

لان كان قد اضنا بنا وأمضنا ... بشؤم الذنوب المعضلات العظائم

من القرح مانرجوه من فضل ربنا ... واحسانه محوا لتلك الجرائم

فقد مسهم من ذلك القرح فادح ... فكانوا طعاماً للنسور الحوائم

بايدى رجال من ذوى الصدق في اللقا ... حماة كماة الأسود الضراغم

يسومون في الهيجا نفوسا عزيزة ... وترخص منهم في حضور الملاحم

وقد غادروا ابناء حائل في الوغا ... جثاثا ركاما كالهشيم لشائم

وقد من مولانا بطلعتك التي ... اضاءت بها شمس العلى في العوالم

فأصبح هذا الناس في ظل مجدكم ... بأمن وفي رغد من العيش ناعم

وجاء بك المولى معافاً مسلما ... واعداك في كبت وذل ملازم

وهذه قصيدة أخرى للشيخ/ حسين النفيسة يسلى بها أيضاً السلطان عبدالعزيز، و يقول أن العجمان لايفيد فيهم الاحسان وهى قوله :

سبحان من يجمع الاوصاف في بشر ... حتى يذل له في الحب شجعان

قلت امتعينا بوصل ياحبيبتنا ... فطالما جد بى وجد وهجران

قالت تروم وصالا لاسبيل له ... هلا سمعت بما قد رام ضيدان

رأس النفاق ضعيف الرأى اسفهم ... ابدا الخنا فغدى للشر ديدان

هلا تذكر ما اسدى الإمام له ... له النفائس افراس وذيدان

بل والفلوس وماقد صيغ من ذهب ... الكل تاتيه امنان واثمان

ياضيعة المال فيمن ليس يشكره ... اذ قال ربى جزى الاحسان احسان

في فرقه نكثت للعهد فاسدة ... تاتى الفساد كما يأتيه فيران

لاغرو قد وافقوا الا تراك دهرهم ... فليس ينهاهم دين وايمان

من حبهم اجلبوا نحو العراق وقد ... جدوا بآثارهم رحل واضعان

فخاب ما أملوه من مفاسدهم ... ضلوا كما ضل في مسراه حيران

لايهتدون إلى رشد وقد جبلوا ... على طبائع اسلاف لهم بانوا

فالشرى لم تنقلب اريا مرارته ... وقد يكون من الشعبان ثعبان

إلى قولـــه :

كم خربوا بلداكم فرقوا عددا ... كم ايتموا ولداكم مسلم هانوا

قد قال جدى حسين فيهم مثلا ... تلقاء عمك اذ وافاه راكان

لو ترم في البحر صلبوخا وتخرجه ... فاقدح ففى وسطه شر ونيران

فلم تزدهم سوى البغضاء من سفه ... اذ صدهم عن سبيل الرشد شيطان

بنو القطيعة هاهم قطعوا سبلا ... فاقتل وصلب كما قد قال قرآن

كسر أنوافا من الاعجاب قد شمخت   كما تكسر اصنام واوثان

إلى قوله :

يقول قائلهم فاتتكم رطب   فابكوا وقد فاتكم خوخ ورمان

فلا يغرك من ابدا بشاشته   والقلب بالغش والبغضاء ملآن

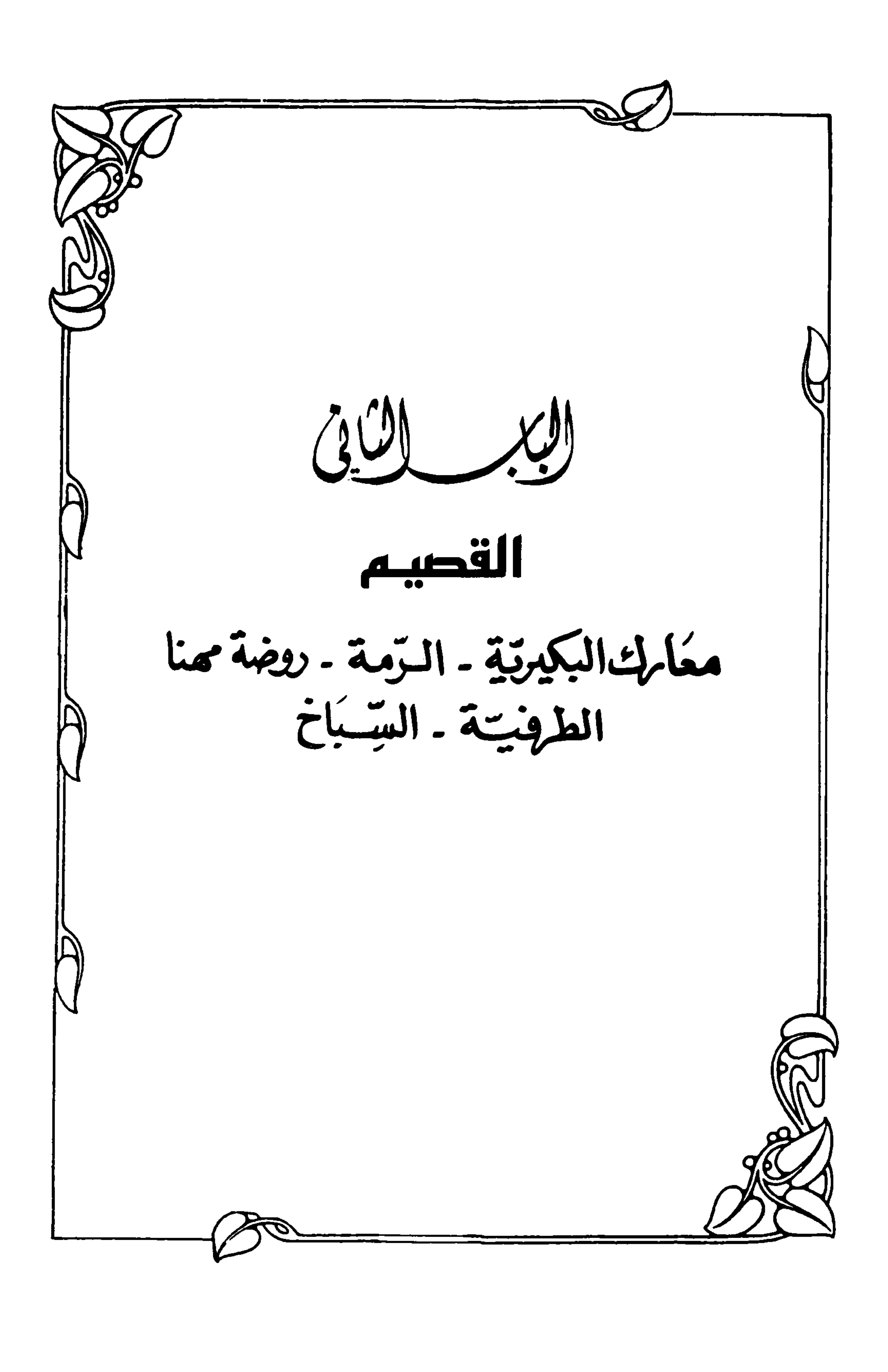
إلى قوله :

عبدالعزيز الذي سارت فضائله   في الافق عنى بها جمع ووحدان

في فتية من بنى الإسلام قد عرفوا   في الحرب أن خالط الأقران اقران

كم وقعة أوقعوها في عدوهم   يكاد من ذكرها ينهد ثهلان

فاصبح الملك للرحمن ثم له   والمسلمون له جند واعوان

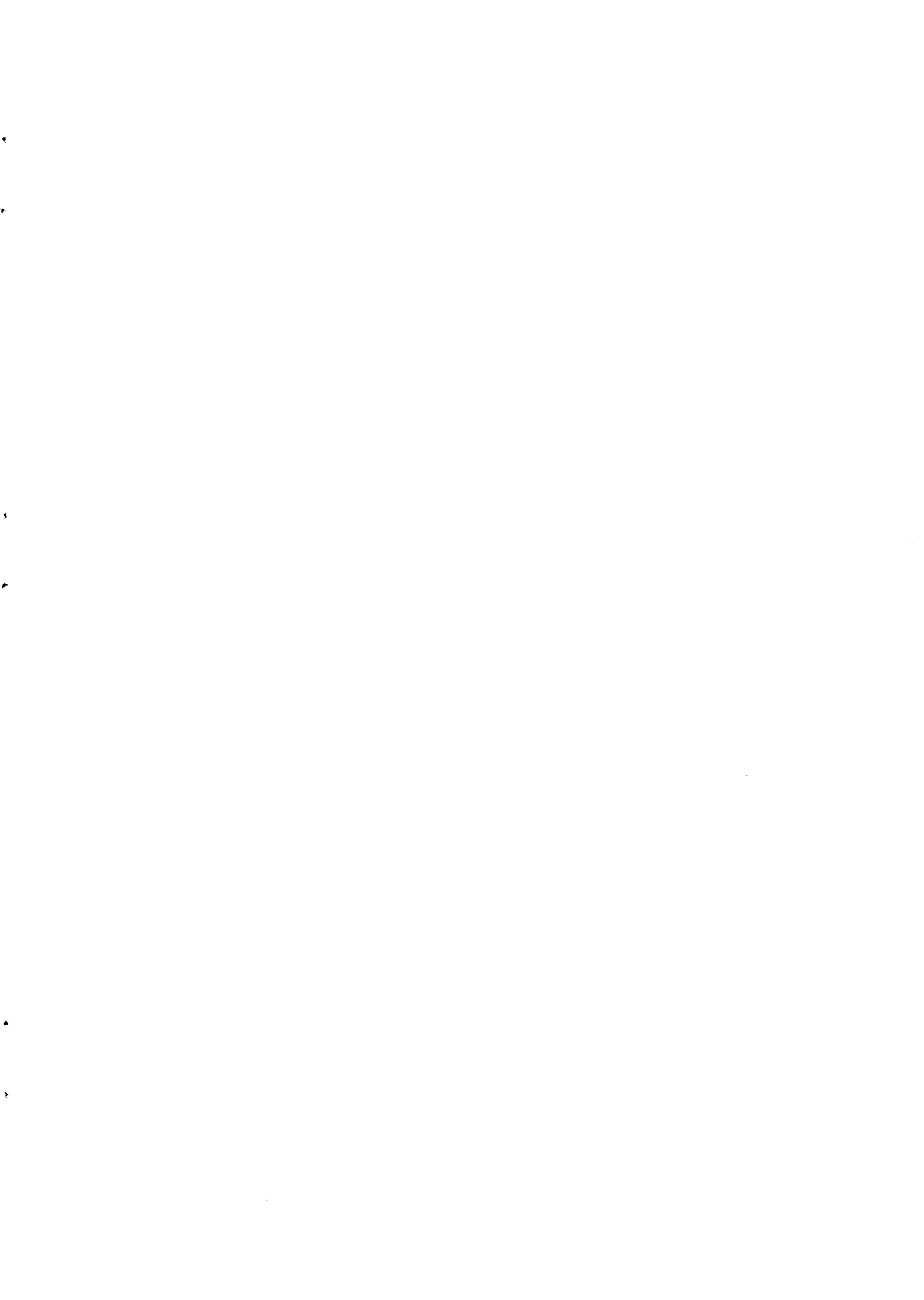


الباب الثاني

القصيم

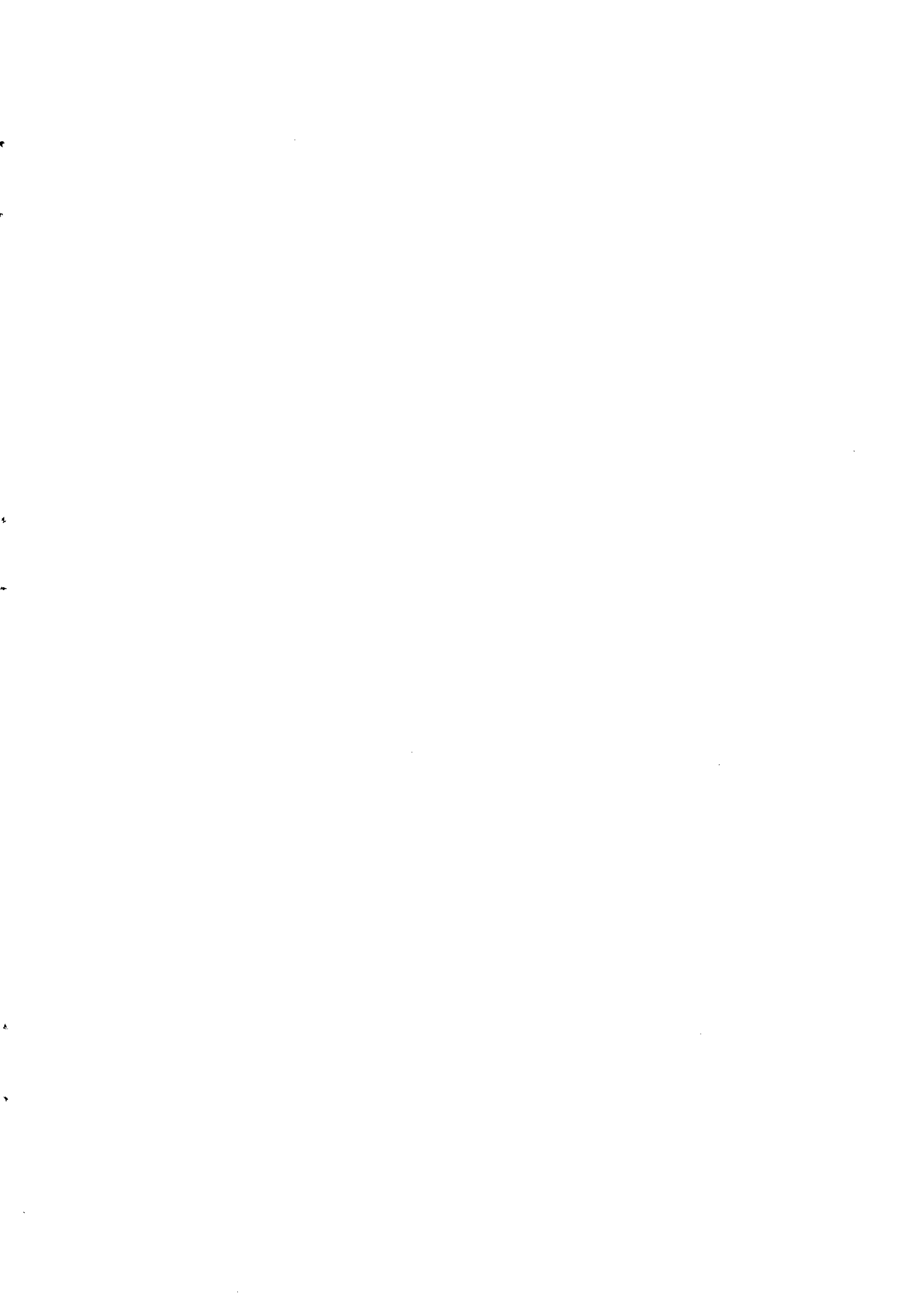
معارك البكيرية - الرّمة - روضة مهنا

الطرفية - السّباخ



عين ابن فهيد
الجعلة
الطرفية
عيون الجواء
الشقة
بريدة
وادي
الشيحية
البكيرية
الهلالية
الرمة
عنيزة
القصيم
الخبراء
رياض الخبراء
الرس
المذنب

معارك القصيم



البكيرية

التعريف الجغرافي :

البكَيْرِيَّة :

بضم الموحدة التحتية وفتح الكاف واسكان المثناة التحتية فراء مكسورة مثناة تحتيه مشددة فهاء.

وهي المدينة الرابعة في منطقة القصيم بعد بريدة وعنيزة والرس، قال الشيخ العبودى في معجم القصيم:

«أن اسم البكرية هذا منسوب إلى البكيرى وهو شخص اسمه «محمد البكيرى» كان يملكها فباعها ولم يبقى أحد من أسرته في البكيرية.

وكان قد أبتداء عمارتها ثم باعها في القرن (الثاني عشر) لقوم من أهالى الضلفعة من سبيع الذين عمروها وسكنوها ولا يزالون فيها.. إلى قوله:

وكانت روضة يحدها من الشمال كثبان الرمل ومن الجنوب الرمل أيضاً، ومن الشرق الرمل أيضاً، ومن الغرب أرض صخرية حمراء اللون»[1] .

الموقع الجغرافي :

تقع البكيرية إلى الغرب من مدينة بريدة، وتبعد عنها بـ(٥٢) كيلا، وترتبط مع بريدة وعنيزة والرس بطرق معبدة وهي في تقاطع خطى الطول (٤٠، ٤٥°) شرقاً والعرض ٢٦٫٠٩ شمالاً.

---

(١) ج٢/ ٦٢٤.

المنـــــاخ :

مناخ البكيرية صحراوى فهى شديدة الحرارة صيفاً ودرجات الحرارة من ٤٠ ــ ٤٣° درجة مئوية، وباردة شتاء، ودرجات البرودة من ٢٨ ــ ١٨ درجة مئوية.

الارتفاع والامطار :

ترتفع البكيرية عن سطح البحر بـ(٦٦٥) متراً، ويبلغ متوسط سقوط الامطار السنوى (٩ر٧٥)مم.

التضاريس الطبيعية :

قلت وعن طبيعة أراضيها، يوجد في شرق البكيرية عدد من البساتين والمزارع والنخيل، كما يوجد بها تلال صغيرة وكثبان رملية، وهذه الكثبان ترتفع منها يليها بـ(١٥) متراً، وهذا في شرقها فقط أما الغرب والشمال، فأرض صخرية منبسطة، كما يوجد في شمال البكيرية الشرقى عدد من المزارع والبساتين والنخيل، وفي جنوبها الغربى قرية الهلالية، وباقي الأراضى في البكيرية المجاورة، كثبان من الرمال

ولعلنا نرى خريطة البكيرية رقم (١١)، والمزارع وقد دخلها الملك عبدالعزيز بقواته بعد أن قسمها إلى فرقتين :

الأول : وهم أهل العارض (نجد) وملحقاته، بقيادة الملك عبدالعزيز، وقد اتخذوا من مزارع الحديثيات والخبيات خنادق لهم.

الثاني : وهم أهل القصيم، وقد تمركزوا في لغف سحيم والمسرهدة حتى

دخل ابن رشيد ومن معه إلى أطراف المزارع وكان قد قسم هو الآخر قواته إلى قسمين :

الخيالة بقيادة «ابن نهير الشمرى»، وقد دخلوا البكيرية، ثم اتجهوا نحو خيمة الملك عبدالعزيز في مزارع الحديثيات.

الثاني : من قوات ابن رشيد ومعهم الف واربعمائة من الجند النظامين الاتراك دخلوا في مزرعة السويلميات في الخبيات وكان لها جدارا من (اللبن) الطين يرتفع أربعة أمتار فاعتصم الجند فيه، فهجم القسم الثاني من قوات الملك عبدالعزيز عليهم هجمة واحدة وقاموا بدفع السور على الجند الذين كانوا يتظللون به فسقط عليهم، فلم يقم منهم أحدا، أنظر الخريطة (١١).

المساحـــــة :

تبلغ المساحة التي دارت عليها المعركة من الشرق إلى الغرب ثلاثة أكيال، ومن الشمال إلى الجنوب ثلاثة أكيال ونصف.

الحـــــدود :

يحد الميدان من الغرب مدينة البكيرية ومزرعة الريان وقليب الشيوخ ومن الجنوب مزارع الحديثيات ومن الشمال مزارع السويليمات ومزارع أم نثيلة ومن الشرق نفود الغميس ولغف سحيم وعدانه المانع.

معركة البكيرية

أسباب المعركة :

بعد أن حقق ابن سعود النصر في الرياض، والدلم والحريق ونجد وتمت له السيطرة التامة على تلك المناطق.

اهتز عرش ابن رشيد وأخذه الفزع، فهرع يجمع رجال شمر في شمال الجزيرة ويعد العدة لقتال ابن سعود.

كما اندهشت الدولة التركية من انتصارات ابن سعود المتتالية، الأمر الذي جعلها تمد ابن رشيد بالسلاح والرجال والعتاد، وأمرته باطفاء الحركة السعودية، التي باتت تهدد النفوذ التركى في الجزيرة العربية.

الموقف العـــام :

ابن رشيد : قام بتشكيل قوتين :

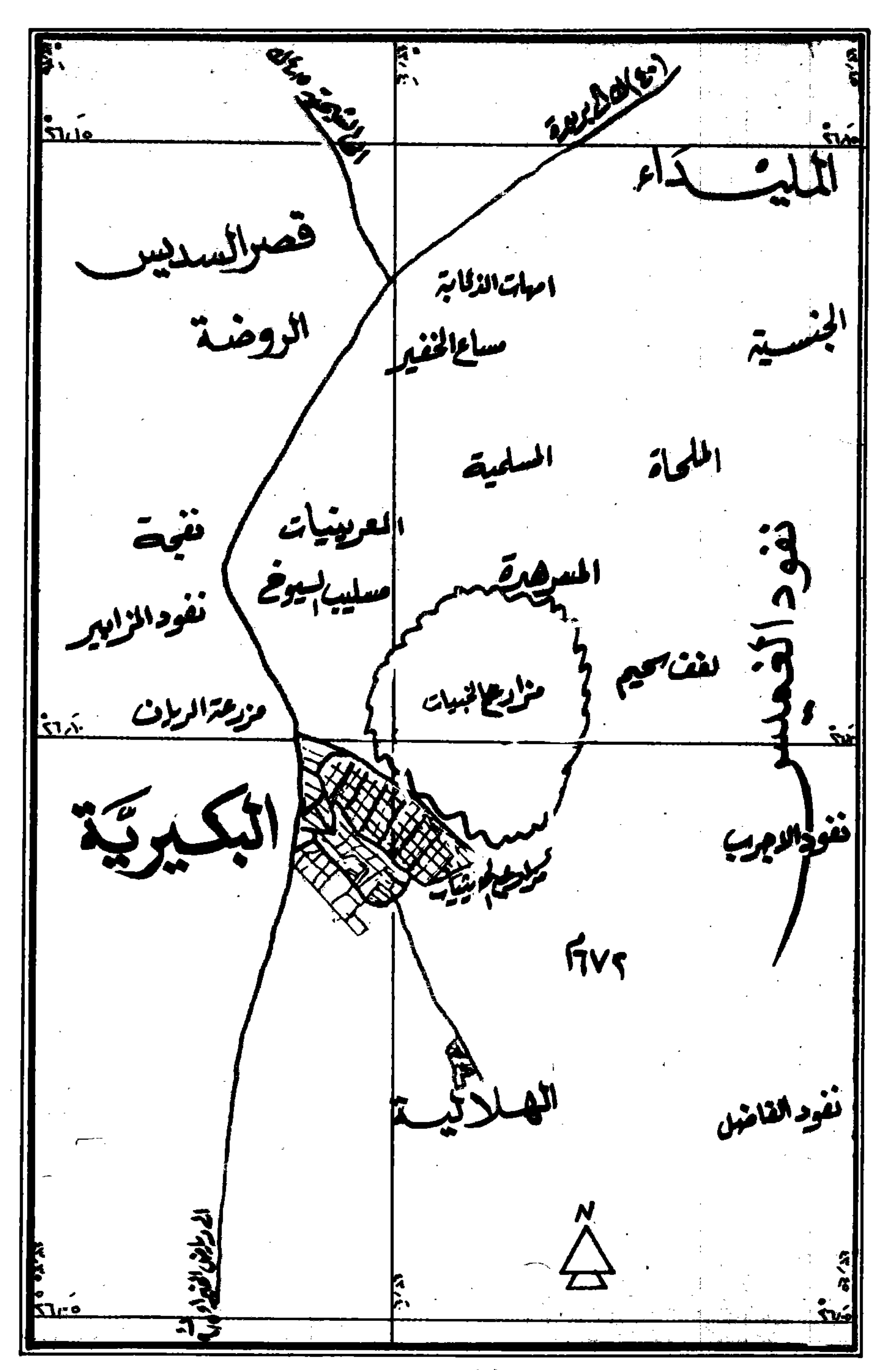
الأولى : من رجال شمر وعرب الشمال وجعلهم تحت قيادة (ندى بن نهير) وكان من كبار شيوخ شمر.

الثانية : وكانـت من العسكر النظاميين من الدولة التركية وكانت بقيادة المشير/ أحمد فيض باشا وهو أحد كبار القادة في القوات التركية و يعرف بخبير حروب الصحراء وفنون القتال الوحيد.

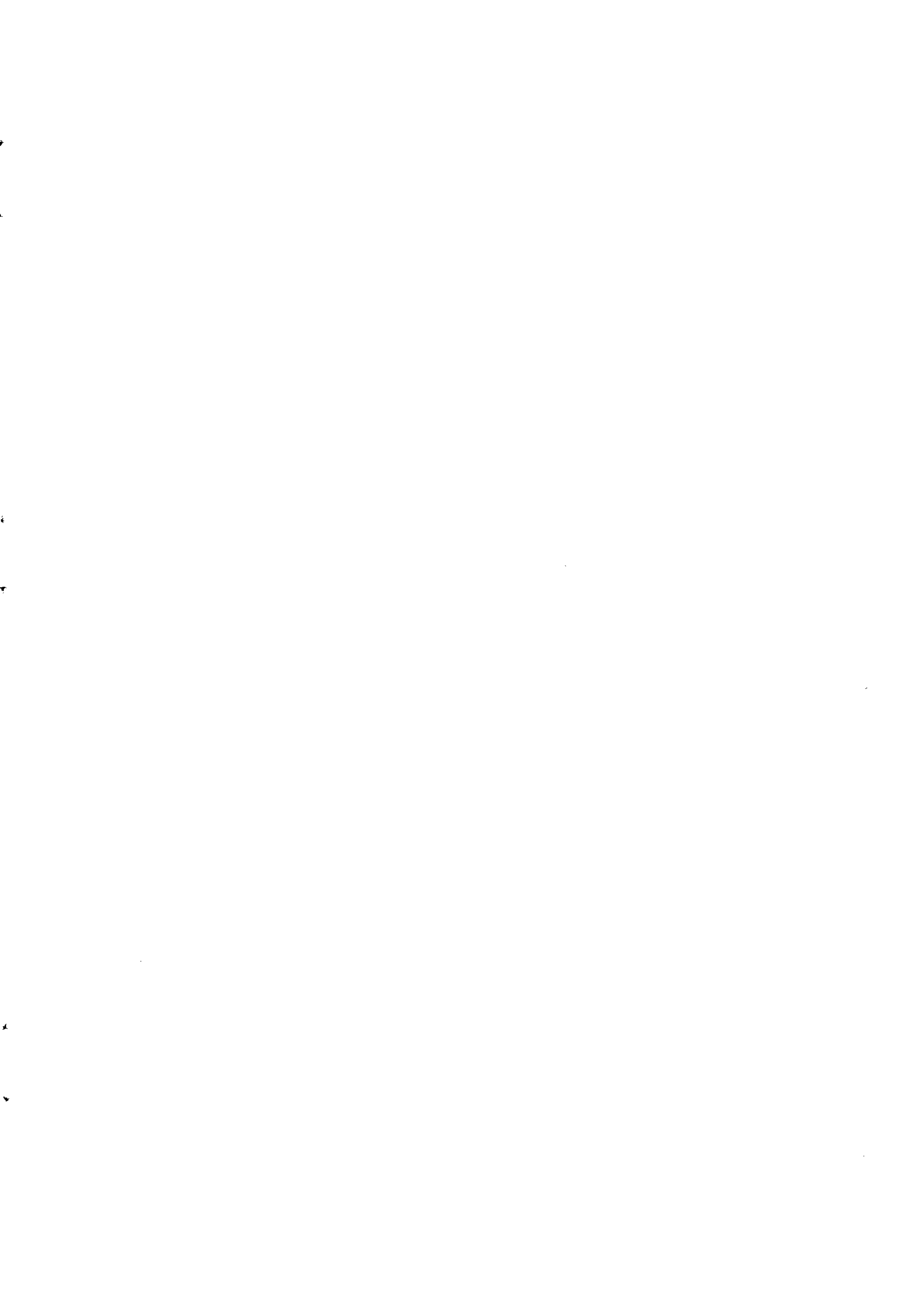
ثم أتجه بذلك الحشد الكبير إلى القصيم وكان ابن سعود يومئذ بها.

ابن سعود :

علم ابن سعود بما فعله ابن رشيد. فأرسل إليه فهد الرشودي من



المليداء
قصر السديس
امهات الذئابة
الروضة
مساع الخفير
الجنسية
الملحاة
المسلمية
العريينيات
نفجة
المسرهدة
مسليب اسيوخ
نفود المزابير
نفف سحيم
مزارع الجبيات
مزرعة الريان
البكيرية
نفود الاجرب
٦٧٢م
الهلالية
نفود الفاضل
N



أعيان بريدة، يدعوه إلى الصلح وتسوية الخلاف بينهما عن طريق المشايخ والعلماء حفاظاً على الأرواح وعدم سفك دماء الأبرياء.

ابن رشيد : يستقبل رسول ابن سعود وبعد أن سمع منه رسالة ابن سعود ضحك ساخراً مما سمع وهو يقول في كبرياء وغرور!
قل لابن سعود : من يريد حكم نجد لايخاف من الحرب ثم أقسم على نفسه أن يضرب ابن سعود ضربة قاضية وأن يضرب أهل القصيم كذلك.[١]
ثم عاد الرشودي إلى بريدة حيث يقيم ابن سعود.

ابن رشيد : واصل زحفه إلى بريدة لمهاجمة أهلها وقتال ابن سعود الذي يقيم فيها.

ابن سعود : علم ابن سعود بتحرك ابن رشيد فخرج من بريدة حتى لاتكون مسرحاً للقتال والدمار، إلى منطقة الخب وتعرف باسم (البصير) ينتظر ابن رشيد.

قوات الطرفين :

ابن سعود : يتكون جيشه من تسعة آلاف مقاتل وفارس وهم من أهل الرياض وأهل القصيم وأهل الخرج وبعض حواضر نجد ممن دخلوا في طاعته وقبيلة مطير.

ابن رشيد : ويتكون جيشه من سبعة آلاف مقاتل منهم ألف عسكري نظامي من القوات التركية والباقين من قبائل شمر وعرب الشمال.

السـلاح :

ابن سعود : بنادق أم أصبع، والمرتين، والرماح، والسيوف، والفرسان.

(١) رواية الشيخ عياد بن نهير.

ابن رشيد : خمسة مدافع مع القوات التركية وبنادق ذات عشر طلقات مع القوات جميعها من نظامية وأعراب، بالإضافة إلى بنادق أم أصبع والسيوف الفرسان.

سير المعركة :

في صباح أول يوم من ربيع الثاني سنة ١٣٢٢هـ التقى الجمعان إلى الشمال الشرقى من مدينة البكيرية على بعد خمسمائة متر، واشتبكت القوتان في موقعين متجاورين الشمالى، ودارت المعركة في مزارع الخبيات الواقعة إلى الشرق من البكيرية انظر الخريطة رقم(١١).

ويمثل قوات ابن سعود : أهل القصيم ضد القوات التركية من جانب ابن رشيد.

والجانب الجنوبي ويمثل قوات ابن سعود : أهل العارض وما جاوره وقبيلة مطير، ضد رجال شمر وعرب الشمال ودارت المعركة في جوانب مزارع الحديثيات المجاورة لمنازل البكيرية أيضاً انظر الخريطة السابقة.

ثم شكلت فرسان ابن رشيد عملية التفاف من الغرب الى الشرق على قوات ابن سعود الجنوبية، واشتدت المعركة ضراوة واثخن كل في عدوه ودامت ثلاث ساعات.

النتيجة :

ابن سعود : انتصرت ميمنته والتي تمثل أهل القصيم، على ميسرة ابن رشيد وقتلت عسكر الدولة التركية وغنمت مامعهم من أسلحة، وهاجمت مخيم ابن رشيد الواقع جنوب قصر السديس، فغنمته بمافيه من مؤن، وعادت إلى بريدة.

بعد أن اشتبكت قوات الطرفين في مزارع الخبيات وماحولها وسارت الغلبه لقوات ابن سعود، لكن الفرسان من قوات ابن رشيد بعد عملية الالتفاف على ميسرة ابن سعود سببت الانسحاب لقوات ابن سعود من ساحة القتال، بعد أن قتلت من قوات ابن رشيد ثلاثمائة وسبعين منهم ماجد بن حمود بن رشيد.

وحينما أرادت الانسحاب لحماية خطوطها الخلفية شنت عليها قوات ابن رشيد الدفاعية بالتعاون مع الفرسان من الجهة المقابلة.

فقتلت من قوات ابن سعود عدداً كبيراً، واصابت آخر ين. الأمر الذي شل حركة القوات السعودية وجعلتها تنسحب إلى عنيزه.

الخسائر :

ابن سعود :

قتل من قواته ستمائة وأربعون رجلاً كما جرح مائة وخمسون رجلاً، منهم ابن سعود أصيب بشظية من أحد المدافع التركية في يده اليسرى.

ابن رشيد :

قتل من قواته ألف ومائة عسكرى نظامى تركى وقتل من شمر وعرب الشمال ثلاثمائة وسبعون، في مقدمتهم ماجد بن حمود بن رشيد.

سلاح الطرفين :

ابن رشيد : خمسة مدافع تركية، وبنادق ذات عشر طلقات، وبنادق أم أصبع، والسيوف، والأسنة.

ابن سعود : بنادق أم أصبع، والمرتين، والسيوف، والرماح.

النهايـــة :

أنسحب ابن رشيد إلى رياض الخبراء ومنها إلى الرس.

كما أنسحب ابن سعود إلى عنيزة.

وهذه الملحمة التاريخية الكبرى، نظمها الشاعر محمد العبدالله العونى، واصفاً بها وقايع معارك البكيرية الفاصلة، والرمة التي وطدت حكم آل سعود، وزعزعت حكم آل رشيد سنة ١٣٢٢هـ في القصيم فقال:

قوموا كفاكم شر ميلات الأقدار	شدوا على هجن لهن الطرب دار
شيب الذرا فج المناحر يعابيب	هوارب تطوى مدى بيد الأقفار
عامين ماشا فن مسافة وشده	ولا علن اظهورهن الاشده
أسلاف إلى اسلاف بعيدات شده	ماعوجن ارقابهن خوف الانذار
ياركب لاشلتوا عليهن ولا من	غير المـوادع والمين بـلا مـن
كمن فيكم حاضر القلب وامن	اطووا طويل ارسانهن فوق الأكوار
مقدار ما ارسم باليرا لى غرايب	وازكى سلام عد وبل السحايب
منى لمن شال الثنا والنوايب	يهدى الجواب وماذكرنا بالأسطار
والمرتجى ياركب قوموا بشانى	أمشوا كفاكم شر غيب الزمان
سجو رقاب العوص والعمر فانى	تلفون دار العز والجاه والجار

إلى قولـــــه :

علـى عنـيزه بالبيارق وردنا ماهاب أبو تركى ولا أخلف وعدنا
جينا وحنا واثقين بلدنا نظن ظن الخير والعبد مكار
يوم اقبلن اجموعنا في دجى الليل والى اضوى الحرب مثل القناديل
والطبل يضرب دون جال الوطن حيل شالوا شراع الشر عمسين الأبصار
شافوارها ماجد وقومه وخيله السافيه يشبه خيال المخيله
يرعد و يبرق بالسيوف الصقيلة يقول عينيكم إلى ما الدخن ثار
هذا سنعهم هم وماجد وحنا جينا مع الصفرا ولاهاب منا
غير المخاير بالرخا رد عنا من شاف أبو تركى عصى كل الاشوار
جينا كما سيل تزايد زفيره ماهيبونا بالحكايا الكثيره
اشعالهم نار عليهم معيره عيب على من شب نار وعنه نار
راحوا شتات ماثنوا بالبواريد وبنحورنا طاح ابن بسام وفهيد
وعيال عبدالله جعلناهم العيد ماسر أبو فدغم ولا طقه الطار
يوم استحس وشاف عج المغيره واوحى بابوتركى وخصه نظيره
أفقى معيف راضى بالكسيره خلى عبيد بين طلابة الثار
خلى الخيام وما بها ماج عنها وديارة اللي لبو متعب ضمنها

وخـيـار قـومـه شـرع الهـنـد منها   والحـمـد لله عـد تـفـريـخ الأطـيـار

مـاجـا الـضحى والنفس له ماتريده   مـاجـد نـصـا حـايـل وجـنـب بـريـده

واقبل شبيه الليث والسيف بيده[1]   واصـفـى عـلـى الديـره حـسـانـيه مـاجـار

واضحـت عنيـزه بـه عـز منـادى   واسـتـامـنـت مـن عـقـب ضـرب ألهنادى

واهـل بـريـده ركبها جـاه بـادى   عـزامـة مـا سـفـهـوهـم بـالأعـذار

قـال أبـو تـركـى[1] داركم منتوينا   بـريـاه وأسـبـابـه بـلـيـل سـريـنـا

والـصـبـح صبـحـنـا ديـار تـبـيـنـا   دسـنـا بهم معـنـا عـلـى الوسم الحـار

جـيـنـا وابـن ضبعان بالقصر حارب   والـشـيـخ جـانـا قـال كـوده يحـارب

أبـى وعـيـا لاهـس بـالـتـجـارب   والله لـــه شـــان بحكمـه وتـدبـار

قـنـا بحـربـه فـوق تـسـعـين لـيلة   ولاقـدرنـا لـه بـالأسـبـاب حـيـلـه

أغـراه عـرضـه والمبـانـى طـويـلـه   واللـى يـقـول ابـكـلمـتـه نـار وجـدار

قـنـا ومـديـنـا عـلـيـه الـسراديب   واخـتـل وأيـقـن بـالـردى فـانـى الشيب

نـادى بـعـفـو شـيـخـنـا لـه تجاريب   مـايـقـطـع الـدانـى ولاهـوب غـدار

حـول بـوجـه مـاتـنـقـض عـهـوده   مـاهـوب وجـه أمـعـز بـه مـايـفـوده

يـسـرق وسبهـان ونـاصر شـهـوده   نـيـة نـقـى وافـى مـابـعـد بـار

---

(١) عبدالعزيز آل سعود.

يوم ابن ضبعان نطق تقل خنزير قام أبو تركى ماحسب للمخاسير

نبب لنجد وصار عنده تدابير توه يبى حايل مقيظ ومصفار

والى الرشيد وشمر مستعدين للحرب لو قالوا جنوده كثيرين

ولادرينا باحتراك الصلاطين جونا بهمات عظيمات وكبار

زود على شمر وسكان حايل زادوا بترك مثل سود المخايل

عساكر ما تفتهم قول قايل خمارة تضرب طبول ومزمار

يوم أن أبو متعب نحاه أبو تركي عن نجد واهله حط الاتراك مركى

عاف العرب بسموتهم صار تركى حتى بعد بلسانهم صار بيطار

يوم انها ضاقت عليه المساعى وانزاغ قلبه من قنيب السباع

غدا لاهل حمر الطرابيش ساعى ينقل حوايجهم وبالليل نطار

يبغي بهم حكم وهم حاكمينه ما اعتاض من قبله حد نافعينه

أقضوا خزونه والدبش والظعينه مابينوها له إلى وقت الأثمار

جانا بهم يمشى كبار عزومه نزل (قصيبا) [1] وارتحل فيه زومه

يوم اشرف المرقاب هانت علومه طالع وشاف وعاف من بعض الاشوار

أقبل بى (سهلة بريدة) مقره لاشك واجه طارش [2] واستقره

---

(١) منطقة شمال القصيم على بعد (٧٤) كيلا. محلاتها: البليده، الخدما، الفجور، سحابه الخ.

(٢) واجه طارش واستقره: بن رشيد وافق له رجل مسافر وأعطاه الأخبار.

قال الحمالة شفت لليث جره سبع عطيب[1] الكف للعظم كسار

بالله جبر قال : شدوا مقافي يم (المذعر)[2] كود نلقى ملافي

أطاع شوره قال : هذا يوافي ووجس مهب اسهيل[3] به واهج حار

مشي وحنا بالبيارق مشينا والأمر لله والسبب به مضينا

يبغى (البكيرية) وحنا بغينا هدمه ولطمه قبل ما ياهل الدار

نزل وحنا عند خشمه نزلنا من دون ديرتنا تبين جهلنا

والطير ظلل فوقنا يوم صنا يرجى يمانينا وعدلات الانظار

سرنا عليه وسار بين الصلاتين[4] والشمس غابت من قتام الخميسين[5]

والبين صاح وناح بين الخصيمين واغبرت الآفاق واشتعلت النار

تخاطبوا من بينهم بالهنادى والترك ترطن والعرب له تنادى

لكن مطل الروس جدع الهوادى[6] بيوم عبوس الشر بوجيه الاشرار

الميمنة دارت وصارت خفيفة راحت عن الإسلام صارت خفيفة

والترك لاقتهم موارث حنيفه[7] ماخايروا يوم أن بعض العرب خار

---

(١) سبع عطيب: يعنى ابن سعود أنه سبع من عاداته يغلب عدوه و يعدمه.

(٢) المذعر : اسم موضع بين بريدة والبكيرية.

(٣) يريد بمهب سهيل: بن سعود لأنه من ناحية الجوف بالنسبة إلى حائل.

(٤) الصلاتين : العصر والمغرب.

(٥) الخميسين : الجيشين.

(٦) الهوادى: مطل الروس: رميها. والهوادى: الأثافى التي يرفع عليها القدر.

(٧) حنيفه: وهم أهل الرياض واليمامه.

عنوى هل العوجا [1] تعداهم اللوم أركوا جموع الحضر والبدو والروم

لولاه زهبهم كمل تالى اليوم ماخيشروا بالمدح بشهود الأخيار

يوم أكمل القصدير عيو يطيعون قامو بحدب امصقلات يهوشون

يوم أنهم خافوا بهم من تعرفون استعصموا بحدود عطبات الاذكار

ولابهم شافوا هل الشر خله الا جموع عايلتهم مظله

أولاد علي [2] شرعوا كل سله نعم بهم الصدق هو عين الأذكار

أركوا على شمر وراحوا مدابير وجموع حايل هم وسبعة طوابير [3]

دلت تصيح الغوث و ين المعابير يوم أنهم حاطوا بهم مثل الأسوار

سعود أبو تركى بسيفه ضربنا هماتنا بسيوفنا ما اكتربنا

لكن جدع الروح يوم انتدبنا جدع الحدايج [4] عند لغوات الأسفار

بنحورنا ماجد وابن جبر خلى وشيوخ شمر ملحقين المتلي

ورجال حايل هيه فكر وقل لي! والترك تسع تزيد القمندار

وميه وخمسين لهم ماصبرنا هم بالمدافع والهنادى قهرنا

---

(١) هى كلمة التوحيد اتخذها محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى شعاراً له يدافع عنها و يدعوا اليها هو ومجدد الدعوة شيخ الإسلام فقال الاعداء هذه عوجا. فقالوا (حنا هل العوجا).

(٢) أهل القصيم.

(٣) والطابور في التشكيل التركى = (١٥٠) عسكرى.

(٤) أحلاس الأبل.

غصب حبستهم بساحة ديرنا لنا بهم دبره ولله تدبار

أسباب هرج الزود عجل عقابه قصده يورينا و يضفي حجابه

الشد مكسور دقنا حرابه وصابهم ذل بلا شوف اش صار

زادوا وعابهم سريع على الزود خلو دويد ومدهم خير معبود

واظهر هل التوحيد والعدل والجود وادعى هل الباطل يولون الأدبار

العاقبة صارت لمن طاع مولاه صارت لنا من فضل ربى وحسناه

واذهب ولد متعب وشتت رعاياه وادحض حمير الشرك عباد الأشجار

من عقب مازادوا بليا بصيره وادهى ولد متعب بحكم الجزيره

نصب اكريشان[1] عشيره بديره خانوا سكنها عرقها عرق بوار

ماهو جسوا منا سريع برده يوم بها المضيوم يختار ضده

والشيخ أبو متعب بعد باح سده ماظنتى بالضيغمى[2] حامى الاقطار

تنحر (الخبرا) يجر المدافع[3] ماظن جال المدار دونه نـدافع

ثور وشاف الطوب ماهوب نافع أولاد (منصور) عطيبين الاشوار

نزل وعاهد واخلف الله طاريه يقول ماعقب الوطن غير أباليه[4]

(١) نائب ابن رشيد في الشئون الإدارية.
(٢) لقب لابن رشيد.
(٣) اتجه إلى بلدة الخبراء: يعنى ابن رشيد.
(٤) يعنى بلده الخضراء.

هو ما درى أنه دونه السيف حاميه   حول العتارى [١] فيه الاسياف يتار

هو نسى أبو تركى وهم خابرينه   فله [٢] برايه واستقره بلينه

واظهر له الفرجه [٣] وداره بعينه   وابرم عليه الحيلة سو الاقدار

واصبح وفوق الصبح كدار كراره   وانحاش ماشاف السعد والعباره

حتى جواده ماركبها بداره   شرايده تسعين لمعزبه نار [٤]

ساعة وصل شيخه عرف و يش دارى   قال الخبر لو أنت باقصاه دارى

أن طعت شورى حل عنك الطوارى   جاك ابلج عمى عنيد وجبار

واقفى عن (الخبرا) ذليل ومطرود   ماحاش غير النقص والذبح والسود

صارت عهوده والمحاليف منقود   واقفى يسحب عسكر الذل والعار

قلنا سلم منا بتالى عيوبه   واثره تقوده للهلاك العقوبة

من كثر سياته ورجحة ذنوبه   لادل درب الرشد للغى يندار

يوم أن والى العرش به تم شانه   شاله من (الخبرا) لجال (الشانه) [٥]

فنيوا جميع والعنا هو مكانه   والجار - بالجارى - شريك مع الجار

---

(١) الرقاب المتينة.

(٢) أى ابن سعود هزم ابن الرشيد وأرداه بأفكاره.

(٣) فتح له طريق ليهرب إلى الرس - يعنى ابن رشيد.

(٤) يعنى ابن رشيد ذهب إلى سيده في العراق يطلب منه النجده.

(٥) قرية قديمة إلى الغرب من الرس نزل فيها ابن رشيد.

يـوم اسـتـقـر بمنـزلـه واخـتـبـرنـا		مـن (الـبـكـيـريـة) صبـاح ظـهـرنـا

سـرنـا مـع الـوادى تـطـارخ شـهـرنـا		فـي رأى أبـو تـركـى حمدنـا للأشـوار

جيـنـا كما مـزن غـطـا الجـو بـغـيـوم		عـطـا (الـشـنـانـه) عـجـنـا وارهـق الـقـوم

واسـتـاخـذوا مـاكـن طير السعـد حـوم		نــزل ولــه فيـهـا تـدابـير وانـظـار

بـنـى خـيـامـه بـالـرفـايـع قـبـالـه		ولا زل يـوم مـا نهـبـنـا لمـالـه

ولاحـل كـون مـا ذبحـنـا رجـالـه		نصر مـن الـبـارى عـلـى دورهـم دار

بـالـرس خيم فـوق تـسـعين لـيـلـه		واسـتـحـسـن الـراضـه لـتـدبـير حيـلـه

بـه صـد ابـو متعـب وضـيـع دلـيـلـه		والـى اشـتـهـى الـطـيـره شـبـكـنـاه مـاطـار

ثـلاثـة اشـهـر مـاخـفـى بـيـنـهـنـه		والخـيـل تـكـظـم بـيـنـنـا بـالأعـنـه

والـكـون[1] حتـم صـار فـرض وسـنـه		مـا زال يـوم مـا الـقـهـر بـيـنـنـا ثـار

وهـق[2] ولـد مـتـعـب جـنـوده تـبـاريـه		ومـكـاتـب الـسـلـطـان والمـد يـرجـيـه

مـن دونـنـا شـدوا ايـديـهـم بـيـاديـه		حـطـوه ذخـر دون عـلام الاسـرار[3]

فـالـى رجـوا مـده وجـوده رجـيـنـا		رب كـريم مـالـغـيـره عـنـيـنـا

فـالـى دعـوا سـلـطـانـهـم لـه دعـيـنـا		الـواحـد الـفـرد الـصـمـد محـي الاشـجـار

---

(١) الحرب والاقتتال.

(٢) أراده.

(٣) يقول ان ابن الرشيد توكل على مساعدة السلطان من دون الله.

خيب مراجيهم ومكن رجانا	أمدنا بالنصر واذهب عدانا

أخمد سناهم[1] عز واظهر سنانا	به نقضى الحاجه وبه نطلب الثار

قلنا عليه امشو حصل ما تريدون	قال أبو تركى بالمهل لا تعجلون

واثره بظنه ظن يغويه بظنون	مثل اصفة الجارى، على مثل ماصار

نزل على قصر ابن بطاح منجوم	ثور علينا بالمدافع طرف يوم

قال اصبحوا ياقوم والصبح ملزوم	أخرب القرية وأحرق بالاثمار

يوم اصبحوا والصبح له بان نوره	قامت تزلزل بالرشيدى قصوره

واخلف حسابه طير شلوى[2] ومشوره	واختف مرعوب عن الدار منذار

جاه اجردماينقل الحال عارى[3]	نيم ولد متعب وهو جاه سارى

وثب عليه أمن الحدب تقل ضارى[4]	صكه بمخلاب جلا كل الامرار[5]

رحل وخلا المال تقفى ظعونه	وجموع شمر والطوابير دونه

شبهتهم نو تبنى مزونه	يسوقه الغربى مطيع بالادبار

يوم أبو متعب شافنا واصلينه	نوخ وعزل وارتكى في بطينه[6]

---

(١) أطفاء نارهم وأذهب ريحهم.

(٢) كناية : يلقب بها الشجاع من الرجال وهو يعنى بها ابن سعود.

(٣) أجرد: نحيف الجسم من هموم الحروب يعنى به ابن سعود.

(٤) مثل ابن سعود بالصقر عند ضربة ابن رشيد.

(٥) يعنى معركة وادى الرمة.

(٦) اختفى في سفح الجبل.

أيـقـن بـردتـنـا وحـن واصلـيـنـه جيـنـاه غـشـم كـنـنـا خشم سنجار[1]

ثـور عـلـيـنـا بـالمدافـع ولا ثـاب ساق الـعـسـاكـر والـبـوادى والاجـنـاب

وارهف باهل حايل وجانا بالاطواب واشـتـدت الـشـده وعـج الـوطـا ثـار[2]

و يـذكـر هل العوجا و يسمع نداهم واولاد عـلـي يـوم الـزحـام اعـضـداهـم

نـعـم بهـم واللـى بـعـد مـانـسـاهـم مـشـوا لـبـو تـركـى عـلـى الـعـسـر و يـسـار

إلى قولـــــــه :

واقـفـى ولـد متعب من الزوم خالى عـقـب الـكـسـايـر نـار عـيـا يـبـالـى

خـلا خـيـامـه مـاثـنـى للتـوالـى بـايمـانـنـا نـذبـح بهـم ذبـح جـزار

أقـفـت شرايـدهـم من المال خالين وقـارى عـقـبـوا جمـيـع الـبـلاديـن

خـلـوا نـسـاهـم والحـلل والـوارعين واطـوابهـم والـتـرك هـلـكـوا بـالاقـطـار

واللـى ذبحـنـا تـسـعـمـايـة يـزيـدون غير الـعـلـوم المـاضـيـة حق ذا الـكـون

خـلاص مـاظـنـيـت عـقـبـه يعودون عـرفـوا وشـافـوا خـوضـنـا خـوض الأخطار

واسـتـامـنـت بـلـدان حـنـا ذراهـا بـالله ولا غـيـره سـمـكـنـا بـنـاهـا

ثم أبـو تـركـى مـعـفـى حمـاهـا حيـد عـلـى صـعـبـات الاحـوال صـبـار

---

(١) يقال أنه جبل في نجد.

(٢) غبار الأرض.

إلى قولــــــــه :

تراه أبو تركي ووصفي بغيره   صبر على حكم الدول والجزيرة

حاشه ومختصه وربي نصيره   يدبر افعاله صغيرات وكبار

أن يسر الباري وزانت وفوقه   لابد من يوم تشاعل بروقه

يوم على حايل صدوق حقوقه   يضفي عليهم غيمه صب الأمطار

تم الجواب وتم بدع القرايض   وازكى صلاة الله عد الفرايض

وعد ماسيقن جموع العرايض   على النبي محمد سيد الابرار

الـرس

الـــــرس :

بفتح الراء المشدده بعدها سين مهملة مشددة، ذكر الهمدانى في صفة جزيرة العرب اشعارا كثيرة لعدد من الشعراء ورد ذكر الرس في تلك الاشعار في ثلاثة مواضع [١] ولم يفسر الأماكن الواردة فيها ومن ذلك قول الشاعر «زهير ابن ابى سلمى»:

«عفى الرس منه فالرسيس فعاقله»

وقال الشيخ العبودى : في معجمه :

«**الرس :** مدينة رئيسية من مدن القصيم بل هى المدينة الثالثة في القصيم كله بعد بريدة وعنيزه.

وموقعها من غربى القصيم كموقع عنيزة من جنوبه [٢]. ا. هـ

وقال ياقوت في معجم البلدان [٣] :

«الرس بفتح أوله أو التشديد، البئر، والرس : المعدن. قلت ــ وقد وردت في شعر المتقدمين من قبل الإسلام وبعده ومما ورد فيها قول : الشاعر «عامر بن عمرو الحصينى» ثم المكارى :

وأقفرت العبلاء و«الراس» منهم وأوحش منهم يثقب فقراقر

---

(١) انظر صفة جزيرة، العرب للمهدانى ص ٣٩٧، ٣٨٣، ٤٢١.

(٢) معجم بلاد القصيم ج٣/ ١٠٢٣.

(٣) ج٣/ ٤٤.

وقال زهير بن أبى سلمى :

«لمن طلل كالوحى عاف منازله عفا (الرس) منه فالرسيس فعاقله[1]»

وقال أيضاً :

«بكرن بكورا واستحرن بسحره فهن ووادى «الرس» كاليد للفم[2]»

وقال الحطيئة :

«عفاالرس والعلياء من أم مالك فبرك فوادى واسط فنيم[3]»

قلت — وقد ورد ذكر الرس في شعر الخنساء — ديوانها — وفي شعر لبيد بن ربيعة وفي شرح الحماسة للمرزوقى ص ١٤٨٣ مما لايتسع هنا ذكره.

وأول من عمر الرس لبنى أسد، ثم آل الصقيه، ثم آل أبى الحصين الذين لاتزال الأمارة فيهم حتى الآن.

قال العبودى في معجمه[4] قال الشيخ إبراهيم بن ضويان

في تاريخه :

الرس، هو لبنى أسد، وضرب برحليهم إلى الطرق، وأول من سكنه (آل الصقيه) من بنى تميم في جلوهم (يعنى انتقالهم) من أشيقر في حدود المائه

---

(١) ديوانه : ص ١٢٤.
(٢) ديوانه: ص ٩.
(٣) ديوانه ص ٣٨.
(٤) ج٣/ ١٠٢٦.

التـاسعة من الهجرة، ثم باعوه على آل أبى الحصين، أقول : آل أبى الحصين هم ذرية محمد بن على ابن حدجه العجمى. ا. هـ.

قلت ــ ومن قراها «الشنانة» وسيأتي الحديث عنها، وقصر ابن عقيل بضم العين وفتح القاف وكسر المثناة التحية المشددة فلام.

«وقصر ابن طاح»: بالفتح، «والحندلية»، وعدد من المزارع والأودية والشعاب ومن أشهر الأودية، «وادى الرمة» الذي يسيل من غربها وشمالها إلى الشرق. انظر الخريطة (١٢)، أما الشنانة فهي : بسكون الشين المشددة فنون فألف، ثم نون ثانية فهاء.

وقد سميت بذلك الاسم نسبة إلى شجر الشنان.

قال العبــــودى :

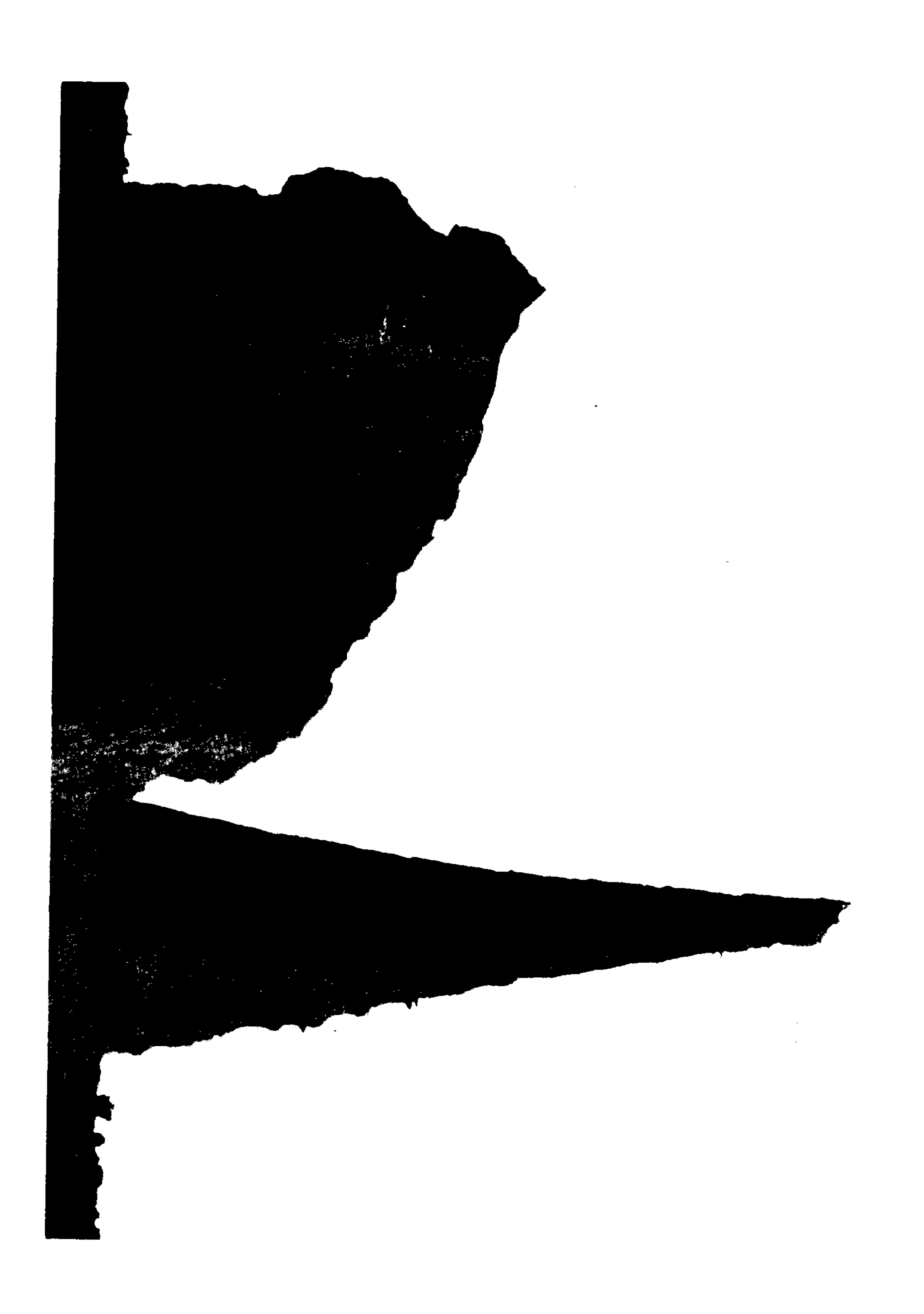
«الشنانة : بصيغة النسبة إلى الشنان و«الشنان من شجر الحمض عندهم ينبت بكثرة في منطقتها فسميت «الشنانة» لهذا السبب... إلى قوله:

وآخر عهدها بالعمران والأزدهار عندما نزلها عبدالعزيز بن متعب ابن رشيد أبان منازلته الملك عبدالعزيز بن سعود بعد وقعة البكيرية في عام ١٣٢٢هـ، اذ عمد إلى نخلها فقطعها بغية التدمير... الخ [١].

قلت : وقد بقى من آثارها برجها أنظر الصورة، والذي كان ابن رشيد يرصد منه تحركات ابن سعود، سنة ١٣٢٢هـ.

ويرتفع البرج بـ(٢٦) مترا وقد صعدت فوجدت مكتوب في ناحيته الغربية من أعلاه بنى سنة ١١١٥هـ بالجبس الأبيض.

(١) ج٣/ ١٢٨٩.



كما يوجد حوله آثار منازل قديمة وعدد من الآبار الغورية، وبعض المزارع، انظر الصورة رقم (١٣).

وادى الرمة : بفتح الراء المهملة والميم المشددة، وهو واد كبير من أعظم أودية الجزيرة العربية ينحدر من شرق المدينة ويسيل عبر القصيم حتى يصب في الباطن، ثم إلى البصرة في العراق.

قال الأصفهانى في بلاد العرب[١] :

«والرمة : تجيء من الغور والحجاز، فأعلا الرمة لأهل المدينة، وبنى سليم ووسطها لبنى كلاب، وغطفان، وأسفلها لبنى أسد وعبسى، ثم ينقطع في رمل العيون» .ا.هـ.

قلت : والرمال التي يتوقف فيها سيل وادى الرمة هي رمال الثوايرت في الشمال الشرقى من بريدة وبالتحديد فيما بين النبقية والعفجة شمال الربيعية، ليستقر في قاع منها.

وقال ياقوت الحموى في معجمه :

«**الرمة:** بضم أوله وتشديد ثانيه وقد يخفف : فذكره أبو منصور في باب ورم وخففه ولم يذكر التشديد وقال :

بطن الرّمة واد معروف بعاليه نجد... إلى قوله : وفي كتاب نصر : الرمة بتخفيف الميم، واد يمر بين أبانين، يجيء من المغرب أكبر واد بنجد يجيء من الغور والحجاز اعلاه لأهل المدينة وبنى سليم ووسطه بنى كلاب وغطفان، واسفله بنى أسد وعبس ثم ينقطع في رمال العيون[٢] ا .هـ.

(١) ص ٧٩.
(٢) ج٣/ ٧٣.

وقال العبودى في معجمه :«وادى الرمة تنطق به العامة في الوقت الحاضر بتشديد الراء وتسكينها، ثم ميم مفتوحة مخففه، ثم تاء مربوطه.

وهذا هو ماكان ينطق به في القديم على الأصح ما عدا ضم الراء المشددة... إلى قوله ومما يدل على أنه حتى في القديم لم يكن يلفظ به مشدد الميم.

ومن الدليل على ذلك أن جميع الأشعار الفصيحة التي ورد فيها ذكر وادى الرمة كان يرد فيها الاسم مخفف الميم، ثم استشهد بقول الراجز :

لم آر كالليلة لبلى مسلمة   أنى اهتديت والفجاج مظلمة

لراكبين نازلين بالرمة

قال في سبب تسمية الوادى، روى الحربى عن هشام بن محمد الكلبى عن أبيه قولا غريباً في سبب تسمية الرمة فقال [1]:

سمي (ذو نقر) بنقر بن جناده احتفوها [1] فنسبت إليه، وأخوة الرمة ابن جناده نسب إليه بطن الرمة... إلى قوله: و يبتدىء سيل الوادى من الرأس الأبيض وهو جبل مرتفع أبيض اللون يقع إلى الشرق من خيبر تجرى بعض سيوله إلى الغرب فتصل إلى خيبر، و بعضها إلى الشرق فهى أول مياه (وادى الرمة) ثم تتجه إلى الحايط والحويّط التي تبعد عن الرأس الأبيض بحوالى (٥٠) كيلا و يرى من يكون من الحو يط رأس هذا الجبل الأبيض بوضوح وذلك لارتفاع موقع الجبل.

ونهاية الوادى كما يقول العامة و بعض الخاصة وهو:

---

(١) ج٦/ ٢٤٧٨.

أن الرمة كان يستمر في جريانه حتى يصب في سواد العراق عند البصرة ولكن الذي أوقفه عن ذلك ظهور رمال (الثويرات) والدهناء ويدللون على هذا القول بأن هناك مايشبه مجرى الوادى إلى الشرق من الدهناء ويسمى الآن (الباطن).

.... إلى قوله: إلا أنني لم أجد أى ذكر لهذا الزعم في كتب الجغرافيين والبلدانيين العرب».

الموقع الجغـــرافى :

يقع قصر ابن بطاح على جانب وادى الرمة من جنوبه الشرقى وفي تقاطع خطى العرض ٥١، ٥٢° شمالاً والطول ٢٢، ٤٣° غرباً.

وهو إلى الشمال الغربى من الشنانة، يبعد عنها بـ(١٣٫٥) كيلا ونصف، وعن مدينة الرس بـ(١٧) كيلا.

المنـــاخ :

مناخ الرس وقصر ابن بطاح ووادى الرمة مناخ صحراوى شديد الحرارة صيفاً تبلغ درجات الحرارة من ٤٠ ــ ٤٣ درجة مئوية وباردا شتاء حيث تبلغ درجات البرودة من ١٨ ــ ١٠ درجات مئوية.

الأمطـــار :

المعدل المتوسط السنوى لهطول الأمطار في منطقة الرس وضواحيها مابين ٣٨٠ ــ ٤٠١مم.

الارتفـــاع :

أمـا الارتـفـاع عـن سـطـح الـبـحر لمنطقة الرس ووادى الرمة فهو (٦٧٥) أمتار.

الوصـف الجغرافي :

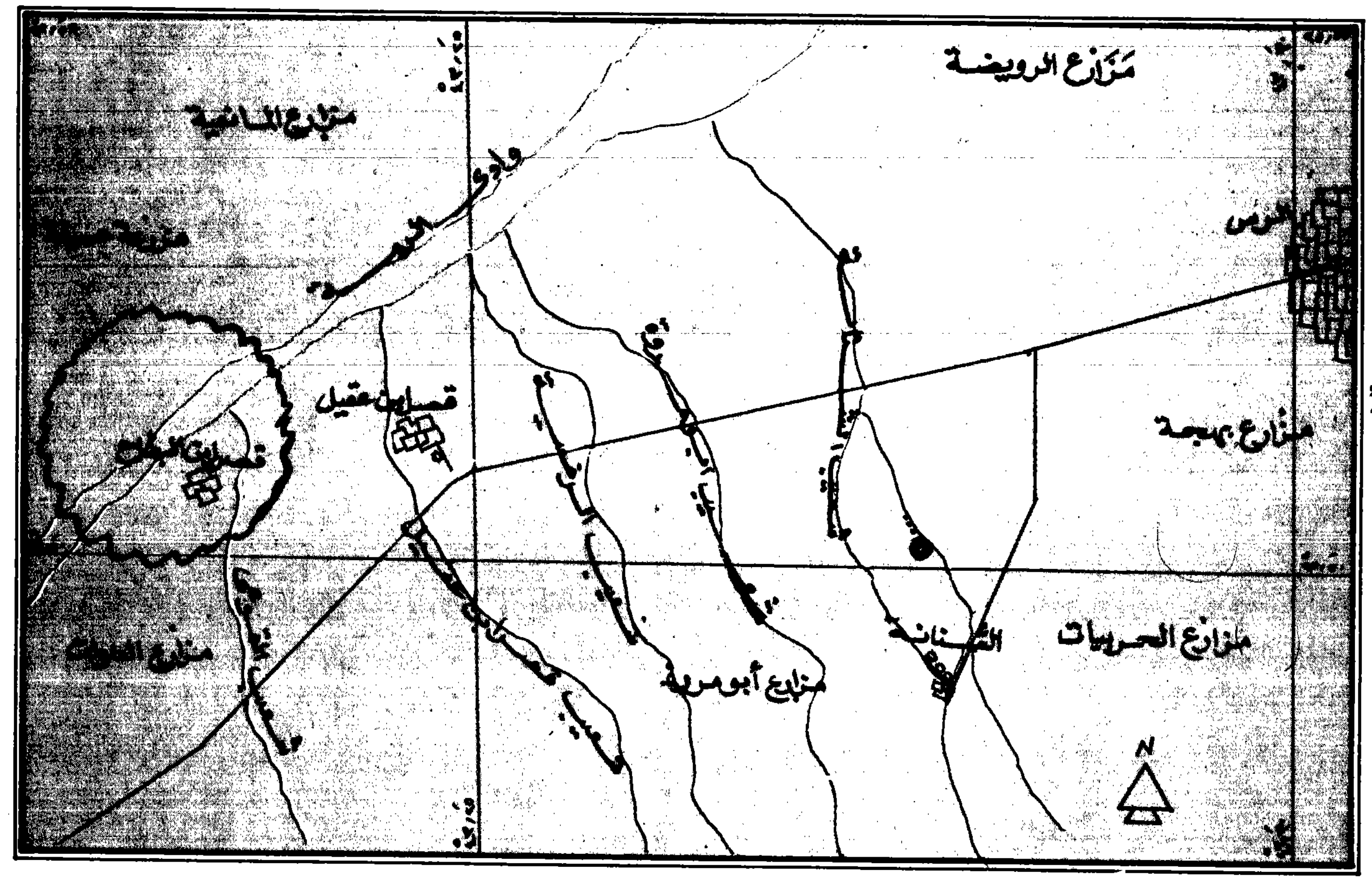
المنطقة أرض منبسطة يتخللها بعض الشعاب، ووادى الرمة ــ كما يوجد بها بعض المزارع، انظر الخريطة رقم (١٢).

مساحة الميدان الذي دارت فيه المعركة :

بـلـغـت مساحة ميدان القتال من الشرق إلى الغرب كيلا ونصف الكيل ومن الجنوب إلى الشمال ثلاثة أكيال.

الحـــدود :

يحـد المـيـدان مـن الجنوب الشرقى قصر ابن بطاح، وقد كان القصر بداية المـعـركـة، ومـن الشمال أرض صخرية غير مرتفعة ومن الغرب والشرق وادى الرمة.


مزارع الرويضة
وادي الرمة
الرس
قصر ابن عقيل
مزارع بهجة
الشنانة
N

معركة وادى الرمة
(الشّنَانَة)

تعرف هذه المعركة (بمعركة الشّنانة)، وهى في الحقيقة ليست معركة الشنانة، فالمسافة بين وادى الرمة والشنانة (١٣٫٥) كيلا ونصف.

لذا فان (الرس) و(الشنانة) و(قصر ابن عقيل) عبارة عن مطاردات من ابن سعود لابن رشيد ولم يحدث بالمواضع الثلاثة معركة، كما سيأتي بيانه.

الأسباب :

كما تحدثنا آنفا عن معارك القصيم أن السبب فيها هو رغبة ابن رشيد في احتلال القصيم ليكون تحت سيطرته لكثرة موارده الزراعية وغير الزراعية.

ولكن قدرة الله سبحانه وتعالى منعته من ذلك وجعلت من عبدالعزيز بن سعود حصناً منيعاً في وجه ابن رشيد يصده عنها و يقاتله.

الموقف العـــام :

ابن رشيد : بعد أن هزمته ميمنة ابن سعود في البكيرية وأخذت منه كل المواد التموينية وقتلت جند الأتراك الذين معه.

انسحب إلى رياض الخبراء ثم منها إلى الرس ليتخذ منها قاعدة له يعيد فيها بناء جيشه و يتزود منها بالغذاء وما يحتاج إليه من مؤن.

لكن ابن سعود علم بذلك فبعث إلى أهل الرس وطلب منهم منعه، فصمدوا في وجه ابن رشيد ومنعوه من دخولها، فحاصرها ثلاثة أشهر متخذا له من الشنانة مقرا لقيادته وأخذ يشن غاراته على القرى المجاورة للحصول على زاده اليومى.

وكان قد أرسل مبعوثاً إلى حاكم العراق يخبره بما حدث له مع ابن سعود ويطلب منه النجدة والمساندة.

موقف حاكم العراق من مطالب ابن رشيد :

بعث حاكم العراق مائتا جندى نظامى تركى ومعهم السلاح والذخائر والأموال.

موقف ابن رشيد :

بقاؤه في الشنانة ثلاثة أشهر سبب لجنده من قبائل شمر وعرب الشمال مرض الطاعون، فهلك منهم أعداداً كبيرة وفر من معه من عرب الشمال فلم يبق معه سوى أهل الجبل من شمر والمدد الذي أتاه من حاكم العراق.

ابن سعـــود :

بعد أن هُزِمَت ميسرته من قبل قوات ابن رشيد ـ الفرسان ـ انسحب إلى عنيزة واتخذ منها مقرا لقيادته وأخذ يعد جيشاً لضرب ابن رشيد.

فبعد أن تواجدت قواته من أهل نجد والقصيم وبعض القبائل رحل إلى الرس حيث ابن رشيد وعند وصوله رحب به أهل الرس وغمرتهم الفرحة بقدومه.

فاتخذ منها قاعدة وأخذ يستطلع قوات ابن رشيد وتحركاته من برج الرس الذي يقع في وسط المدينة ويرتفع بـ(خمسة وعشرين مترا) عن سطح الأرض.

ابن رشيد :

يشاهد ابن سعود وقواته تدخل الرس، كما شاهد الاستقبال الذي استقبلوا به ابن سعود، وعلم أن سكان قرية الجندلية وقصر ابن عقيل قدموا البيعة لابن سعود ليلا، الأمر الذي هز كيان ابن رشيد وزاده رعباً على رعب، وكان يشاهد كل ذلك من برج الشنانة العالى والذي يبلغ ارتفاعه بـ(ستة وعشرين مترا) أنظر الصورة.

فخرج منها مذعوراً إلى قصر ابن بطاح والمعروف بـ(الجويعى) والذي يقع على جانب وادى الرّمة من الجنوب الشرقى، ونصب مدافعه فيه وأخذ يقصف قصر ابن عقيل الذي يبعد عنه إلى الجنوب بـ(كيلو ونصف) انظر الخريطة.

ابن سعود :

قامت استطلاعاته بتقديم تقريرا مفاده أن ابن رشيد سيهاجم قصر ابن عقيل ليلا ويحتله.

فسارع ابن سعود ونزل قصر ابن عقيل ومنه وجه النيران على ابن رشيد في قصر ابن بطاح.

ابن رشيد :

بعد أن احتل ابن سعود قصر ابن عقيل يئس من النصر ولم يسعه إلا أن قسم قواته إلى قسمين:

الأول : ويكون خط دفاع يقوم بحماية قصر ابن بطاح والحفاظ على ما وضع به من أموال وعتاد وتموين.

الثاني : وقد وضعه في جانب وادى الرّمة من الشمال الغربى ونصب الخيام ووضع بها الذهب والفضه واستعد للدفاع عنها بكل ما أوتى من قوة.

سير المعركة :

في مساء يوم ٢١/ من شهر رجب عام ١٣٢٢هـ وبعد أن تواجدت قوات ابن سعود في قصر ابن عقيل وفي ثلث الليل الأخير أصدر ابن سعود أمره إلى قواته بالهجوم على قصر ابن بطاح واحتلاله.

قامت القوات بتنفيذ الأوامر وشنت هجوماً كبيراً على القصر ودارت المعركة قبل الفجر، وتم لقوات ابن سعود احتلال القصر بما فيه من أسلحة وذخائر ومؤن حربية وأطعمة.

وفر من سلم من قوات ابن رشيد المدافعين من الأتراك وبعض رجال شمر، ومعهم قائدهم ابن رشيد.

الأمر الذي زاد حماس قوات ابن سعود فواصلت هجومها على المنسحبين ومن قبلهم في الخط الثانى الخلفى واشتد القتال ضراوة وعنفا، وكانت الساعة وقت الهجوم الثاني هي مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس من صباح يوم الأحد الموافق للثاني والعشرين من شهر رجب سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية.

فلما رأت قوات ابن رشيد المتمركزة في الخط الخلفى فرار اخوانهم من الخط الأمامى وسقوط القتلى وشدة الهجوم وسمعت ارتفاع الأصوات مابين مكبر ومهلل ومستنجد ومضروب فروا هم أيضاً ومعهم قائدهم ابن رشيد.

تاركين وراءهم كل ما لهم من ذخيرة ومال.

النتيجة والخسائر :

انتصار ابن سعود، وانهزام ابن رشيد.

ابن رشيد :

يخسر كل مايملكه وكل ما أوتى من قوة ومدد من العراق لاسيما الجند فقد قتلوا جميعا، ومعهم مائة وسبعون من رجال شمر.

ابن سعود: قتل من قواته ثلاثة عشر فردا وجرح سبعة وخمسون.

النهاية :

ابن سعود يأمر بجمع الأموال والسلاح والذخائر ونقلها إلى عنيزة، لحصرها واتخاذ القرار الخاص بها.

أما ابن رشيد : فقد فر هارباً إلى حائل يلتمس الزاد والراحلة من أبناء البادية وسكان القرى التي يمر بها وكان يحرضهم ضد ابن سعود و يبث الدعاية لاستمالة الناس إليه ولكن هيهات أنّى له ذلك فهو في وضع لايحسد عليه.

ومما قاله الشعراء في تلك المعركة، قول الشاعر خالد الفرج، في حق ابن الرشيد.

ناوشوه القتال بالانسحاب — وبوادي (الرّمة) على قيد قاب

قددنا حينذاك وقت الحساب — حين أضحت جنوده في اضطراب

لم تفده الأتراك بالأطواب — اذ تولوا فورا على الأعقاب

ثم لاذ ابن (متعب) بالفرار

وقال في حق القوات السعودية :

ثم عــادوا إلــى الــغــنــائم حــالاً غنما ينهـــبـــونهـــا وجمـــالاً

وعــتــادا قــد أثــقــل الاحــتــمالا وصـــنـــاديــق ضـــمـــنـــت أمــوالا

قــســموهــا على الــسواء فــنــالا كـــل فـــرد غُنما كــبــيــراً ومــالاً

واكـــتـــفـــى ابــن (الـسعـود) بـالانـتـصـار

روضة مهنا

التعريف الجغرافي :

روضة مهنا : بفتح الراء المهملة وسكون الواو وفتح الضاد المعجمة، مضافا إلى مهنا باسكان الميم وفتح الهاء فنون مشددة فالف : ومهنا هو : ابن صالح أبا الخيل أمير بريدة وتوابعها من القصيم، قتل عام ١٢٩٢هـ هكذا قال الشيخ العبودى [١] في معجمه.

وذكر ذلك أيضاً الشيخ حمد الجاسر في معجمه [٢].

قال العبودى في معجمه : نسبت هذه الروضة إلى مهنا لأنه أول من عرف أنه حاول احداث عمارة فيها. ا. هـ.

قلت : وقد ورد ذكرها في الشعر العامى والفصيح ومن ذلك قول الشاعر العامى العونى :

ساعتين تشيب اللى حضرها ... مطلع الجدى من (روضة مهنا)

طاح أبو متعب بأول قهرها ... راح ماتقل بالدنيا تهنا

وفي الشعر الفصيح قال خالد الفرج :

روضة ينسبونها لمهنا ... شهدت هول عبرة ذات معنى

ترعب المعشرين انسا وجنا ... جاءها أربعون شيخاً مسنا

---

(١) ج٣/ ١٠٧٢.

(٢) اسماء المدن والقرى/ ج١/٥١٩.

الموقع الجغرافي :

تقع روضة مهنا إلى الشمال الشرقى من مدينة بر يدة عاصمة القصيم وفي تقاطع خطى العرض ٤، ٢٦ شمالاً والطول ٢، ٤٤ شرقاً وتبعد عنها بـ(٤٩) كيلو، ثلثى الطر يق رملى وغير معبد عبر قر ية الربيعية.

تضاريس روضة مهنـــا :

تنقسم روضة مهنـــا إلى خمسة أقسام :

أولاً : أرض منبسطة جرداء من الشجر والحجر وتكون جنوب وغرب روضة مهنا.

ثانياً : كثبان رملية متحركة تربط الثو يرات الشرقية بالثو يرات الغر بية.

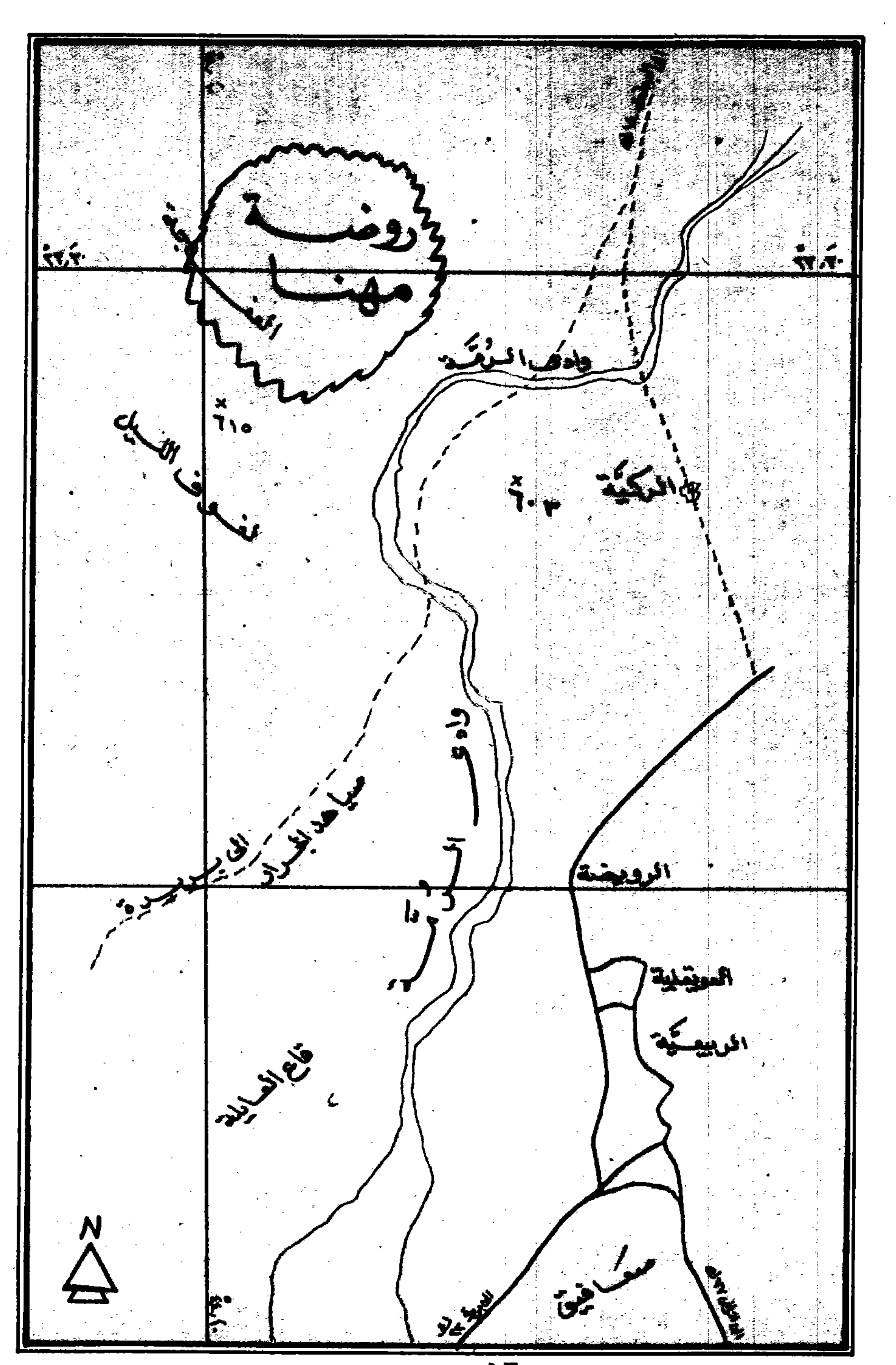
ثالثاً : تلال الثو يرات الشرقية وترتفع عما يليها من الأراضى بـ(٥٠) متراً تمتد من الجنوب إلى الشمال تغطى جوانبها الغربية رمال متحركه تربطها بالقسم الثاني.

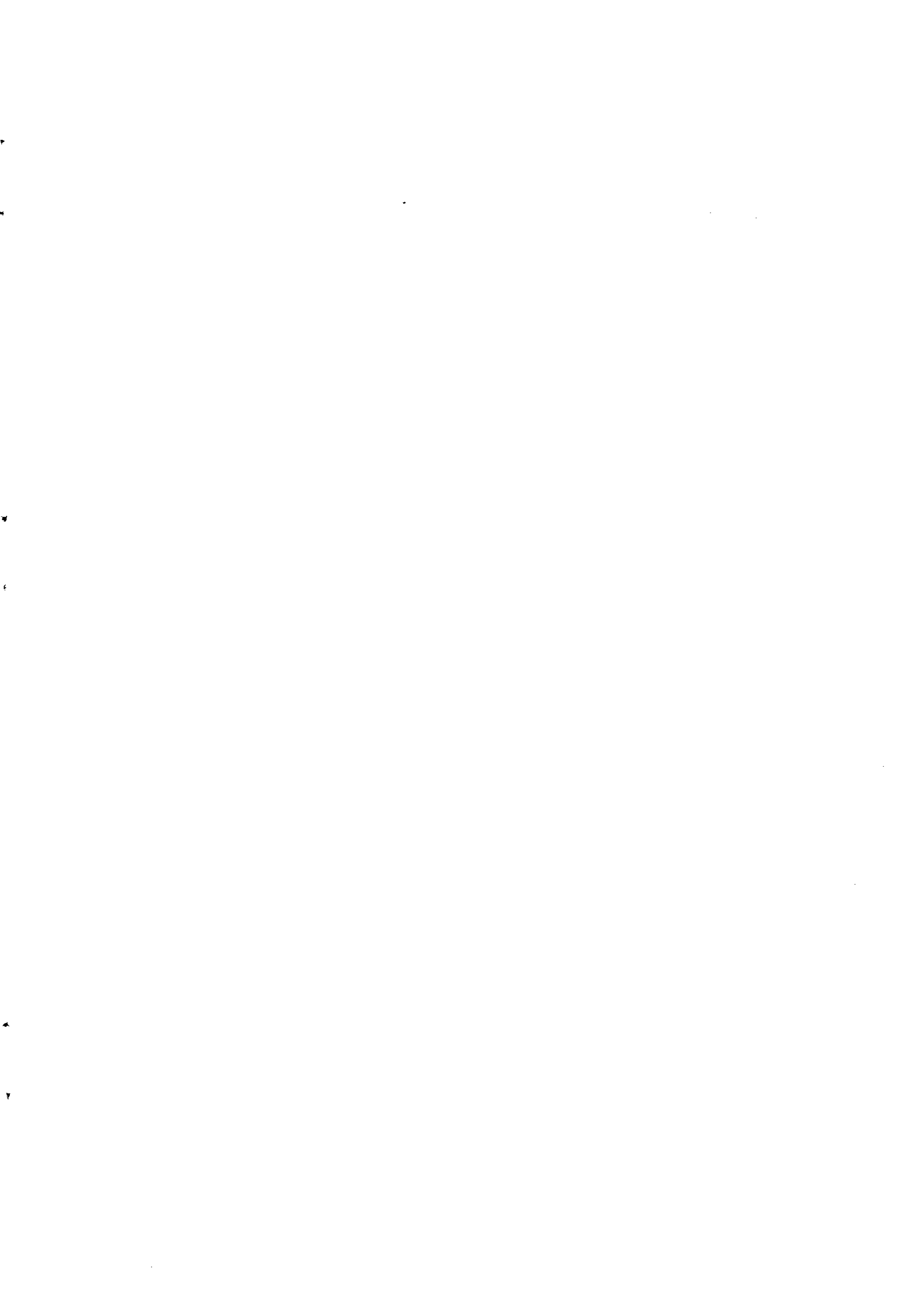
رابعاً : اللغف : بفتح المعجمة : هى أرض منخفضة تحدها من الشرق والغرب الثويرات وفيها مقتل ابن رشيد، ثم يلى اللغف من الشمال العفجة، أرض منبسطة كانت مقر قوات ابن رشيد.

خامساً : الثو يرات الغربية : وهى أقل ارتفاعاً من الشرقية وتمتد من الجنوب إلى الشمال أيضاً و يبلغ ارتفاعها عما يليها بـ(٤٠) مترا. وترتفع روضة مهنا عن سطح البحر بـ(٨٥٠) مترا.

المنـــــاخ :

المناخ صحراوى شديد الحرارة صيفاً ودرجات الحرارة مابين (٤٠ ــ ٤٥) درجة،و بارداً شتاء حيث تبلغ درجات البرودة من (٦ ــ ١) درجة.


روضة مهنا
٦١٥
وادي الرمة
الركية
٦٠٣
الرويضة
الربيعية
N



الأمطـــــار :

يبلغ متوسط سقوط الأمطار خلال السنة من (٥، ٥٠ ــ ٢، ٧٦) مل.

مساحة الروضــة :

تبلغ مساحة الروضة من الشمال إلى الجنوب بـ(خمسة) أكيال ومن الشرق إلى الغرب بـ(أربعة) أكيال.

الحـــدود :

يمكن تحديد الروضة من الشمال بالعفجة ومن الشرق الثويرات الشرقية ومن الغرب بـ(المزيريرة) وهى قارة سوداء ولعل الخريطة رقم (١٤) تكفى عن تحديد روضة مهنا لعدم وجود معالم مشتهرة.

معركة روضة مهنا

تقديم :

لاشك أن هذه المعركة لها شأنها العظيم الذي لايعرفه إلا قادة الجيوش الكبرى، ولعل قائلا يقول لماذا لايعرفه سواهم؟

فأقول لخبراتهم العملية والعلمية، في إدارة شئون العمليات العسكرية والخطط الحربية، فتراهم يتعلمون سنين طويلة نظريا، ثم عملياً، ثم تطبيقياً على فنون القتال، ليصلوا إلى درجة علمية كبيرة تؤهلهم إلى القيام بأعمال شئون العمليات الحربية، والانتصار على العدو بتكبيده الخسائر الكبيرة في المعدات، والأرواح لاسيما من الرتب الكبيرة.

أما ابن سعود فقد رسم خطة عسكرية قوية ثابتة في بضع ساعات، استطاع من خلالها الحصول على أعلى رتبة في الجيش المعادى له، بأرخص ثمن وأقل عدد، وبدون أن يخسر أحدا، ولم يلجأ إلى نظام احداثى، ولا انحراف تسامتى، ولا بوصلة مغنطيسية. ولكن لمن لجأ؟

لجأ إلى الحيّ القيوم، فصلى صلاة الاستخارة، ثم دعا الله وسأله مما عنده، ثم سار على بركات الله مستعيناً به ومتوكلاً عليه، فكان حليفه النصر،ومكنه من عدوه في ليلة مظلمة ممطرة.

الموقف العام :

ابن رشيد: يجمع قوة كبيرة من رجال شمر وعرب الشمال، وتوجه بها إلى القصيم، وعسكر في قرية الشقّه الواقعة شمال بريدة وقام منها بالتهديد والوعيد والهجوم على بريدة وخيرهم بين الاستسلام أو القتال.

لكن أهل بريدة رغبوا القتال على الاستسلام وصمدوا في وجهه ببسالة وشجاعة، فلما رأى ابن رشيد منهم القوة وعدم تحقيق مطالبه فرض عليهم الحصار فلا يدخل إليهم أحدا ولا يخرج منهم أحدا.

وأمر جنده بالانتشار في قرى القصيم لسلب أهلها ونهبهم مما زاد الأمر حدة وتوترا.

ولما رأى العنف من أهل القصيم عامة قد تصاعد ضده، سولت له نفسه الشيطانية القيام بذبح أربعين فرداً، منهم عشرة أطفال كلهم أبرياء لاذنب لهم في شيء، انما جعل ذلك تخويفاً وتعزيزاً لأهل بريدة خاصة، والقصيم عامة.

وعرفت تلك المذبحة باسم مذبحة (الحشاحيش)، مما زاد الوضع توترا، ولجأ أهل القصيم إلى ابن سعود في الرياض، يطلبون منه النجدة فبعثوا إليه رسولاً يخبره بما أحدثه ابن رشيد في القصيم، ويطلب منه قوة تقاتله وتخرجه من أرضهم.

ابن سعود :

بعد سماع الرسول، قرر نجدة أهل القصيم، فأمر بتحرك قوة ضاربة من الرياض إلى القصيم تحت قيادته، وأخذت هذه القوة تسير مسرعة حتى نزلت في (عين ابن فهيد) من منطقة الأسياح.

ابن رشيد :

علم بقدوم ابن سعود إلى نجدة أهل القصيم، فأمر قواته بالتحرك من قرية الشقة إلى منطقة الثويرات في الشمال الشرقي من القصيم.

ابن سعود :

استطلع خروج ابن رشيد من الشقة، فأمر قواته بالتحرك من عين ابن فهيد والنزول في الخوابى جنوب الثو يرات، ومتابعة تحركات ابن رشيد.

حتى يوهم ابن رشيد واستطلاعاته، فقد اصطحب معه قوة صغيرة وغادر بها الخوابى إلى الزلفى، و بات تلك الليلة وكأنه عاد إلى الر ياض، وكان لهذه الخدعة شأن عظيم فمن فوائدها.

١ — امن ابن رشيد وقال : عاد ابن سعود إلى الر ياض فأخذ راحته التامه.

٢ — تزود ابن سعود من الزلفى بالسلاح والزاد والراحلة.

٣ — علم ابن سعود بواسطة استطلاعاته، والرسائل المرسلة له من أهل القصيم المرافقين لابن رشيد عن قوة ابن رشيد ومقدارها، وفي أى مكان حط رحاله فيه.

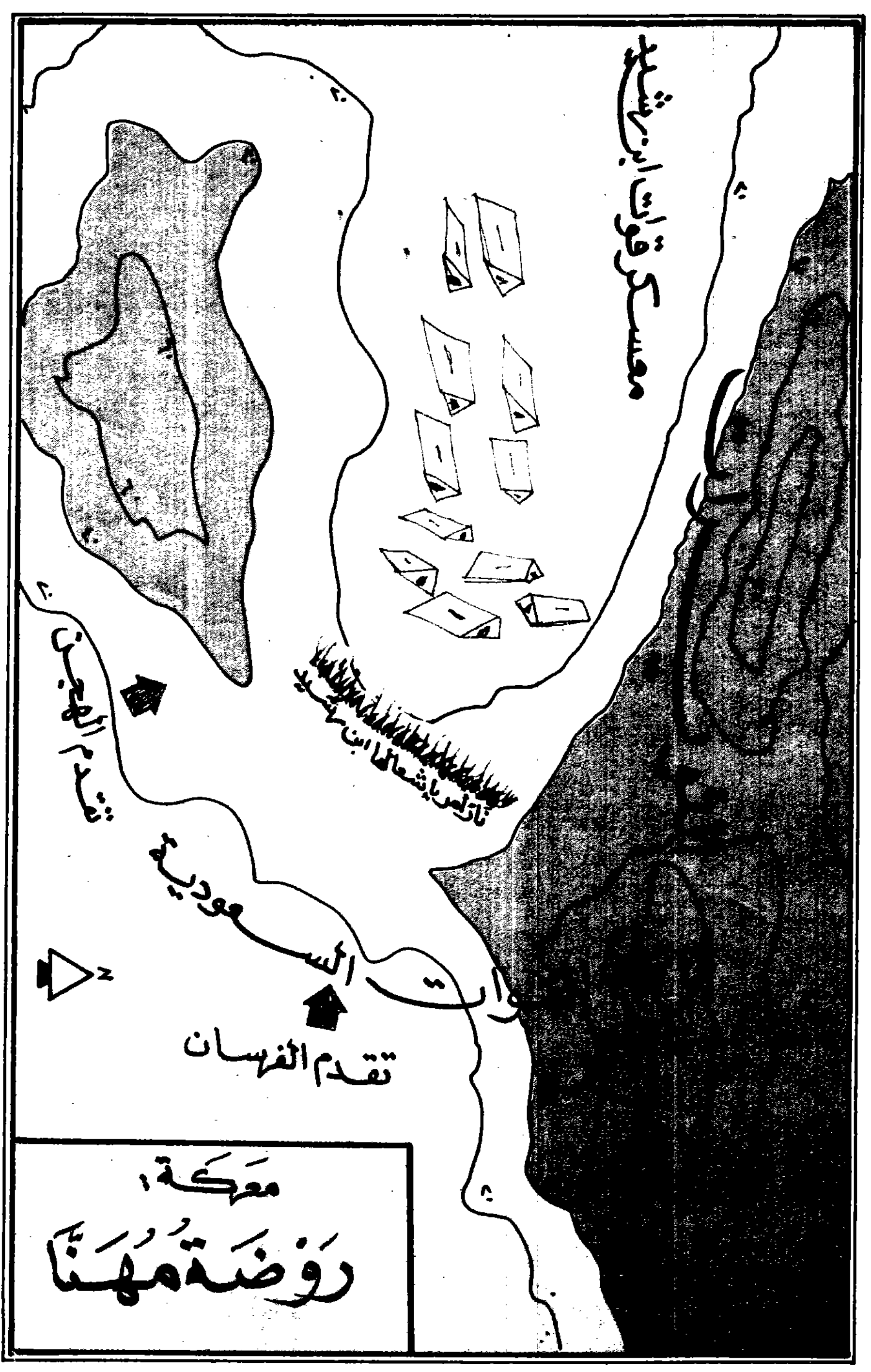
وفي عصر اليوم الثاني و بعد أن تم لابن سعود ماينشده، أمر قوته بالرحيل وجدّ في سيره مسرعاً حتى اجتمع بقواته في الخوابى بعد صلاة العشاء.

و بعد ساعة من وصوله جاءته استطلاعاته تحمل إليه اثنان من استطلاعات ابن رشيد وقد أسرتهم و بعد أن استجوبهم ابن سعود وعلم حقيقة الأمر وموقع نزول ابن رشيد.

أمر قواته بالتحرك إلى روضة مهنا حيث يرقد ابن رشيد تلك الليلة.

قوات الطرفين :

ابن سعود : ٣٠٠٠ من المشاة المقاتلين وأر بعون فارساً.


معسكر قوات ابن رشيد
نار العرب بإشعالها ابن رشيد
تقدم الهجن
قوات السعودية
تقدم الفرسان
معركة:
روضة مهنا

ابن رشيد : ٣٦٠٠ من المشاة المقاتلين وستون فارساً.

سير المعركة :

ابن رشيد معسكرا في روضة مهنا وعلى أرض القسم الثانى من أقسام تضاريس الروضة أنظر الخريطة رقم (١٤). وهى ـ كما أسلفت ـ أرض رملية تحفها رمال الثويرات الشرقية والغربية.

وقد بات ليلته تلك هادىء البال لاينتظر شيئا إلا أخبار استطلاعاته، ولكن لسوء حظهما فقد وقعا في قبضة ابن سعود.

ابن سعود :

قرر الهجوم على ابن رشيد في معسكره ذاك في آخر الليل، وكان قد نظم قواته تنظيماً عظيماً. فقسمها إلى ثلاثة أقسام :

الأول : وهم المشاة ومعهم بعض الفرسان وقد أمرهم بالسير حتى يقفوا على الكثبان الرملية الشرقية من معسكر ابن رشيد (الثويرات)، ـ ويقال لغف الثويرات.

الثانى : وهم الهجن وقد أمرهم بالسير من الجنوب إلى الشمال حتى يقفوا أمام المعسكر من الناحية الجنوبية الغربية انظر الخريطة رقم (١٤).

الثالث : وهم الفرسان المهاجمة وعدد من الهجن وبعض من المشاة يتقدمهم قائدهم عبدالعزيز ابن سعود.

وكان خط سيرهم الوسط مابين القسمين السابقين، وكانت القوات تسير سيرا متقنا لايسمع لهم همسا، وبعد أن وقفت القوات كل قسم في المنطقة

المحدده له، وكلها تطل على معسكر ابن رشيد من ثلاث جهات هي: الشرقية والجنوبية والغربية في ليلة مظلمة ممطرة مغبرة، ولايسمع فيها إلا الرياح، وكان ابن رشيد قد أمر بجمع الحطب وبعض أشجار الروضة ثم اشعال النار فيه كما هو موضح في الخريطة.

وقد وقف الجند في أقصى استعداداتها الهجومية تنتظر الإشارة لها من القائد الأعلى وهى:

اطلاق عيار نارى من بندقيته، وبعد أن أدى ابن سعود صلاة الاستخارة في ساعة الاجابة قبل صلاة الفجر قام وأطلق طلقة الهجوم وكانت في بداية الفجر الأول من صباح يوم الجمعة الثامن عشر من شهر صفر، عام أربعة وعشرين وثلاثمائه وألف هجرية.

وبعد سماع البندقية، هجمت القوات هجمة رجل واحد واجتاحت المعسكر الكبير الذي يفوقهم عدداً وعدة، ولكن أمل النصر بالله معقود، والدعاء له يتردد من الحناجر، ان كان هذا يرضيك يا الله فانصرنا نصراً مؤزراً، فاستجاب الله لداعيه.

وبعد أن اشتبك الجانبان واختلط الحابل بالنابل وحمى الوطيس نهض ابن رشيد وهو يصيح بأعلى صوته وقد خرج من خيمته ينادى حامل رايته الفريح (ويش هالدبرة يالفريح)، (ويش هالدبرة يالفريح) يقولها ثلاثا فعرف أهل نجد لهجته لأن أهل الشمال يختلفون عن أهل نجد في اللهجة وهكذا مناطق المملكة الباقية كل منطقة لها لهجة لا تشابه غيرها.

فتقدم عبدالعزيز ابن سعود ومعه ثلاثة آخرون وهم يقولون عبد العزيز ياطلابته، وتقدم ابن رشيد منهم وقد احتملوا رايته، وظن أنهم من قواته فعرفوه

ووجهوا إلى صدره ببنادقهم فخر قتيلا في الحال، وقام ابا الخيل واجتث رأس ابن رشيد وخنصره الذي به خاتمه، وبعد أن وصل بريدة رفع رأس ابن رشيد على رأس رمح ليراه الناس ويشفى غليلهم من صاحب مذبحة (الحشاحيش) المتقدم ذكرها، كما أخذ سيفه وفرسه.

وقد فرت قوات ابن رشيد وطلع الفجر وطلعت الشمس عند ذلك أصدر ابن سعود أمره بالمناداة في قواته بالكف عن القتال وحصر موجودات المخيم الذي أصبح خالياً من أهله تجوبه قوات ابن سعود من أقصاه إلى أقصاه وكأنها في معسكرها.

وبعد حصر الخيام وكل مابداخلها من أسلحة وذخائر ومؤن وفرسان وهجن عاد ابن سعود منتصراً غانماً.

الخسائر:

ابن رشيد :

مقتل ابن رشيد (رأس الفتنة) ومعه أكثر من سبعمائة قتيل من جنده وأكثر من ألف جريح واحتلال معسكره بكامل خيامه وأسلحته وعتاده، مغنما لابن سعود وقواته.

ابن سعود :

مقتل مائة وثلاثين فرداً واصابة أكثر من مائة آخرين بجراح.

النهاية :

عودة ابن سعود إلى عاصمة ملكه الرياض منتصرا.

أما قوات ابن رشيد فقد ذهبت وهى في أسوأ حال، فقد مات قائدها وقتل أكثرها وضاعت بواقيها وصاروا في الصحراء أشتاتاً.

وكانت المعركة الفاصلة، وعندما عاد ابن سعود إلى الرياض فإذا بهم يبشرونه بمولود جاء له ليلة البارحة فقال:

«سموه فيصلا فإنه قد ولد في ليلة وساعة كانت فاصلة، ثم دعى الله أن يجعله فيصلا بين الحق والباطل، فكان كما أراد باذن الله»

ومما قاله الشعراء في تلك المعركة :

قال خالد الفرج :

روضة ينسبونها لمهنا　　شهدت عبرة أتت ذات معنى

ترعب الثقلين انسا وجنا　　جاءها أربعون شيخاً مسناً

إلى قوله :

فأتى الشمرى يذكى الكفاحا　　(من هنا يالفريح) بالجهر صاحا

عرفوا صوته فمدوا السلاحا　　نحوه بالرصاص حتى طاحا

ذاق كأسا سقى بها بمرار

ولما كان ابن رشيد قد ظلم القصيم وأهله، واخذ أموالهم وقتلهم، بلغ به الأمر سبيهم، سلط الله عليه ابن سعود فقتله في معركة روضة مهنا وعند ذلك فرح الناس بمقتله، فصور الشعراء فرحة القصيم وأهله في قصائدهم ومما قيل في ذلك قصيدة الشيخ حسين بن علي ابن نفيسه الحنبلى في قتل ابن رشيد وما جرى لابن سعود من النصر فقال :

لك الحمد يامنان والفضل والشكر لقد قلت أن العسر يتبعه اليسر
ففرجت عنا الكرب من بعد ذلنا تفضلت بالانعام اذ مسنا الضر
ترينا بعدل منك إظهار عجزنا فتعطف بالحسنى علينا فتستر
فتحت لنا فتحا واظهرت امرنا وقدرت منا الحد فاعتدل النصر
لقد حشدوا أهل الشقاق والبوا جنودا كأوباش الحما لها القفر
نجوم نفاق في قرى نجدنا بدت ولكن خفت لما سمي فوقها البدر
وكل على ساق العداوة قائم حراصا لو اسطاعو لنا فرصة كروا
وقد اجهد الطائى في حرب شيخنا وحاول امرا والاله له أمر
وكاد ولم يترك خنا وخديعة ولم يدر أن السوء يمحقه المكر
اتى بطغام اعسرين وانهم لدى القرن ميل اذ يصادمهم نفر
وساقهمو سوقا حثيثا لحينهم ففاتهم الاقبال وانهتك الستر
نشا العارض النجدى يبرق غدوة كعارض عاد حالك قذفه جمر
ولكنه للمسلمين مسرة وبالعكس للطاغين يمطرهم شر
بوارقة حد الضباة ورعده قواصف من افواه ما انتج الكفر
فسيره الرحمن قصدا إليهم وميكاله ليث الشرى يعضل الكسر
اذا فل يوماً للمعادين راية عليها عقاب الطير حلق والنسر

تصف على كل الخميس كواسر | وفي ظلها يشتد من ضمه الجمر

إلى قولـــــه :

وحيط بهم من كل افق وجانب | فاذ عاينوا الأبطال خاروا وما فروا
فقل عزاهم عند عظم مصابهم | وحان بلاهم عندما استحكم الوزر
اميرهـــم المختـال أكبر رزئـهـم | صريعا وقد حضين من دمه النسر
فاكرم بها من وقعة لو شهدتها | ولكن بحمد الله فيها لنا وفر
فـانـا لهـم من عصبة مقرنية | مصاليت في الهيجا اسود لها زئر
سراعا إلى الجلاد بطاء عن الخنا | ميامين هم ذخر لمن ضده الدهر
اذا رفدوا اغنوا وان عاهدوا وفوا | وان سالموا سروا وأن حاربوا ضـــروا
وان سئلوا جادوا بما في اكفهم | فلم يدر مجتدى متى خلق الفقر
حليفهم في شاهق العز ثاويا | وعيـشـهم خصب ونائلهم غمر

وعندما احتل ابن سعود القصيم وأجلا الجنود الأتراك منها وانتصر على ابن رشيد ومن معه من القبائل.

قال الشيخ سليمان بن سحمان قدس الله روحه في ذكر مقام عبدالعزيز ابن سعود الذي نصر الله بطلعته سنة سيد الأولين والآخرين فجزاه الله خيرا عن الإسلام والمسلمين :

لقد من مولانا وافضل وارتضا | لنا ملكا منا سمى المناقب

فتأهمه العليا وشأو مرامها ... فأم إلى هاماتها والغوارب

فتا ليس يثنى همه ومرامه ... طوال العوالى أو طوال السباسب

يخوض عباب الموت والموت ناقع ... اذا استعرت نار الوغى في الكتائب

و يركب هول الخطب والخطب معظل ... وقد هابه شوس الملوك المصاعب

يرد لهام الجيش وهو عرمرم ... ويحطمه بالمرهفات السواكب

لقد فات ابناء الزمان وفاقهم ... بنيل المعالى الساميات المراتب

إلى قولـــــــه :

هنالك لاتلقاه إلا كضيغم ... هزبر ابي شبلين حجز المخالب

ترى جثث الأبطال صرعى بغابه ... تراوحها الاشبال من كل ساغب

ترى عافيات الطير يعصبن فوقه ... لتحضى باشلاء العدو المشاغب

و يتبعه غرث السباع لعلها ... تروح بطانا من لحوم المحارب

وقد وثقت أن لاتعود خوامصا ... وان لها جزر كمات الكتائب

فلله من ندب همام مهذب ... اغاض العدى من عجمها والاعارب

فنلنا المنى من بعد أن كادت العدى ... تحيط بنا من كل قطر وجانب

بعبدالعزيز ابن الإمام ابن فيصل ... حليف العلى نسل الكرام الاطائب

ومن المعي احوذي ومصقع ... بليغ بما قد شاءه في المقانب

يقود اسودا في الحروب ضياغما ... تغير على الاعداء كأسد سواغب

حنيفية في دينها حنيفية ... وليس لهم إلا العلى من مآرب

سما بهمو نحو المعالى سميدع ... أبيّ وفيّ فاضل ذو مناقب

اذا هو اعطا ذمة لم يخس بها ... وما كان ذا غدر وليس بكاذب

فإن رمت اخبارا له ووقائعا ... فسل شمرا عنها بصدق المضارب

وحربا وسل عنها مطيرا وغيرهم ... من العجم والاعراب من كل ناكب

فمزقهم ايدى سبا فتفرقوا ... فما بين مقتول وما بين هارب

وما بين منكوب وقد خال أنه ... بقوته قد حاز كل المآرب

بلطف من المولى له واعانة ... على كثرة الاعداء له والمحارب

اذا أم امرا واعتلى متساميا ... تمزقت الاعداء من كل جانب

وما ذاك إلا أنه لاترده ... طوال العوالى أو طوال السباسب

ولاغرو من هذا ولابدع انما ... حواها من الشوس الكرام الاطايب

إلى قولــــه :

ادام لنا ربى بهم كل بهجة ... على السنن الحاوي لكل المطالب

وسنة خير العالمين محمد ... نبي الهدى السامى لأ على المناقب

عليه صلاة الله ثم سلامه ... بعد وميض البرق جنح الغياهب

وهذه قصيدة لسماحته بمناسبة معركة البكيرية وطرد الأتراك منها فقال :

أهاجك أم اشجاك رسم المعاهد | معاهد انس بالحسان الخرائد
اتذكر عهدا بالاوانس رافها | وعقداً وصلحاً حافلاً بالمقاصد
كأن وميض البرق في غسق الدجى | رفيف ثنايا كالاقاح النضائد
كان اريج المسك نكهته ثغرها | اذا هى ناجت وامقاذا تواجد
لها مقل دعج وكف مخضب | رخيص كأغنام لبعض العناقد
وفرع اثيث سابغ متجعد | كديجور ليل حالك اللون حاشد
وقد قويم ناعم متوئد | كغصن من البان المذلل مائد
برهرهة كالشمس في يوم صحوها | منعمة تسبى نها كل ماجد
فلو كلمت شيخا بطاعة ربه | مديبا عليها جاهدا غير حائد
لأصبح مفتونا بها ومولعا | وخال رشادا أن تفى بالمواعد
فضلت على تلك الديار وعهدها | كمثل سليم شاجن القلب ساهد
فدع ذكر عهد قد تقادم عصره | وتذكار وصل للحسان الخرائد
ولكن ازح عنك الهموم وسلها | بعوجاء من قود الهجان الحرافد
وجب للمطاويح المفاوز قاصدا | ولاتخش من فتك اللصوص الرواصد

لشمس تبدى ضوءها فهو ساطع   وطالع سعد مشرق بالمحامد

رأى ضوءه من الوهاد ومن على   يفاع الرعان الشامخات الفدافد

فثاب إلى ضوء المحاسن وارعوى   إلى ظل أفيأ لها كل شارد

وقد بلغت شرق البلاد وغربها   فكالشمس حلت في السعود الصواعد

تسامى لها شمس البلاد و بدرها   وجمع شراد المعالى الشوارد

هو الملك الشهم الهمام أخو الندى   مذيق العدى كأسات سم الاساود

إمام الهدى عبدالعزيز الذي له   محامد في الإسلام أى محامد

ازاح جموع الترك عنا بهمة   تسامى بها فوق السها والفراقد

ومزقهم ايدى سبا فتمزقوا   فما بين مقتول مصاب وشارد

وما بين محمول إلى عقر داره   كسيرا حسيرا خاسئا غير فائد

بكره واجبار وعنف توعد   فعادوا وقد باءوا بخيبة عائد

فهذا هو المجد الأيثل وانما   حوى ذاك عن قوم كرام اماجد

وميراث آباء له ومآثر   تأثلها عنهم بحسن المقاصد

لعمرى لقد أضحى بها متساميا   على كل املاك البلاد الأماجد

فتى حسنت اخلاقه فتألقت   وغنت به الركبان فوق الجلاعد

فتى دمث سهل الجناب مهذب   ولكنه صعب المقاد لكائد

اذاق الاعادى والبوادى جميعها ... كؤوس حتوف من سمام الاساود

وكم جر من جيش لهام عرمرم ... يفادى به شوس الملوك السوامد

له رأى حزم كالحسام فرندة ... ولهدم عزم نافذ للمعاند

ووثبة ضرغام ابى سميدع ... اذ الحرب القت بالدواهى الشدائد

وبذل نوال كانسجام هوامع ... تعودها طبعا لعاف وقاصد

فيا من سمت اخلاقه وتألقت ... محامده نحو السها والفراقد

عليك بتقوى الله جل ثناؤه ... واصلاح مايدعو العتل المفاسد

وبالعفو والاحسان والصدق والوفا ... فإن بها تسمو الشَّأْو المحامد

وراع جناب الحق في الخلق راجيا ... جزيل ثواب الله يابن الاماجد

واياك ان تصغى لمن جاء واشياً ... يرى أنه بالنصح اعظم وافد

وما قصده الا ليحصى لديكمو ... بما قال من زور وبهتان حاقد

وكن باذلا للجهد قائما ... بنصرة دين الله عن كل كائد

فهذا الذي كنا نحب ونرتضى ... لمن يتولى الأمر من كل قائد

وكان على دين النبى محمد ... ويا حبذ الدين القويم لسائد

ونصح ولاة الأمر قد جاء ذكره ... عن السيد المعصوم ارشد راشد

ابى وفي لا يخيس بعهده ... ولكنه لايرتضي بالمفاسد

وليس له قصد بأخذ تراثهم　　وما جمعوا من طارف بعد تالد

ولكن يبذل المكرمات وفعلها　　بجود وهذا قيد شبه الأوابد

الطرفيّة

التعريف :

الطرفية : بضم الطاء المهملة المشدده فراء ساكنه ثم فاء مكسورة فالمثناه التحتية المشدده فتاء مربوطة أخيره.

وهى بلدة زراعية تقع إلى الشمال الشرقى من بريدة هى في تقاطع خطى العرض (٣٢/ ٣٦°) شمالاً، والطول (٢/ ٤٤°) شرقاً.

أقرب المدن إليها :

هى مدينة بريدة والواقعة في جنوبها الغربى وتبعد عنها بـ(٢٦) كيلا.

المناخ :

مناخها صحراوى بلغت درجات حرارتها سنة ١٤٠١هـ (٤٢°) مئوية، وتبلغ درجات البرودة فيها الصغرى (٧) درجات فوق الصفر.

الأمطار :

بلغ المتوسط السنوى لسقوط الأمطار على الطرفية لعام ١٤٠٣هـ (٣٨٧٫٧)مم.

الارتفاع :

ترتفع أرض الطرفية عن سطح البحر بـ(٥٩٧) مترا.

الوصف الجغرافي :

أرضها صحراوية مستوية بها المزارع الكثيرة والمياه المتوفره وتجاورها سبخة الطرفية الكبرى من الشرق، انظر الخريطة.

الحدود :

يحدها من الشمال قارة البحيرة ومن الشرق سبخة الطرفية، ومن الجنوب روضة أم القوام ومن الغرب فياض القويطريات.

معركة الطرفية
(الثانية)

تقـديـم :

هذه المعركة تسمى معركة الطرفية الثانية لأن ذلك الموضع وقع فيه معركتان :

الأولى : وكانت بين ابن صباح والإمام عبدالرحمن الفيصل ضد عبّدالعزيز ابن متعب بن رشيد، وذلك في اليوم ٢٦ من شهر ذى القعده سنة ١٣١٨هـ وكانت الغلبة فيها لابن رشيد.

الثانية : وهى التى سنبينها هنا، وأسبابها هو أن عدداً من أمراء القبائل قد خانوا ابن سعود وانقلبوا عليه، هم:
محمد أبا الخيل الذي وضعه ابن سعود أميرا على بريدة، وفيصل الدويش ونايف بن هذال في مطير.

وكان هؤلاء الثلاثة قد أعدوا مخططاً ضد ابن سعود، لكن الشاعر محمد العونى أذاع سر ذلك المخطط إلى ابن سعود وأخبره عن نوايا زميله أبا الخيل.

كما أن العونى أذاع ذلك السر إلى الفهد بن عبدالله المهنا أبا الخيل فبلغ أخاه محمداً فاحتاط للعواقب، وقام بجمع زعمائه يستشيرهم فأشاروا عليه بما يفصله عن ابن سعود وما عليه إلا أن يلجأ إلى ابن رشيد.

وكان هو وزعماؤه قد طلبوا من ابن سعود ألا يصالح ابن رشيد ولا يركن إليه.

الموقف العـــام :

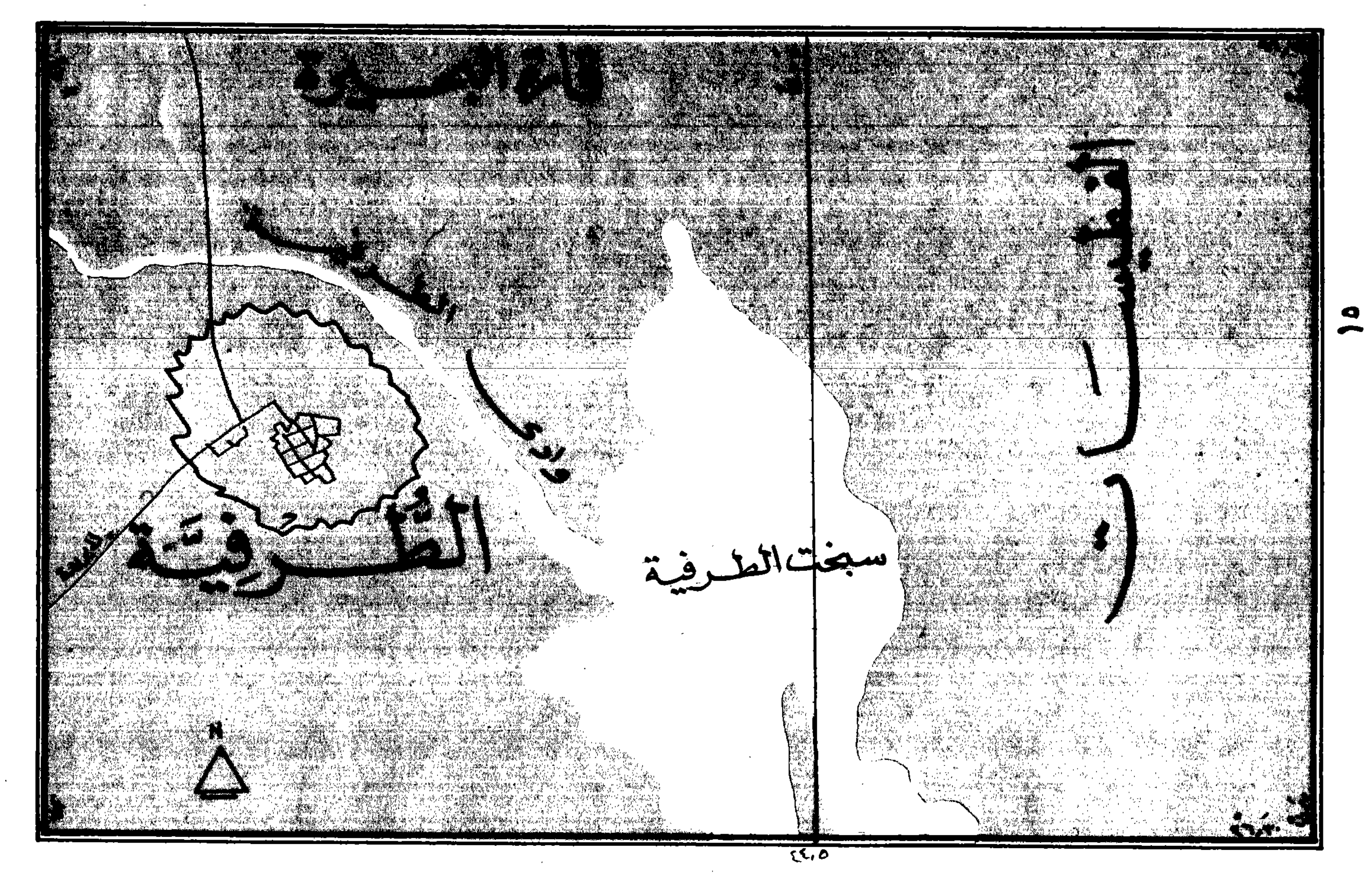
ابن سعود : تحقق له تحالف الدويش وابن هذال مع أبا الخيل على نصرة ابن رشيد ضد ابن سعود، كما تحقق الخيانة التي أبرموها ضده والكمين الذي نصبوه له، كما تحقق له أن بريدة قد خرجت عن طاعته، وأن مطير تفلتت من يده وأنها تعد من أعدائه فذهب مسرعاً إلى عتيبه عدوة شمرا ومطيرا، فاستنجدها عليهما فأفلح في ذلك.

ابن رشيد : علم ابن رشيد بوجود ابن سعود في القصيم، فخرج في طلبه فوجده قد خرج منها ووجد قافلة لابن سعود فأخذها وقتل رجاله وعلم بمخطط ابن سعود له ففر إلى حائل.

ابن سعود : علم بما فعله ابن رشيد في القافلة، فشد عليه ظنا منه أنه في بريدة فلم يدركه بل وجده عاد إلى حائل. فعاد ابن سعود إلى بريده ليتحرى صحة ماقيل عنهم من أنهم قد خرجوا عليه وبين ما هو كذلك، اذ استطلاعاته الواقعة في شمال بريدة تحقق له ذلك.

فبين ماهم في مهمتهم يتحرون أخبار ابن رشيد، اذا هذا الفارس من أحد رجال بريدة يسير نحو حائل مسرعا، فاستوقفوه فلم يقف بل اشتبهوا في أمره فشدوا عليه فقتلوه وفتشوه فوجدوا معه كتاب من محمد أبا الخيل أمير بريدة إلى سلطان بن رشيد يعاهده فيه على حرب ابن سعود.

ومن خلال هذا الكتاب الذي يحمل في أسطره وسائل الخيانة وعبارات الغدر لابن سعود تحقق له كل ماقيل عن الثلاثة المذكورين آنفا، فقام ابن سعود بعمل مخطط خداعى كبير لهؤلاء الثلاثة من أبرز مواده :



القطيسات
الطرفية
سبخت الطرفية
وادي
٤٤،٥
N

١ ــ أذن لعتيبه بالرحيل متظاهرين أمام الناس بخيانة ابن سعود وضرب لهم موعدا في موضع يعرف بالجعلية وهناك اجتمع بهم سرا، وأمرهم بملاحقة الدويش وضربه.

٢ ــ صالح أهل بريدة وعفى عنهم وكأنه لم يعلم بخيانتهم له وبقي بالقصيم.

قوات بن سعود من عتيبة :

أغارت تلك القوه على الدويش في جهة سدير فلاذ بالفرار إلى المجمعه فلحقوا به وأدركوه ورجاله في بساتين المجمعه وفتكوا به وبمن معه وهزموهم وغنموا أموالهم وأصابوا الدويش بجراح عميقه في تلك الموقعة، وبعد ذلك جاء كبار مطير مستسلمين إلى ابن سعود يطلبونه الأمان فأعطاهم ذلك وعفى عنهم وعاد إلى الرياض.

أبا الخيل : بعد أن غادر ابن سعود القصيم إلى الرياض، كتب أبا الخيل إلى ابن رشيد أن أحضر لابرام العهد والولاء فحضر مسرعاً وأبرماها معاً، وقد أصيبت قوات ابن رشيد بالعطش فمات أكثرها.

ابن سعود : بعد أن وصل إلى الرياض ومكث شهراً جاءته الأخبار تفيد أنه تم ابرام المعاهدة والولاء فيما بين ابن رشيد وأبا الخيل. فأمر قوات من أهل العارض وعتيبه وقحطان وخرج بها يطلب ابن رشيد، لكنه لم يدركه، ووجده عاد إلى بلده (الكهفه) جنوب حائل فخرج ابن سعود من القصيم إلى بلدة السر حيث أقام بها وكان ذلك في جمادى الثانية سنة ١٣٢٥هـ.

مبارك بن صباح : وصل خطاب من مبارك بن صباح إلى أهل القصيم وابن رشيد يطلب فيه قبول وساطته للصلح بينهما والتحالف ضد ابن سعود وبناءا على خطاب ابن صباح خرج ابن رشيد إلى القصيم في تنفيذ ذلك.

ابن سعود : علم ابن سعود بوصول ابن رشيد للقصيم، فأمر قواته بالزحف من السر إلى المذنب، وبينما هو كذلك اذا برجل يدعى، عبدالعزيز بن حسن، ذى ولاء واخلاص لابن سعود جاءه يخبره أن مبارك أرسل يتوسط بالصلح بين أهل القصيم وابن رشيد.

أخفى ذلك ابن سعود في نفسه، وتقدم إلى (عنيزة) فنزل بها ومنها علم بمواقع معسكرات ابن رشيد، أنه على بعد ساعة منها شمالا وعلم بدخول ابن رشيد إلى بريده.

ابن رشيد : جهز قوة كبيرة قوامها ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل من شمر وحرب ومطير، وعسكر شمال بريدة ودخلها بمفرده لابرام الاتفاقية مع أبا الخيل.

وكان قد بعث إلى الدويش أنه يأتيه من مقره في الارطاوية لحضور الاتفاقية والتوقيع عِليها، كما علم بدخول ابن سعود إلى عنيزة.

سير المعركة :

ابن سعود : خرج ابن سعود من عنيزة يريد الهجوم على سلطان بن رشيد في بريدة، وبينما هو في طريقه إليها اذ الخبر المفيد بقدوم الدويش مسرعا لنجدة ابن رشيد وكان قد أنزل أهله وكل مامعه من مواد تموينية في بلدة الطرفية ثم تقدم نحو بريدة فسبقه ابن سعود إلى الوجهة التي يريدها

وأمر بسرية لمنازلة الدويش وقتاله، فتقدمت تلك السرية من الدويش ووجهت له ضربة قاسية، فقتلت عدداً من رجاله وغنمت ابله وخيامه وكل مواده التموينية.

أما ابن سعود فقد هجم على ابن رشيد في مقر اقامته ففر إلى القصر، فلحق به ابن سعود واشتبك الطرفان ثلاث مرات في القصر وفي الثالثة كان قد عثر فرس ابن سعود، فوقع من فوقه على الأرض، وانكسرت عظمة كتفه اليسرى وأغمي عليه، غير أنه أفاق ابن سعود قبل ظهر ذلك اليوم فأمر قواته بالخروج إلى الطرفية، فوصل إليها صلاة العصر وعسكر فيها.

فلما جن عليه الليل اشتد عليه ألم كتفه حتى منعه النوم، وراى في نفسه التعب الشديد فخشى الاغماء أو النوم، فاستدعى قادة جيشه وقال لهم :

«اعلموا أن ابن رشيد وأهل بريدة هاجمون عليكم هذه الليلة فتأهبوا وكونوا متيقظين وبثوا الحرس والكشافة في الطرق وحصنوا القصر الذي أنا فيه وأمرهم بالاستعداد الكامل».

وفي منتصف تلك الليلة أتى رجل من بريدة يسعى إلى رجاله ابن سعود ينذرهم وهو يقول ابن رشيد قد خرج برجاله يريدون الهجوم عليكم، لكن القائد الذي تبلغ بالخبر راى عدم ابلاغ ابن سعود وهو في تلك الحالة خوفاً عليه، لكن الجيش كان مستعدا للدفاع.

انتظر الجيش والحرس وصول القوات المهاجمة لكنها تأخرت عن موعدها المحدد، حسب ماجاء في البلاغ، مما سبب فساد الاستعداد فنام الحرس، فلم تشعر قوات ابن سعود إلا وابن رشيد برجاله بينهم في وسط معسكر ابن سعود.

وكان هجوم ابن رشيد على ابن سعود هجوماً هادئاً ليباغتهم لكنهم هبوا سراعا للدفاع، وجرت معركة هائلة اختلط فيها الحابل بالنابل، وتضاربوا بالبنادق والسيوف والرماح، حتى سالت الدماء وعلت الأصوات من قوات ابن سعود بهذه الكلمات (على المشركين على الخونة والله أكبر) وكانت القوات المهاجمة تردد كلمات (صبحناكم لاصبحتكم العافية).

فبهذه الألفاظ عرف كل عدوه وكان وقت المعركة هو اذان الفجر ليوم الجمعة/ الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٢٥هـ وقد دامت المعركة ساعة ونصف الساعة.

الخسائر:

ابن سعود: قتل من قواته ثلاثون قتيلا ومئآت من الجرحى.

ابن رشيد: وجد بين النخل ثلاث مائة جنيه ووجدت المزارع وقد امتلأت بالدماء الذي اختلط بالماء الجارى بين النجل، وجرح مائة الراوى هو واحد منهم.[١]

النهاية:

سلطان ابن رشيد: يعود إلى حائل بمن بقى معه وترك أخاه فيصلا في بريدة ليكون عوناً لأبى الخيل.

عبدالعزيز بن سعود: يرحل من الطرفية متوجها إلى بريدة لتأديب أهلها.

(١) الشيخ عياد بن نهير.

الصباخ ـ سعة الله

التعريف الجغرافي :

سعة الله :

باسكان السين وفتح العين ثم تاء مفتوحة مضافا إلى اسم الجلالة: وهى زراب نخيل تقع إلى الجنوب من مدينة بريدة فيما بينها وبين (الصباخ) والصباخ جمع مفرده (صبخ)، و(صبخة)، وكان الموضع (سعة الله) مقر المدافعين من أهل بريدة.

وبعد المعركة يقول شاعرهم واسمه/ محمد الصغيّر :

من بريدة ظهرنا دون شقر الذوايب

(بسعة الله) ذبحنا كم صبى وشايب

الصباخ

بكسر المهملة المشددة : هكذا تلفظ والصواب انها بالسين لا بالصاد ومثلها (المصك) فالعامة يبدولون السين صادا.

والصباخ والسباخ : يذكر ويؤنث، والمفرد منها (صبخ) و(صبخة و(سبخ) و(سبخة).

قال العبودى في معجمه : و(الصباخ) : وهو السباخ اذ أنهم في لغتهم العامية يبدلون السين صادا فيقولون للأرض السبخة «صبخة» بالصاد، والمجموعة السبخات «صباخ» (١).

---

(١) ج٤/ ١٣٢٩.

الموقع :

قال العبودى: «ويقع الصباخ إلى الجنوب من بريدة وكانت تفصل بينهما مسافة من البساتين في القديم ولكن عمران المدينة زحف إلى الصباخ حتى التحم به فأصبح لايفصل بين بريدة والصباخ فاصل» [1].

الوصف الجغرافي :

الصباخ مجموعة من البساتين الجميلة، والنخيل، وحقول شتى بها الخضروات وبعض الفواكه، ولها اسماء متعددة، ومن أشهرها (فيحان) و(هميل الصباخ)، وقد عمرت الصباخ في أوائل القرن العاشر ثم حدث جفاف في أواخر القرن الثاني عشر، فترك عمرانه وهجره أهله إلى الزبير والبصرة فاندثرت منه أجزاء كثيرة.

وعندما تولى حجيلان بن حمد أمارة بريدة أعيد تعمير الصباخ وكان ذلك في بداية القرن الثالث عشر قال العبودى في معجمه [2] :

«أما عمارة الصباخ فإنها حديثة بالنسبة إلى القرى الاخرى القريبة من بريدة وأكثره غرس وعمر خلال امارة حجيلان بن حمد التي امتدت من (١١٩٢هـ تقريبا حتى ١٢٣٤هـ) إلى قوله :

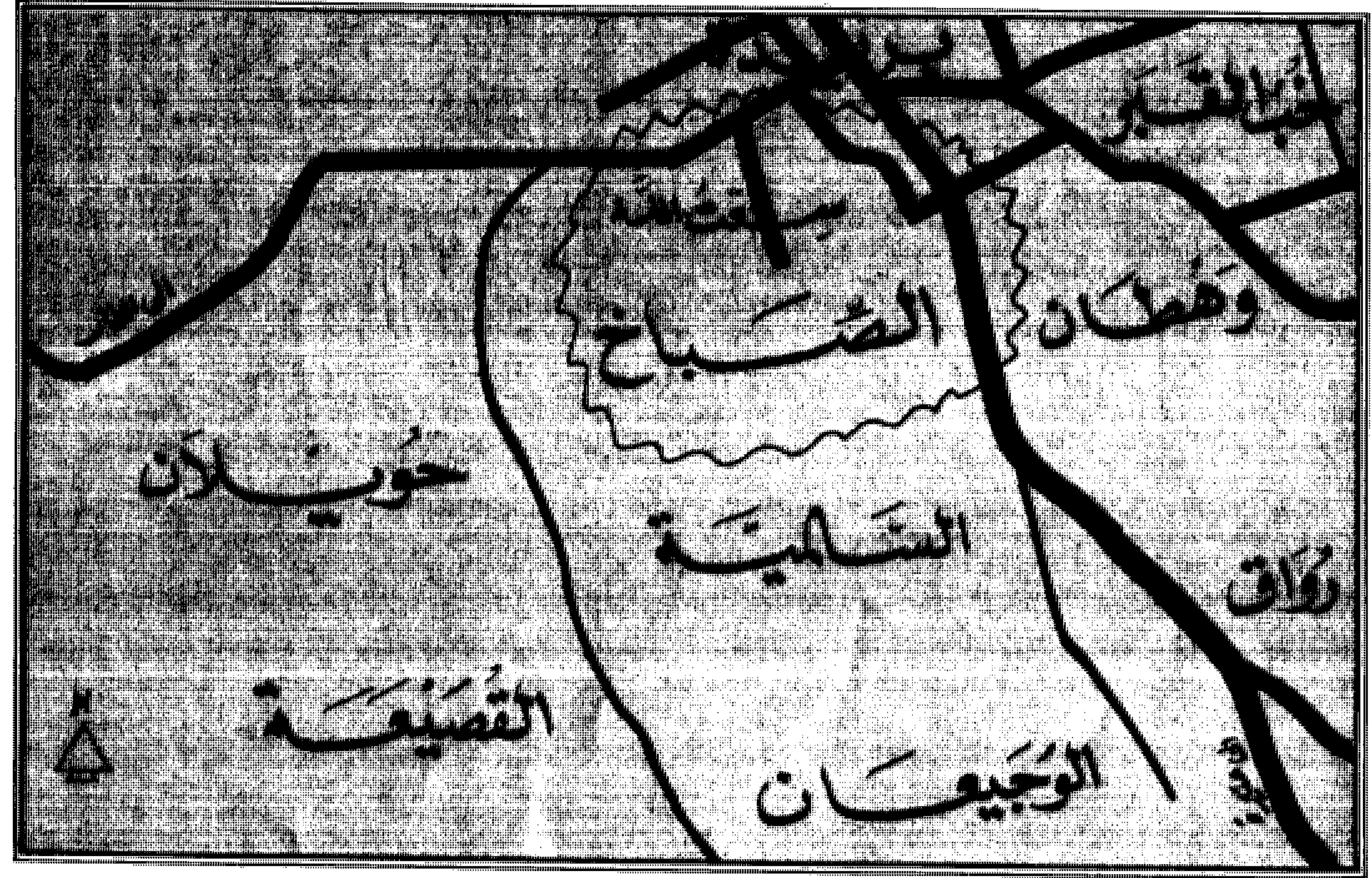
«ذكرها الشيخ محمد الجاركى الفارسي في قصيدته عندما زارها عام ١٣٥٧هـ، قال :

وأما الصباخ سرّة لبريدة ... بذ النخل والزرع الذي يتبسّم

وفيه أصيحابى وأهل مودتى ... فكم فيهم من طالب يتعلم»ا هـ.

(١) ج٤/ ١٣٣٠.

(٢) ج٤/ ١٣٣٠ — ١٣٣٣.


الصباح
وهطان
حويلان
السالمية
القصيعة
الوجيعان

قلت : وقد دخلها العمران والتخطيط الحديث وبها العمارات والفلل وبها بعض الآبار الارتوازية والغورية.

الارتفـــاع :

يرتفع عن سطح البحر بـ(٦٤٠) مترا.

الحـــدود :

يحد الصباخ من الشمال مدينة «بُرَيْدَة»، ومن الشرق (وَهْطَان) و«خب القبر»، ومن الجنوب «السَّالِميَّة» ومن الغرب «حُوَيْلاَن» والمريدسية، انظر الخريطة(١٦).

معركة الصباخ

أسبابهـا :

أهـالـى بـريدة يتقلبون على ابن سعود وقاموا ضده يقاتلون تحت راية ابن رشيد.

الموقف العام :

أمـر ابـن سعود قوته من الفرسان بالغارة على بريدة فغنمت المواشى التي وجدتها وساقتها إلى معسكرها.

وكـانـت تـلك الغارة عملية استفزازية لأهل بريدة لعلهم يقاومونه لكنهم أوثقوا أبواب سور بريدة ولم يتخذوا أى قرار.

فـلما رأى ابـن سـعود عدم المقاومة، أمر قواته بالتحرك والنزول في الزرقاء (وهـى أرض منخفضة على مسافة ساعة للمترجل عن بريدة تقع في الشمال الغربى).

قـام ابن سعود بحصار بريدة عشرين يوماً، ظل أهلها فيها لايخرجون أبدا، لا مـوالين لابن سعود ولا محاربين له وقد أرسل فريق من أهل بريدة رسائل إلى ابن سعود بالخفية، يعتذرون فيها عما حدث منهم قائلين:

«أن أبـا الخـيـل مسـئـول عـلـى الـبـلد بمن فيه من رجال ابن رشيد وانهم يـستطيعون اذا غادر ابن سعود القصيم أن يثوروا على أبا الخيل ومن معه من شمر، لأن أهل بريدة قد ملوا من آل مهنا.

لكن ابن سعود قد استولى بالقوة على جميع القرى المجاورة لبريدة والتي ساعدت أهل بريدة ضده وهي:

السباخ، ورواق، وحظير، وخب القبر، وغيرها.

وقال الرواه : أن أهل بريدة وقعوا بين ثلاثة لايدرون من الغالب منهم، ومن سيكون المهيمن عليهم مستقبلا، لذلك تراهم يوما مع ابن رشيد ويخدعون ابن سعود و يوما مع ابن سعود ويخدعون ابن رشيد، و يوما مع أميرهم أبا الخيل.

قوات ابن رشيد :

اشتد الحصار الذي فرضه ابن سعود على بريدة عشرين يوما، اشتد على قوات ابن رشيد المرابطة مع أبا الخيل في بريدة.

فكتبوا إلى سلطان ابن رشيد في (الكهفة) جنوب حائل يلومونه في انهزامه وترك بريدة محاصرة من قبل ابن سعود وطلبوا منه العودة إلى بريدة.

ابن رشيد :

بعد أن وصلته رسالة جنده في بريدة، أصدر أمره بزحف قواته من حائل إلى بريدة.

ابن سعود :

بعد أن قام بمحاصرة بريدة عشرين يوماً، تركهم وخرج إلى عنيزة و بعد أن حط رحاله في عنيزة جاءته النذر تفيد أن سلطان ابن رشيد دخل بريدة.

فخرج من عنيزة متجها إلى بريدة حتى نزل منها على بعد ساعة للمترجل.

ابن رشيد :

وصل إلى بريدة فوجد رعاة لابن سعود فشدت عليهم خيل ابن رشيد فأخذتهم وغنمت كل ما معهم.

ابن سعود :

بعد أن غربت شمس ذلك اليوم اضرم جيشه النيران في العشاش (جمع عشه» فشاهدها رجل من أهل بريدة كان يعمل في مزارع له في السباخ، فهرع ينادى في أبا الخيل وأهل بريدة.

أبا الخيل :

يعلن حالة الطوارىء والاستنفار العام طوال الليل حتى طلع الفجر يوم السبت السابع والعشرين من شهر شعبان من سنة (١٣٢٥هـ).

سير المعركة :

وبعد طلوع الفجر خرج أبا الخيل في أهل بريدة وابن رشيد في قواته لمقاتلة ابن سعود وتقابلت الجموع في موضع يسمى (سعة الله) على مسيرة عشر دقائق يومئذ من بريدة ودارت المعركة في قتال شديد وجلاد استمر حتى الظهر ثم انتهت المعركة.

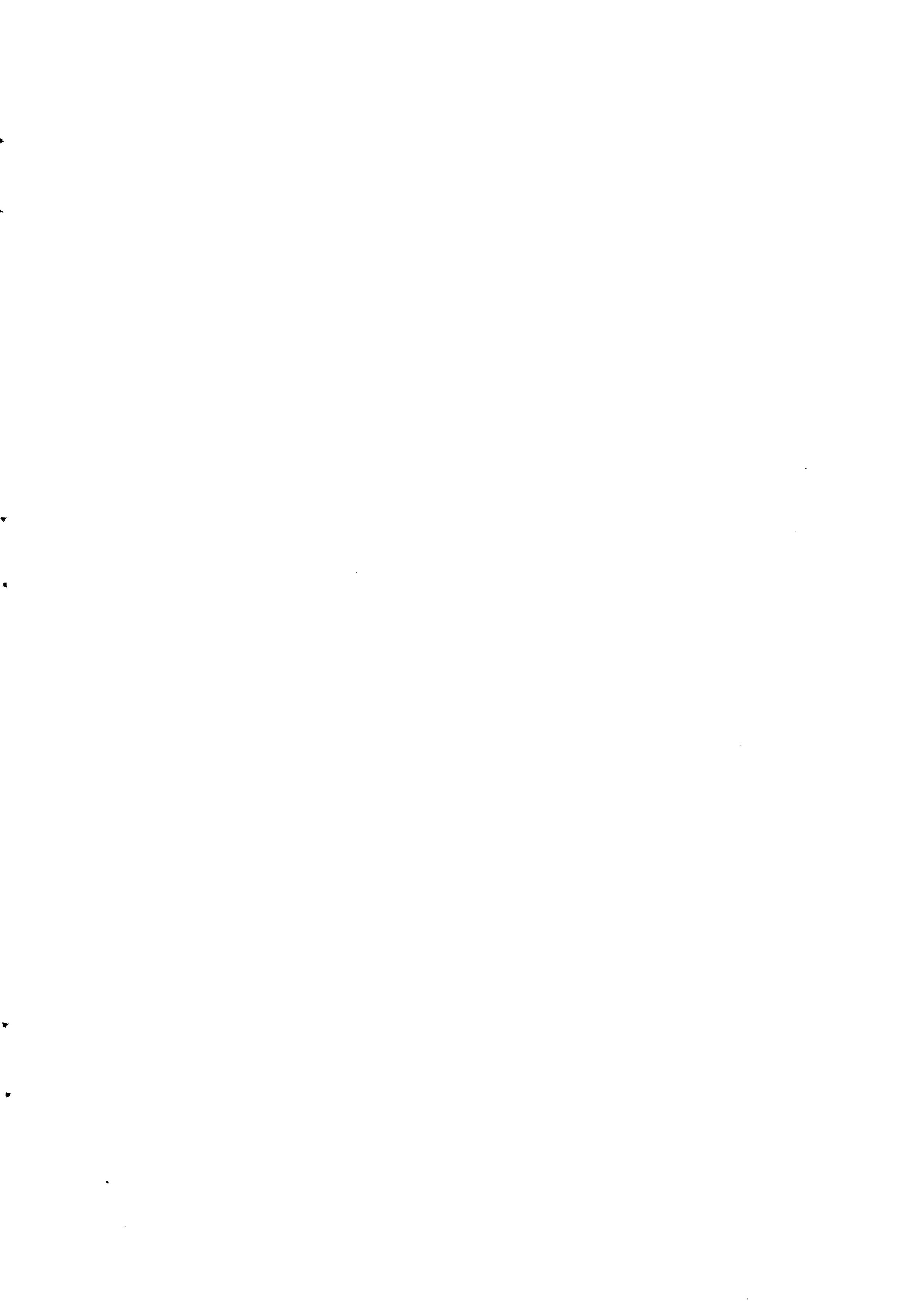
الخسائر :

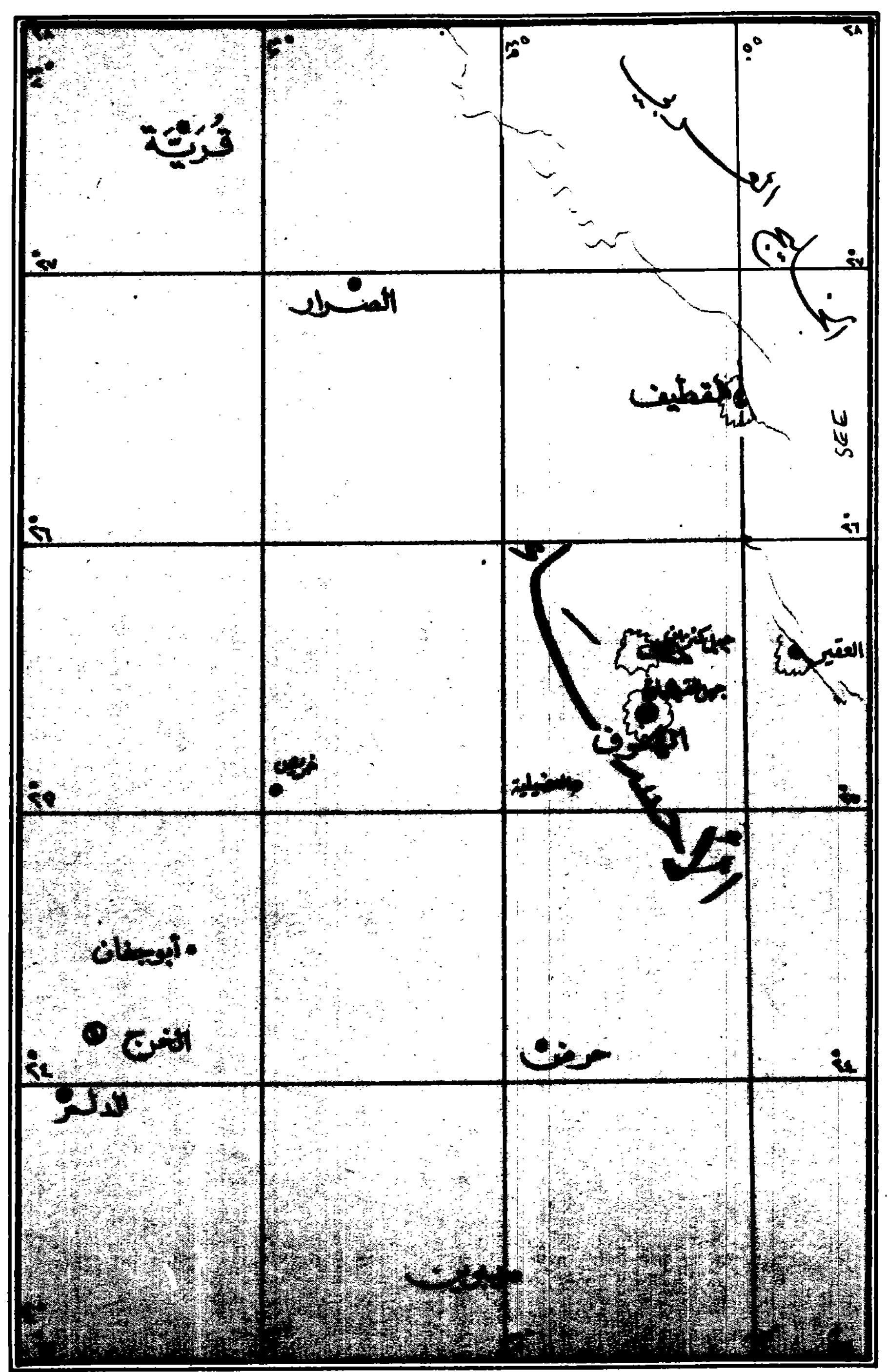
ابن سعود : قتل من رجاله تسعة وأربعون شخصاً وأصيب أكثر من خمسين آخرين بجراح.

ابن رشيد : وأبا الخيل : قتل من رجالهما سبعة أشخاص وجرح أكثر من ثلاثة وعشرين آخرين.



فتح الحسا، القطيف، معركة كنزان
معركة الجهراء




قرية
الصرار
القطيف
الخليج العربي
SEE
العقير
الهفوف
أبو جفان
الخرج
حرض
الدلم

الأحساء

الأحساء :

بفتح الألف واسكان الحاء المهملة وفتح السين المهملة بعدها ألف ممدودة.

هذا الاسم كان يطلق على المنطقة الشرقية حتى أعوام الثمانينات (١٣٨٢هـ) و يقال (الحساء)، بفتح الحاء والسين المهملتين. والأحساء جمع واحده حسى، وهي فصيحة، قال ابن المقرب الاحسائى:

ياحبذا وادى الحساء فانّه ... لو ساءنى واد السّى محبّب

وقال :

وجاد ديار الحيّ من أيمن الحسا ... مرّب يوارى الهضب دانى ربابه

وقال :

لا تكثرى من مقالات تزيد ضنا ... لا الحظّ أمي ولا وادى الحساء أبى

قال ياقوت الحموى في معجم البلدان :

«الأحساء : بالفتح والمد، جمع حسى ــ بكسر الحاء وسكون، وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل، فاذا صار إلى صلابة أمسكته فتحرف العرب عنه الرمل فتستخرجه...»

إلى قوله :

والأحساء مدينة بالبحرين، معروفة مشهورة كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة (هجر) «أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنانى القرمطى». وهى الآن مدينة مشهورة عامرة»[1] . ا.هـ.

وقال الشيخ/ حمد الجاسر[2] :«وقال صاحب (بلاد العرب) وهو من أهل القرن الثالث: في الكلام على بلاد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم وأما سعد فأقصاها «يبرين» بحذاء «عمان»، ثم هم متصلون بالاحساء، والأحساء : من «هجر» على ميلينِ ينزلها أخلاطهم، وبها سيدهم وعاملهم «ابراهيم بن موسى»ا. هـ.

وقال الشيخ الجاسر : ليس في النصوص التي بين أيدينا مايحدد لنا موقع الأحساء القديم ونعنى البلدة التي أخذت هذه المنطقة منها هذا الاسم[3].ا.هـ.

وقال الهمدانى :

«فالاحساء منازل ودور لبنى تميم، ثم لسعد من بنى تميم وكان سوقها على كثيب، يسمى الجرعاء، تتبايع عليه العرب»[4] . ا. هـ.

قلت : كثر الكلام في كتب المتقدمين عن الحساء وموقعها ومؤسسها مما ليس هنا ذكره.

---

(١) ج١/١١١، ١١٢.

(٢) معجم المنطقة الشرقية ج١/١٢١.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٢.

(٤) ص ٢٨١.



والاحساء : قاعدتها مدينة الهفوف : بفتح الهاء وضم الفاء بعدها واو ساكنه ثم فاء.

وهي مدينة زراعية خصبة، تعد من أعظم المناطق في المملكة العربية السعودية، من حيث وفرة مياهها وانتاج التمور، فيها العيون الجارية المتعددة.

يتبعها عدد من القرى من اقدمها قرية (جواثا) وبها مسجد جواثا وهو ثانى مسجد بعد مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم). أقيمت فيه صلاة الجمعة في الإسلام، ولا تزال اطلال ذلك المسجد قائمة وقد كان أبو هريرة حينما ولاه عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) امارة البحرين، يخطب فيه صلاة الجمعة، وهو مسجد (بنو عبدالقيس).

ومن أشهر عيونها عيون «أم سبعة» وعين «نجم الحارة» ومن أشهر جبالها جبل «كنزان» الواقع في شمالها الشرقى وسيأتي الحديث عنه وجبل «القارة» الذي تحيط به المزارع وهو جبل شبه الهضبة ويقع في قمته قلعة صغيرة، وفيها وضع الملك عبدالعزيز المدفع وقصف العجمان حتى سلموا وخرجوا من الأحساء سنة ١٣٣٣هـ ويقع جبل القارة إلى الشرق من الهفوف وعلى بعد ١٨ كيلا.

الموقــــع :

تقع الهفوف إلى الشرق من مدينة الرياض العاصمة وتبعد عنها بـ(٣٢٨) كيلا، وتبعد عن الظهران إلى الجنوب الغربي بـ(١٩٦) كيلا وهى في جنوب منطقة الاحساء، وتقع في تقاطع خطى العرض ٣/٢٥° شمالاً، والطول ٤٩٫٦° شرقاً.

قال صاحب تحفة المستفيد :

«و يشتمل الهفوف على خمس حلال : الكوت، النعاثل، الرفعة، الصالحية، الرقيقة» [1] ا. هـ.

الكـــوت :

كان الكوت يمثل مجموعة من القصور محاطة بسور منيع مبنى بالطين (اللبن) بارتفاع ثلاثة أمتار، تبلغ مساحته (٧٢٠٠٠) ألف متر مربع ومن خارج السور خندق يفصله عن بقية مبانى الهفوف و بداخله خمسة قصور وقلعة كبيرة تعرف بقصر ابراهيم، ولعل سبب التسمية هو أن ابراهيم بن عفيصان كلف بالاشراف على بنائه.

وقد بنى الكوت بعد استيلاء الإمام سعود بن عبدالعزيز على الاحساء في أول القرن الثالث عشر الهجرى.

وكلمة الكوت برتغالية غير عربية قال صاحب تحفة المستفيد:

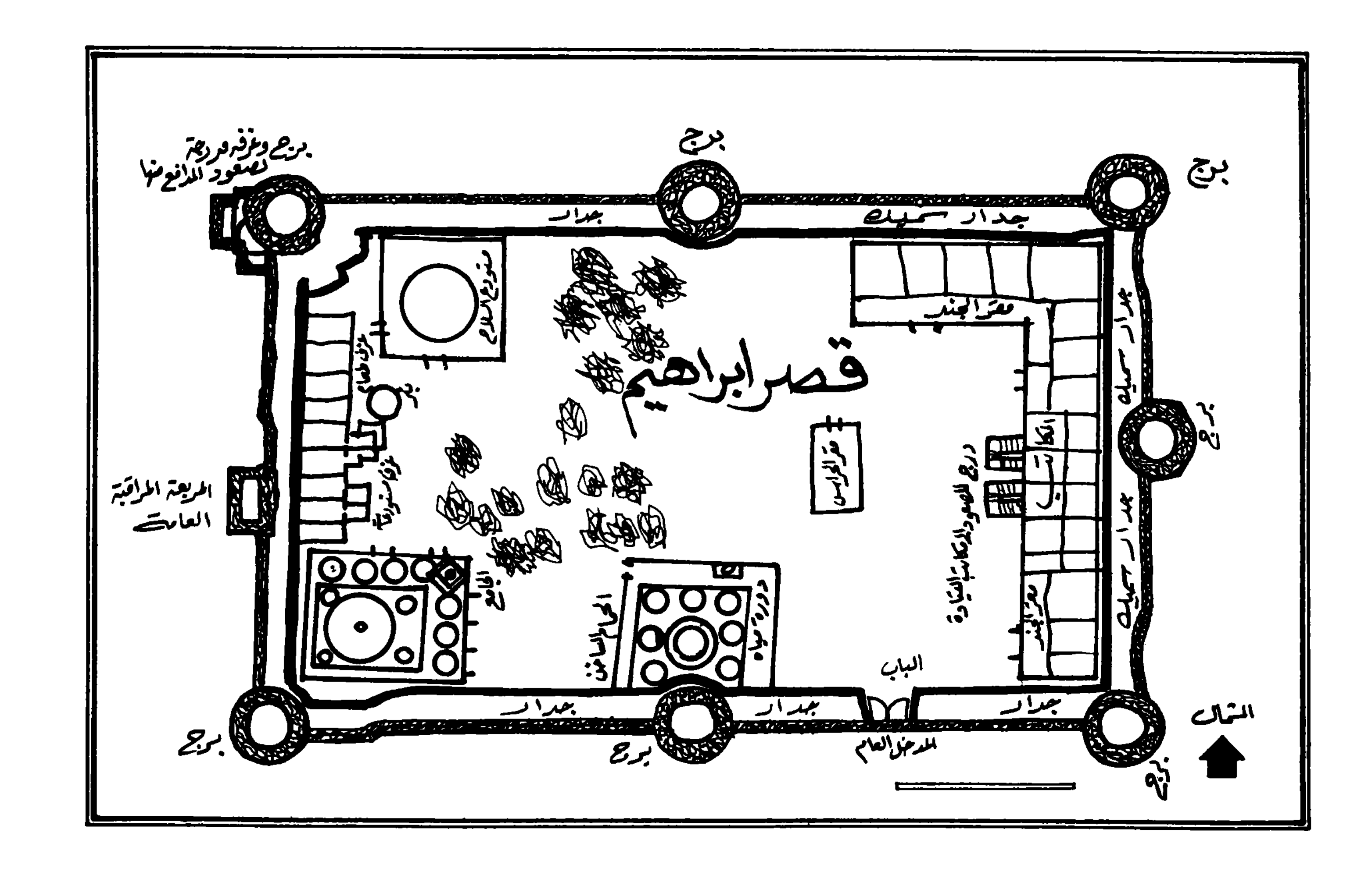
«كلمة الكوت كلمة غير عربية وهى بمعنى الحصين، وسمى الكوت بذلك لأنه محاط بسور وخندق يفصله عن بقية المدينة وفيه قصور الأمارة، وقصر كبير يسمى قصر ابراهيم» [2] ا. هـ.

قلت : وقصر ابراهيم ذلك هو الموضح بالصور رقم (٧) ومساحته (٩٠٠٠) آلاف متر، طول ضلعيه الشمالى والجنوبى مائة متر وطول الضلعين الشرقى والغربى تسعين مترا.

وهو محاطا بسور يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار ونصف وسمك الجدار من اسفله

(١) تاريخ الأحساء ص ٣١.

(٢) المصدر السابق.



قصر ابراهيم
برج
برج وغرفة ودرجة للصعود المدافع منها
المربعة المراقبة العامة
جدار
جدار سميك
مستودع السلاح
غرف طعام
بئر
غرف مستودعات
الجامع
الحمام الساخن
دورة مياه
مقر الحراس
مقر الجند
المكاتب
درج للصعود لمكاتب القيادة
مقر القائد
الباب
المدخل العام
الشمال

متـرين ومن أعلاه تسعون سم وله بواب واحد في جنوبه ارتفاعه خمسة أمتار ونـصـف، وعـرضـه سـتة أمتار، وللقصر ستة أبراج، في الضلع الشمالى ثلاثة وفي الجنوبى مثل ذلك و يبلغ ارتفاعهما عشرة أمتار.

و يـوجد بداخل القصر الكبير من الناحية الشرقية بناية تتكون من دورين كـانـت مـقر القيادة للجيش العثماني انظر الصورة السابقة، يليها من الشمال مـقـر سـجـن ثم مـبـانـى استراحة، ومنام الجند وفي الزاوية الشمالية الغربية مـبـنـى مـسـتودع الأسلحة والذخائر، يليه بئر عمقها ثلاثة عشر مترا، كانت مـصـدر سـقـى الجند الاتراك، يليها مبنى كان مقر المطبخ والمخزن الغذائى، ثم فـراغ ثم المسجد و يقع في زاوية القصر الجنوبية الغربية وله قبة كبيرة قطرها عشرة أمتار ومنارة في زاويته الشمالية الشرقية وله أربعة أبواب.

الأول : فـي الشمال، والثاني في الجنوب، واثنان في الشرق أما القصور الأخرى التي كانت تجاور قصر ابراهيم فهى :

«قصر الامـارة» و«قصر الحـاكـم الـتركى»، و«قصر الملا»، و«قصر بيت المال» و«دار الضيافة الحكومية».

وقـد أمـر المـلك سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بازالة سور الكوت في اعوام السبعينات.

كنــــزان :

بـفـتح الكاف وسكون النون، جبل ممتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الـشرقى يـرتـفـع عمـــا يليه من الأراضى بـ(١٨٠) مترا، و يقع في أسفله من الـنـاحـيـة الـغـربـيـة بئر كبيرة كانت موردا للعجمان يومئذ وجبل كنزان إلى الشمال الشرقي من الهفوف و يبعد عنه بـ(٢٥) كيلا.

المنـــــاخ :

منـاخ الاحـساء بـصفة عامة صحراوى شديد الحرارة صيفاً تبلغ درجات الحـرارة مـابين ٤٢ ــ ٤٨° درجـة مـئـو يـة، شديد البرودة شتاء تبلغ درجات البرودة مابين ١٠ ــ ٣° درجة مئو ية.

الأمطار والارتفاع :

المتوسط السنوى للأمطار لمنطقة الاحساء هو :

٥٩٫٢ ملم، و يرتفع الهفوف عن سطح البحر بـ (١٦٠) مترا.

وترتبـط الاحـسـاء مع الر ياض حاليا بطر يقين معبدين، الأول الر ياض الهـفـوف، والآخـر الر يـاض الخرج ثم الهفوف وخط حديدي من الر ياض إلى الهفوف إلى الدمام.

فتح الأحساء

تقديم :

بعد أن تمكن ابن سعود الذي أصبح سلطان نجد، من الاستيلاء على الرياض والعارض والقصيم واليمامة.

أخذ يفكر في فتح المنطقة الشرقية وأولها عاصمتها الأحساء التي ترضخ للحكم التركي، ليربط شرق الجزيرة بوسطها (نجد) و يأمن مكر الأعداء سواء كانوا عربا أم أتراكا أم انجليزا فجمع قوة عظيمة لذلك الشأن وسار بها إلى الاحساء.

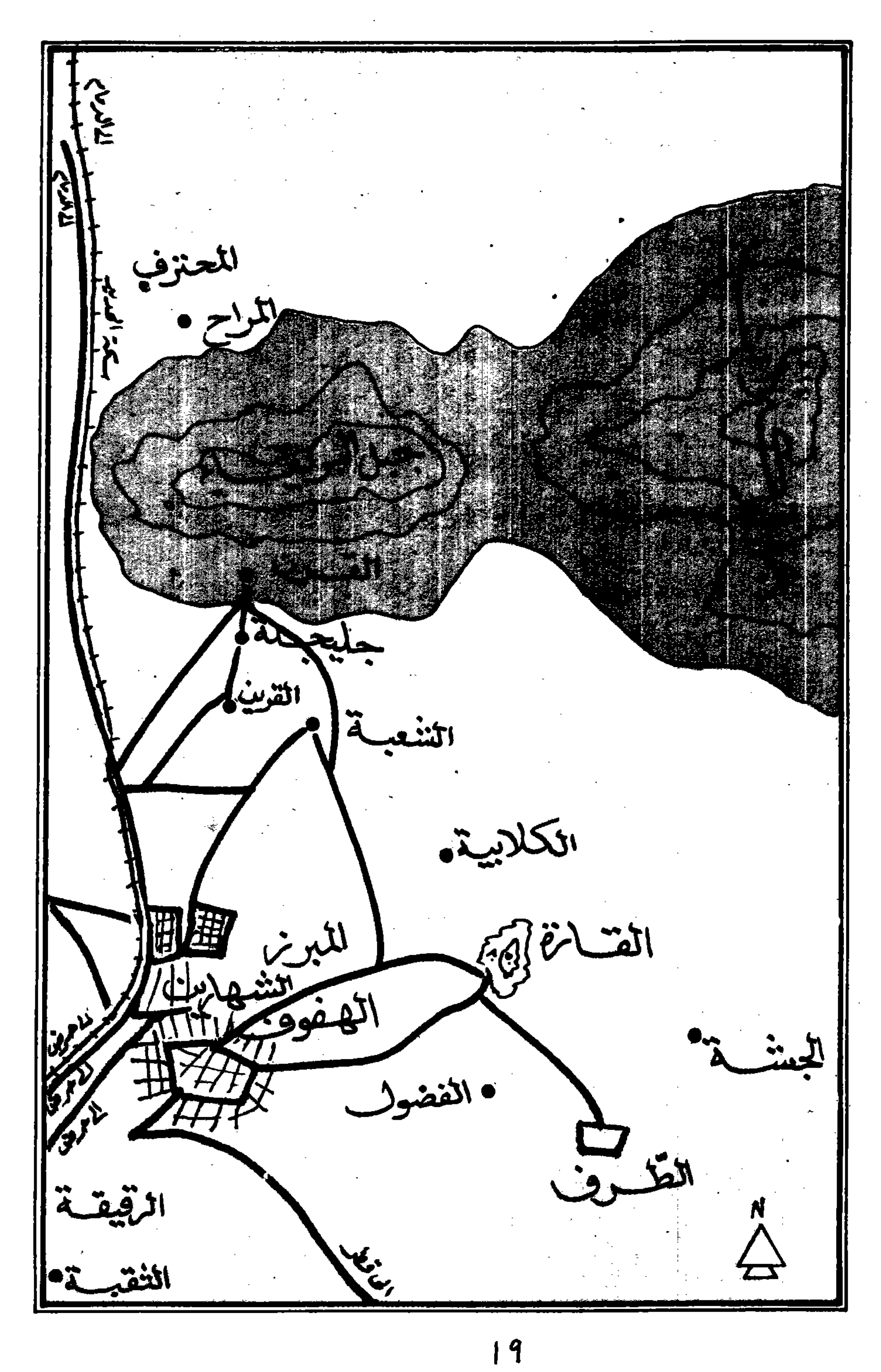
الموقف العام :

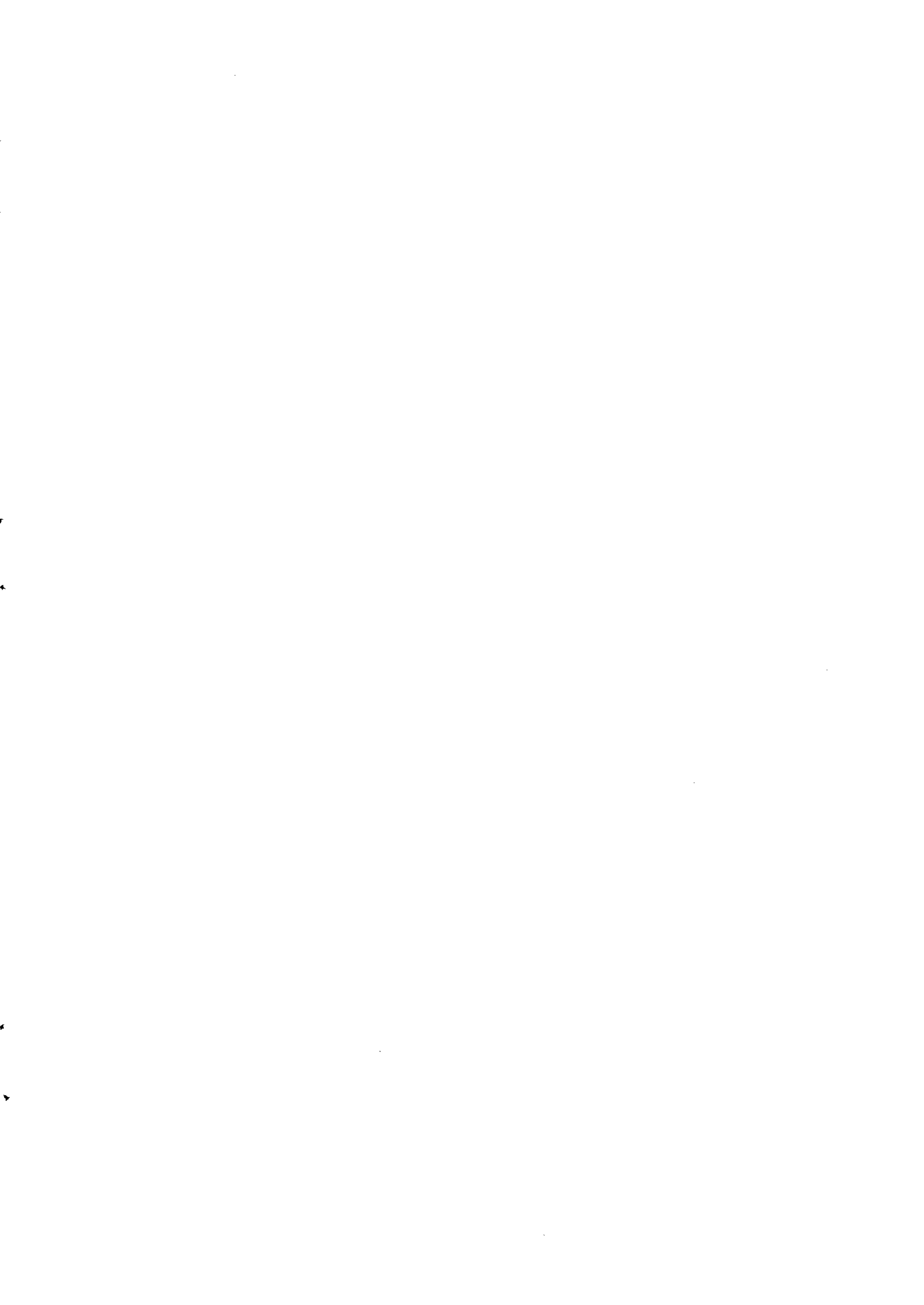
ابن سعود :

في شهر ربيع الأول عام ١٣٣١هـ، خرج السلطان عبدالعزيز في قوة كبيرة من أهل الرياض وقبائل نجد الموالية، وسار بهم على بركات الله، من الرياض إلى الخرج قاصدا الأحساء.

فلما وصل (الخفس) من أراضى الخرج أقام به شهراً كاملاً كان خلال المدة يعد مخططاً عظيماً لاحتلال الاحساء من الأتراك الذين يفوقونه عدداً وعدة وقوة، وقد كتم أمره وخطته حتى عن قادة جيشه الذين هم معه.

وكان يتظاهر أمام الناس أنه يريد تأديب بعض القبائل، في ضواحي اليمامه والاحساء من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه ينتظر خروج العجمان لمساعدته على ضرب قبيلة مطير، التي خرجت عن الطاعة، وكان هذا الخبر يفرح العجمان و يسرهم كثيراً، لوجود بعض الشحناء بينهم و بين مطير.


المحترف
المراح
جليجلة
القرين
الشعبة
الكلابية
القارة
المبرز
الهفوف
الفضول
الجشة
الطرف
الرقيقة
N





هذا جزء من قصر ابراهيم (الكوت) وهذا المبنى كان مقر القيادة التركية ففيه مكتب المتصرف ومكتب القائد واركاناته ومكتب السكرتارية والترجمة ومكاتب قادة الكتائب، ويقع المبنى في الناحية الشرقية من القصر.

فخرج من زعماء العجمان عشرة وأتوا إليه في الخفاء لأخذ الخطة منه، فأعطاهم وعادوا إلى قومهم، وكان ابن سعود قد رسم خطة حربية سياسية عظيمة، نلخصها في ثلاثة بنود هي :

١ — أرسل برسائل سرية للغاية، إلى زعماء أهل الاحساء ممن له بهم صلة ودية، يطلب منهم إن كانوا كما يعدهم صادقين ومتضامنين معه، أن يمهدون له طريقا يصل بها إلى فتح الاحساء، فجاءت رسلهم تحمل الترحيب والغبطة والسرور، معاهدة على تقديم كل مايريده.
وبناء على ذلك قرر إخراج العجمان من الأحساء بالحيلة، ليتسنى له احتلاله، وعدم إثارة القوات التركية من قبلهم.

٢ — لايريد أن يشعر الأتراك بذلك فلربما، تحصل ردود الفعل من الأتراك في حائل والعراق فينكشف أمره و يفشل وتكون العاقبة أن يتداعى عليه الأتراك من كل جانب.

٣ — شعر به الأتراك في الاحساء ولكنه لما علم أنهم علموا، رجع بمفرده إلى الرياض وترك جيشه في مقره بالخفس، ليوهم الأتراك فلا يلقون له بالا، وبينما هو كذلك إذ الأخبار تصل إليهم بأن العجمان خرجوا من الاحساء ولم يبق إلا الأطفال والنساء.

خرج مسرعاً من الرياض إلى قواته في الخفس، وأمرها بالتحرك على خطة يحملونها ولم يعلموا بما ينويه، وأخذ منهم ثمانين رجلاً من صناديدهم، واتجه بهم إلى أن نزل (عين نجم) من عيون الأحساء في شمال الهفوف فعلم الأتراك به فأرسلوا إليه ماذا تريد؟ قال: إنني أريد التزود من أسواق الأحساء بالتمر والماء والدقيق وأنني خارج لتأديب بعض القبائل من البادية، وأننى سألحق ببعض القوات التي استعنت بها لذلك الغرض، ومنهم قبيلة العجمان التي خرجت قبل أيام.

فلما رأى الأتراك قلة الرجال معه ولعلمهم أن قبيلة العجمان قد خرجت من الاحساء بناء على طلب منه، لتأديب مطير، اطمأنوا إلى ما قاله، وصدقوه وهدؤا بعد أن شغلوا.

فلما تزود بما يريد وتم له مقابلة الثقات من أهل الأحساء واتفق معهم على الزمان والمكان الذي منه يحتل «الكُوت» المملوءة بالجند الأتراك، غادر إلى الجنوب لمواجهة قواته في المكان الذي رسمه لهم، وكان رجال السياسة من قوات ابن سعود، قد دخلوا مع القافلة داخل «المبرز» ورسموا الكوت وما حوله ورأوا كيفية اقتحام جدرانه المرتفعة، كما رأوا حركة الأتراك القابعين بقصر ابراهيم العظيم، وكان لابن سعود رجل سياسي يعتمد عليه، عند الشدة وهو يوسف بن سويلم، الذي كان همزة وصل بين ابن سعود وزعماء الأحساء وقد استطاع بسياسته الدخول إلى «الكوت» لمشاهدة مافيه ومعرفة استعداد الأتراك، فوجدهم مطمئنين، لاحذر لهم ولا انتباه أما أهل الأحساء فإنهم ينتظرون ساعة الصفر.

سير الهجوم :

بعد أن دخلت قوات ابن سعود محيط الاحساء، أمرهم بالنزول على عين نجم، في آخر الليل و يبلغ عددهم ألفى مقاتل، فتحركت القوات ونزلت في آخر الليل، من صباح يوم الخامس من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣١هـ، على عين نجم، وبعد أن أعلمهم بما يجب عليهم تركهم وغادر بالثمانين السابقين معه، فلما اقترب من الكوت استوقفهم قائلا:

«يارجال التوحيد ــ اننا هاجمون على الترك في الكوت، أننا منتصرون عليهم بإذن الله، فسيروا وكأنكم صم بكم إلى مهمتكم دون ضجة أو جليه، واذا كلمكم أحد فلا تجيبوه، حتى ولو ضُرِبْتُم بالبنادق، ونحن في الطريق،

ولا تضربوا أحدا، واذا دخلتم الكوت، فحاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم، والبيوت لا تدخلوها، والنساء لا تضربوها».

وبعد أن انتهى من كلمته القيمة، ساروا على بركات الله تحت جنح الظلام، وهو في المقدمة، فلما وصلوا الناحية الغربية من سور الكوت، قسم رجاله إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : يدخلون من فتحة أحدثها أهالى الأحساء، مما يلى ركن السور الغربي غرب بيت الملا.

القسم الثاني : يتسلق السور الشمالى بواسطة جذوع النخل، والحبال التي اعدها الأنصار من أهل الاحساء.

القسم الثالث : يتجه إلى باب الخباز الشرقي، ويدخل الكوت بواسطة عناصر من السكان تنتظرهم هناك وهؤلاء هم الذين سيرغمون الحراس على فتح الباب بأى وسيلة سلمية أو حربية.

القسم الرابع : يهجم على بيت المتصرف التركى ويحاصره حتى يقبض عليه.

وكان ابن سعود حينما وصل الكوت، رأى أنه من الأصلح أن يستدعى قواته كلها، فأرسل إليهم أحد رجاله وقيل أنه يوسف السويلم لأنه الخبير بمواقع المخافر والضباط.

وقد وصلت القوات في آخر الليل، وهاجمت المخافر، والمراكز التركية، داخل البلد وخارجه وأسرت كل ضباطها وأفرادها، والبالغ عددهم مائتان وثلاثون ضابطاً وفرداً.

أما المتصرف فإنه قد فر إلى داخل الثكنة العسكرية، ينادى عساكره الجاثمين فيها والغاطين في نومهم العميق، وكان المتصرف يردد بأعلى صوته ويقول :

«انظروا فقد جاءتكم الأشباح في هذا الظلام» وزجر صاحب النفير «البوق»، فاستيقظت الجند التركية وصارت تقصف بالمدافع على غير هدى، ودخلت قوات ابن سعود الكوت بكاملها.

واختلط الحابل بالنابل، واشتد القتال ضراوة، وعلت الأصوات وسقط الكوت بكامله بمن فيه، في يد القوات السعودية، وقتل من قاتل وسلم من سالم، ولم يبقى إلا قصر ابراهيم، الواقع داخل القلعة الحصينه، والذي اعتصم به المتصرف التركى وكبار ضباطه، وقد استيقظ سكان الأحساء على أصوات المدافع، وكان الوقت قبيل آذان الفجر بدقائق معدودة.

ثم نادى المنادون من أبراج القشلة السته «ان الملك لله، ثم لعبد العزيز ابن عبدالرحمن الفيصل آل سعود».

ثم ارتفع نداء الحق من مساجد الأحساء، بآذان الفجر، وبعد الصلاة أخذ سكان الأحساء طريقهم إلى الكوت، لتقديم البيعة، وبعد طلوع الشمس لذلك اليوم الأغر، توجه ابن سعود إلى قصر الشيخ عبداللطيف الملا.

وفيه استقبل سكان مدن وقرى الاحساء الذين قدموا له التهنئه على هذا الفتح المبين، كما قدموا له البيعة على السمع والطاعة، وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله، وما أن أضحى النهار حتى قدم جميع السكان بيعتهم لابن سعود.

وبعد ذلك بعث ابن سعود الشيخ أبا بكر الملا، إلى المتصرف ومن معه يقول لهم الخيرة في أمرين هما:

«اما أن يسلموا ويخرجوا من الاحساء، سالمين محمولين إلى ميناء العقير».

أو «أنا هاجمناهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم».

ولما أبلغهم الملا بذلك، رد عليه المتصرف قائلا «ما هو رأيك ياشيخ أنت». فقال الملا:

«عليك بالتسليم والخروج بالسلامة، لأن سكان البلاد لايرغبون في بقائكم، عند ذلك خرج وسلم هو ومن معه من الضباط والأفراد بين يدى ابن سعود».

فأمر بجمعهم في الخيام خارج القصر، وكان عددهم (١٨٠٠) ضابطاً وفرداً وعدد الأسرى (٢٣٠) الجميع (٢٠٣٠) عسكرياً، وما أن غربت شمس ذلك اليوم حتى كلف ابن سعود ابن عمه عبدالله بن جلوى أن يحضر السلاح والذخائر والمدافع، وجميع المعدات العسكرية والبغال والأموال.

وفي اليوم التالى من احتلال «الكوت»، رُحِّلَتْ العساكر التركية من الاحساء، إلى ميناء العقير، ثم إلى البحرين.

النتيجة :

كانت نتيجة فتح الاحساء هى: انتصار السلطان عبدالعزيز، وكان نصراً مؤزراً بسياسةٍ وشجاعةٍ وبسالةٍ وحسنِ تخطيطٍ وتدبير.

وانهزام وذلة وصغار، للقوات النظامية المسلحة التركية، وخروجهم من الاحساء والجزيرة العربية.

وكان أحد المشايخ بالأحساء، وهو الشيخ عبدالله بن علي آل عبدالقادر

من سكان المبرز قد فرح بانتصار ابن سعود وقواته الباسلة، فبعث برسالة إلى ابن سعود يهنئه فيها بالنصر، و يبايعه وقد ضمن رسالته هذه الأبيات؛ فقال:

وفت السعود بوعدها المضمون ... وترادفت بالطائر الميمون
وعلا لواء المسلمين وعاينوا ... تحقيق آمال لهم وظنون
نهنيك يا هذا الإمام سعادة ... بالنصر والاعزاز والتمكين
فقت الملوك بسالة وسياسة ... هيهات ما من مشبه وقرين
قرت بك الاحساء عيناً انها ... ترجو صلاح أمورها والدين

ولما فتح الله على يد السلطان عبدالعزيز الاحساء والقطيف، هنأه الشعراء ومنهم الشيخ سليمان بن سحمان قال قصيدة في ذلك تهنئة للسلطان عبدالعزيز.

بَهَجر أضاء الفجر واستعلن الرشد ... وناء على طامها الطالع السعد
وقد كان اهلوها بأسوإ حالة ... وقد فتحت للكفر اعينه الرمد
وكانت قضاة السوء تصرخ جهرة ... بتجميد عباد القبور وهم ضد
وتمجيد ضباط لهم وعساكر ... فبعدا لهم بعدا وسحقا لمن وَدُ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... فهم للهدى ضد وللاشقيا جند
وقد أظهر الأرفاض فيها شعارهم ... ومدوا يدا نحو العلى وبها امتد
وفيها الخنا والخمر والزمر ظاهر ... وما ليس محصورا وليس له عد

وقد كان فيها للضلالة والردى ... مقر وفيها للهوى صادح يشدُ

وقد كان فيها للملاهى ملاعب ... وحاد على اعقاب اربابها يجدُّ

واحكام أهل الكفر تجرى بسفحها ... وقانونهم يعلو بها ظاهرا يبدُ

فنأ بها سعد السعود فاسفرت ... بآل سعود هجر وافتخرت نجد

واقلع عن هجر دياجير ما سجى ... من الكفر والارفاض حل بها النكد

واصبح من فيها محب وناصح ... ينادى الا أهلا بكم ايها الجند

فقد طال ما كنا بايدى عداتنا ... اذلاء والاعداء يسمو لهم جَدُّ

وهم قد أخافونا بها وتغلبوا ... يسومونا خسفا و يعلوا بها الضد

فقوض عنا الغى والبغى والأسى ... واهل الردى والفحش فاستعلن الرشد

وقد اشرقت فيها شموس ذوى الهدى ... وحالت بحمد الله احوالها الكمد

فيامن بها من عصبة الدين والهدى ... ليهنكم الاقبال والعز والمجد

فشكرا بنى الإسلام قد رجعت لكم ... بناكرة من بعد أن يئس اللد

وقد ظن قوم أنها دولة مضت ... وليس لما قد فات عود ولارد

فقد عاد ماقد فات غضا كما بدا ... فلله مولانا على ذلك الحمد

وذلك من فضل الإله ومده ... فمن جوده الحسنى ومن فضله المد

وقد كان ما أجراه فضلا ونعمه ... ولله من قبل الامور ومن بعد

اتاهم بها اذ غاب نجم مشعشع		وقائده الاقبال والعز والسعد

لسبع من الساعات في غسق الدجى		وقد هجع الاحراس والترك والجند

فما راعهم إلا وآساد جنده		قد اقتحموا فيها وما مسهم نكد

وصاحوا بها من كل قطر وجانب		شعارهم التهليل والذكر والحمد

وقد ملكوا ابوابها وبروجها		ومن كل نهج نحو اعدائها تعد

يقودهمو ليث همام سميدع		أبى وفي فاتك ان عشى الضد

يخوض عباب الموت والموت ناقع		اذا استعرت نار لها في الوغى وقد

و يركب هول الخطب والخطب معضل		وقد هابه الأبطال رعبا وقد ندوا

هو الملك السامي إلى منتهى العلى		وقد أمه في نيلها الطالع السعد

امام الهدى عبدالعزيز الذي به		تضعضعت الأملاك واستعلن الرشد

لقد فاق ابناء الزمان وفاتهم		بعفو واقدام وساعده الجد

فيا أيها الغادى على ظهر جلعد		عرندسة مامسها دهرها جهد

تجوب فيافي البيد وخدا ومسئدا		وما نقبت اخفافها عند ماتخد

تحمل هداك الله مني تحية		هدية مشتاق أمض به الوجد

وأورى به من لاعج الشوق جذوة		ولكنه قد عاقه النأى والبعد

إلى الملك الشهم الهمام أخى الندى		مذيق العدا كأس الردى عندما يعد

ومن اصله المجد المؤثل والعلا ... ومن جوده الجدوى لمن مسه الجهد

فأبلغه تسليما كأن اريجه ... شذى المسك لما ضاع نشره الند

وناد بأعلى الصوت عند لقائه ... بمجلسه الأسنى الذي حفه السعد

ليهنك ياشمس البلاد وبدرها ... بلوغ المنى تسامى بك المجد

ونال بك الإسلام فخرا ورفعة ... وعزت بك الأحسا واستعلن الرشد

وذلت بك الأعداء من كل فاجر ... وكل كفور دينه الكفر والجحد

وقال الشيخ حسين بن علي بن نفيسة مهنئا صاحب العظمة عبدالعزيز بهذا الفتح للأحساء والقطيف.

لك الحمد ماهل السحاب المركم ... فأنت الذي تؤى وتولى وتكرم

فما أحد ان جدت بالفضل مانع ... ولا معط إلا أنت بالخلق ارحم

لك الشكر لانحصيه والمجد كله ... لك المن والاحسان ماذاك يكتم

لك الجود يامعبود ياغاية المنى ... لك البر يابر رحيم مسلم

أيا صاح حق الوعد من ربنا لنا ... وقد بلغ المأمول من هو احزم

إمام التقى ليث اللقاء الذي ارتقا ... ذرى المجد حى احتازها وهى سنم

فناد جميع المقتدين بمدحه ... وقل جددوا اشعاركم وترنموا

فهاك نسيبى وهو ازجى بضاعة ... ولكنها بالحمد والشكر تعلم

إلى قولـــــه :

احـب شـبيهـات المهـا غير أننـى بـذكـرك يـابـدر الـزمـان مـتيم

فـبـشـراك يـاعـبدالعـزيـز بهذه هى المنـة العظمى عسى لك تسلم

مـنـيـحـة اقـوام كـثير فطمتهم عـليهـا بـكـى تـرك وبـدو وأروم

هنيئـا لـك الملك الذي قد اتاكه الـه السما والأرض مـن هـو اعـلـم

بمـا كـان تخفيه الصدور من الاذى فـإن ابـرمـوا امـرا فـربـك يـبـرم

ولاغـرو أن ملـكتم الخط والحسـاء تـلائـدكـم كـانـت نـزائـع مـنكمو

فعـادت كما كـانت فللشكر جددوا فـأولاكـم مـولاكـم اذ صـبـرتم

حـلفت يمينـا غير ذى مثنـوية ومـا كنـت قبل اليوم بـالحنث اتهم

لما مهـدت في المهـد مثلك حرة ومـا تـبع الجيش الخميس العـرمـرم

بـاسـطا ولا امضى على الهول واللقا وان نـقـدوا رأيـا فـرأيـك اعـزم

اذا كـان مـالا يستطاع دفاعـه وحـاولـتـه نـقـضـت مـامـنه مبرم

اذا هـدأت عنـك العيون فجـأتها فـأرويـت زنـد الحرب والنـاس نـوم

فأنت لعمرى فارس الخيل في الوغى وأنـت شـهـاب الليـل والليـل مظلـم

تجـشـمت اهوال الظلام على العدى فـطـارت طـيور العز والسعـد عنهـم

واصحابك الفتاك اسد الشرى الذي لحـوض المـنـايـا ورديـن وحـوم

تسورتم الاسوار لله دراكم ... فياحبذا من كان منكم وفيكم

فاما شهيد قد تلقته رحمة ... واما سعيد فائز ومغنم

فلا ننس أهل الجذع واعرف مقامهم ... وانت بحال الجند ادرى واعلم

فهذا هو الفتح الذي رفعت به ... منازل اقوام وقوم تندموا

وهذا هو الفتح الذي فتحت به ... بصائر اهل الدين اذ خصمهم عموا

وهذا هو الفتح الذي لم يكن جرى ... سلمتم وكوفيتم معا وغنمتم

قهرتم بغات الترك وسط حصونها ... فما سلموا حتى جرى منهم الدم

وهذا هو الفتح الذي عاد مثله ... به انخفض الطغيان والحق يبسم

به ذهب القانون والحاكموا به ... وولت فعال الشرك والكفر معهم

فأصبح منهاج الشريعة واضحا ... وأضحى الخنى والفسق بالحق يحسم

فيا دولة الأتراك لاعاد عزكم ... علينا وفي اوطاننا لا رجعتم

ملكتم فخالفتم طريق نبينا ... وللمنكرات والخمور استبحتم

جعلتم شعار المشركين شعاركم ... فكنتم إلى الاشراك اسرع منهم

تزودتموا دين النصارى علاوة ... فرجسا على رجس عظيم حملتم

فبعدا لكم سحقا لكم خيبة لكم ... ومن كان يهواكم ويصبو اليكم

فذاك من الركان في وحى ربنا ... إلا أنه ممن تمس جهنم

فيا اهل هجر هاجروا في دياركم   فهذا هو الحظ الذي لايقوم
اتاكم بها نجل الكرام نقية   حقيقة دين المصطفى فلها الزموا
صراط سوى عنه لاتتفرقوا   إلى سبل ان تتبعوها ضللتم
فامسيتم للكفر فيكم دعائم   واصبحتموا الإسلام ثوب عليكم
لكم مايكن للمسلمين من العطا   وان عليكم ما يكون عليهم
ولكن بشرط السمع منكم لأمره   وطاعة مأمور يولى عليكم
وداوو جرحات القلوب بتوبة   تجب الذي اسلفتموا واقترفتم
فإن كنتم استجمعتمو يوم زينة   ورقص وتصفيق له قد حضرتم
فحيا لقال الله قال رسوله   وللصلوات بادروا وتقدموا
فقد جاءكم من زيد في العلم بسطه   وفي الجسم مشهور هو افضل منكم
يحامى على التوحيد اذ كان دينه   سيتلى عليكم فافهمو وتعلموا
ويثبت في التنزيل ما كان مثبتا   وبالسنة الغراء يحل ويحرم
هما اثبتا أن المهيمن بائن   من الخلق فوق العرش والله يحكم
باعزاز اقوام واذلال ضدهم   فهذاك مسلوب وهذا مقدم
فلا ملك إلا وهو لله وحده   فإن شاء بنا عزا وان شاء يهدم
قضي أن يولي خيرنا وابن خيرنا   عليكم فهذى نعمة قد كسبتم

حفيد فريد العصر هذاك فيصل — عليه سلام الله وقفا محتم

لقد جد في اظهار دين نبينا — وآوى الذين للحنيفي ينتمو

إمام التقى والجود أما نهاره — فبذل واما الليل لله محرم

وهل يزكون الفرع إلا اذا زكت — مغارسه والفضل بالفضل يعلم

هم شرفت اجدادهم وجدودهم — هم عرفوا المعروف والشرع قدمو

ودونك شطرا قاله خير شاعر — واحسن فيما قاله المتقدم

حنيفية في دينها حنيفية — فأحسابهم أعلى وأزكى واكرم

إلى قولــــــــه :

وان اجحفت بالناس عبر سنينهم — ولا مال إلا عند من كان يخدم

هنالك هم غيث المساكين بالندى — ومطمعهم دأبا مدى الدهر يطعم

هم الناس ينقاد الورى لأمرهم — وان ذكروا أهل العلى ذكروا هم

فمن رام خذلانا لهم أو تنقصا — فسوف يولى الظهر والجمع يهزم

ويالائمي في حبهم ومديحهم — تزحزح قصيا أن قولك مأثم

فليس الجبال الشم مثل حزونها — ولا من يقل جدا كمن يتهكم

فتح القطيف

تقديم :

في اليوم الثالث من أيام فتح الأحساء، وبعد أن تم للإمام المظفر ابن سعود السيطرة عليها وطهرها من الأتراك.

ألهمه الله سبحانه وتعالى فتح القطيف، الذي يقبع في قلاعه ثلة من الجند الأتراك، فأخذ يفكر في فتحه وتطهيره أيضاً، وخشى من الأتراك المطرودين، أن يعودوا إلى العقير مرة أخرى، أو يأتوا عن طريق القطيف.

فرأى أنه لابد من أخذ الحذر من العدو، بكل الاحتمالات، وأنه لابد أن يجلوهم عن المنطقة الشرقية عاجلاً أم آجلا، وقال: أنه لابد أن أسبقهم إلى القطيف.

الموقف العام :

استدعي قادة جيشه الأبطال وأمرهم بتجهيز قوتين وجعل لكل قوة مهمتها وهي:

الأولى : بقيادة عبدالرحمن بن سويلم، ومهمتها احتلال القطيف فورا وتطهيره من الأتراك، الجاثمين في قلاعه والبقاء بالقطيف حتى يتم استدعاؤهم، لصد أي عدوان عليه.

الثانية : ومهمتها حماية ميناء العقير وقد قسمها إلى سريتين:
الأولى بقيادة عبدالله بن جلوي
الثانية بقيادة علي بن خريف
وحدد لكل سرية مكانها، في العقير ومهمتها التي اعدت من أجلها.

قوات ابن سعود في القطيف :

وصلت قوات ابن سعود القطيف واحتلته ليلا حسب الخطة المرسومة لها، من قبل الإمام، وسلم جنود الأتراك، وغادروا القطيف دون أي مقاومة، وركبوا سفنهم الشراعية، واتجهوا إلى البصرة.

وتسلم منهم ابن سويلم قائد القوة المهاجمة الحصن بما فيه من أسلحة وذخائر ومؤن عسكرية.

قوات ابن سعود في العقير :

اما السريتان اللتان بعثهما إلى العقير، فانهما وصلتاه، وعسكرت كل سرية في المكان المحدد لها، واستعدتا لصد أى هجوم من البحر.

موقف الأتراك :

وصل الأتراك المطرودون من الاحساء إلى البحرين، فاستقبلوا باللوم والاستنكار، وقيل لهم ويلكم ماذا تقولون للسلطان، ارجعوا وخذوا بثأر من أخرجكم من الأحساء، والا فأنتم ضحية لسلطانكم لا محالة، ولعل أخذكم بالثأر يخفف عنكم جوره وجبروته.

عند ذلك عادوا لأخذ الثأر، وتزودوا بالسلاح والعتاد الحربى واستأجروا سفنا شراعية من البحرين وخرجوا إلى العقير، وهجموا على العقير ليلا.

موقف القوات السعودية :

اشتبكت القوتان ليلا و تقاتلا بأصناف السلاح كافة، حتى السلاح الأبيض، تم للقوات السعودية الانتصار على القوات التركية وأسرت منهم ثلاثين ضابطاً وفرداً، وقتلوا منهم ثلاثة عشر آخرين.

وأبلغوا الإمام في الأحساء بما حدث فأمر باطلاق الأسرى وعاهدوه على عدم العودة واقروا له واعترفوا أنه لاطاقة لهم في محاربته، وغادروا مواقعهم إلى البصرة.

السلطان ابن سعود :

بعد أن تم له الانتصار والسيطرة على المنطقة الشرقية، أبقى عبدالرحمن بن سويلم أميرا على القطيف والدمام.

ووضع ابن عمه عبدالله بن جلوى أميرا على الأحساء، ثم عاد إلى عاصمة ملكه الرياض وهو مطمئن البال، وأصبح الحاكم الشرعى على نجد والقصيم والشرقية.

وقد هنأه شاعره الكبير محمد بن عثيمين بقصيدة نذكر منها مايلى:

العز والمجد في الهندية القضب ... لافى الرسائل والتنميق والخطب

إلى قولـــــــه :

ذاك الإمام الذي كادت عزائمه ... تسمو به فوق هام النسر والقطب

عبدالعزيز الذي ذلت بسطوته ... شوس الجبابر من عجم ومن عرب

ليث الليوث أخو الهيجاء مسعرها ... السيد المنجب ابن السادة النجب

قوم هم زينة الدنيا وبهجتها ... وهم لها عمد ممدودة الطنب

لكن شمس ملوك الأرض قاطبة ... عبدالعزيز بلا مين ولا كذب

إلى قولـــــــه :

فسار من نفسه في جحفل حرد وسار من جيشه في عسكر لجب

حتى تسور حيطانا وأبنية لولا القضاء لما أدركن بالسبب

لكنها عزمة من فاتك بطل حمى بها حوزة الإسلام والحرب

إلى قولـــــه :

فتح تؤرخ هذا الكون نفحته و يلبس الأرض زى المارج الطرب

إلى قولـــــه :

ملك يؤود الرواسى حمل همته لو كان يمكن أرقته إلى الشهب

و يركب الخطب لايدرى نواجذه تفتر عن ظفر في ذاك أو شجب

اذا الملوك أستلانوا الفرش وأتكؤوا على الأرائك بين الخرد العرب

ففى المواضى وفي السمر اللدان وفي الجرد الجياد له شغل عن الطرب

وقال خالد الفرج يصف ابن سعود وجيشه وسيرته واحتلاله الكوت، ثم يصف حال الأحساء بعد الفتح، وحال الترك بعد أن فرض عليهم ابن سعود الحصار فقال:

فأتى في جيشه ابن الإمام ساترا مايريد بالايهام

جاعلا قصده شرأ الطعام فأناخوا بالعين تحت الظلام

ثم جاءوا مشيا على الأقدام صعدوا للمحافظين النيام

وهم بعد سكرهم في خمار

لليلة الخمس من جماد الاولى أكمل الجيش في البلاد الدخولا

رافعين التكبير والتهليلا حيث فر الأتراك منهم ذهولا

ليس يدرون للنجاة سبيلا ثم نادى في السور عرضا وطولا

(أن عبدالعزيز رب الدار)

ليلة الكوت وهو خطب كبير عند عبدالعزيز خطب يسير

ضاق عن وصف عزمه التعبير لاينال المرام إلا الجسور

لاتحمل دونه قلاع وسور فيه جند من النظام كثير

وهو من أهلها بلا أنصار

أصبح الناس كلهم فرحينا وأتوا عهودهم طائعينا

بقى الترك يملكون الحصونا الف نفس وألف بعض مئينا

أصبحوا في حصونهم قابعينا يطلبون الأمان والتأمينا

حين خافوا من لهجة الانذار

معركة كنزان
بالأحساء

تقديم :

قبيلة العجمان احدى قبائل الجزيرة العربية وهي فرع من قبيلة يام الكبرى، وقد انفصلت عن يام الأم، وهاجرت إلى الاحساء في بداية القرن الثاني عشر الهجرى واستقرت هناك، ثم أصبحت من قوات عبدالعزيز لاسيما في معركة جراب، حينما انسحبوا من ميدان المعركة، ونهبوا معسكر ابن سعود فكانوا سبباً في هزيمته.

وقد قامت هذه القبيلة وأحدثت القلاقل والازعاج والهجمات والسلب والنهب على القبائل التابعة لابن صباح في الكويت والقبائل التابعة لابن سعود.

فأرسل ابن صباح إلى ابن سعود يطلب منه ايقاف اعتدائهم على الكويت وتأديبهم وارجاع مانهبوا من قبائل الكويت.

فبعث ابن سعود إلى منصوبه في الأحساء، وهو الأمير عبدالله ابن جلوى، أمرا بارسال فرقة مقاتلة لتأديب العجمان وايقافهم عند حدهم.

فخرجت الفرقة حتى التقت بالعجمان في مكان عين لها، وبعد معركة دامت عدة ساعات كان النصر فيها للعجمان على قوة ابن سعود.

فلما رأى العجمان انتصارهم هذا، زاد شرهم وقوت شوكتهم وزاد اعتداؤهم أكثر من السابق فكان ذلك من أسباب معركة كنزان.


معركة كزان
بيوت الشعر والخيم الخالية
دخول القوات السعودية الى منازل العجمان .

الموقف العام :

السلطان ابن سعود :

خرج ابن سعود في قوة مؤلفة من حاضرة نجد، وسبيع حتى اذا ماوصلوا في موضع يعرف بـ (أم خريسان) وهى عين تقع إلى الشرق من مدينة الهفوف وإلى الشمال الغربي من قرية الطّرف، وإلى الجنوب الغربي من بلدة الفضول، وكان ذلك في منتصف فصل الصيف وفي رجب سنة ١٣٣٣هـ. عسكر فيها ابن سعود لاستطلاع مواقع العدو ومعرفة أحوالهم.

العجمان :

علموا بقدوم ابن سعود وهم يعرفون خططه وكل تصرفاته الحربية لكونهم كانوا معه.

فنادوا في بعضهم، ولموا شتاتهم، واجتمعوا في جنوب جبل كنزان، والذي يبعد عن مدينة الهفوف بـ(خمسة وعشرين كيلا) ونزلوا على مورد كنزان، الذي يقع في أسفل جبل كنزان من الجنوب، وهي بئر غنية بالماء، وقاموا بنصب خيامهم حول البئر المذكوره وحفروا خنادق بشكل هندسى من ثلاث جهات وجعلوا الجهة الرابعة مفتوحة ومنفرجه لتكون مصيدة للمهاجمين، انظر الخريطة رقم(٢٠).

السلطان ابن سعود :

بعد أن وصل عين أم (خريسان) مكث بها شهراً كاملاً، ينتظر وصول المدد الذي وعده به ابن صباح، وكان خلال تلك المدة قد استقبل البيعة من سكان القرى والحضر في منطقة الأحساء، وقد بعث إلى العجمان عشرات الرسائل يطلبهم ارجاع مانهبوه من قبائل ابن صباح وقبائل ابن سعود.

وكان العجمان يرغبون قتال ابن سعود، لكنه لم يكن المتسرع في أموره، كل ذلك رغبة منه في حقن الدماء وعدم مواجهتهم مواجهة حربية لكنهم لم يستجيبوا إلى ما طلب.

السلطان ابن سعود :

في مساء الرابع عشر من شهر شعبان، رحل بقواته من عين أم خريسان، وسار بهم ليلا على ضوء القمر سيرا على الأقدام، يريد مهاجمة العجمان في كنزان.

العجمان :

علم العجمان من استطلاعاتهم في قرى (جواثا) و(الكلابية) وجبل (كنزان) بأن ابن سعود قادم للهجوم عليهم ليلا، فأخرجوا نساءهم وأطفالهم إلى جبل كنزان واتخذوا من خنادقهم ملاجىء يستطيعون ضرب أى قوات معادية مهما كانت والسيطرة عليها، ولاسيما وأنهم قد شقوا تلك الخنادق على أرض مرتفعة يمكنهم رؤية العدو المتواجد داخل اطلال الخنادق الثلاثة بالعين المجردة ليلا.

قوات الطرفين :

ابن سعود : ألف وثمانمائة مقاتل منهم مائة وعشرون فارساً.

العجمان : ألف وثلاثمائة مقاتل.

سير المعركة :

في ثلث الليل الأخير من صباح يوم الاثنين، الخامس عشر من شهر شعبان سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية وصلت قوات ابن سعود

إلى مقر العجمان فلما أشرفت على الخيم و بيوت الشعر الخالية، صبت نيرانها عليها ظنا منها أن العجمان بداخلها، فلما رأوا عدم المقاومة هموا بدخول البيوت والخيم، لجمع الغنائم وقد ظنوا أن العجمان فروا هاربين.

فماذا كانت النتيجه؟ هي: أن العجمان والبالغ عددهم كما اسلفنا يطوقون قوات السلطان من ثلاث جهات فصبوا عليهم وابل من الرصاص وأصبحت قوات السلطان لا تعلم من أى جهة تقذف مما سبب ظن السوء فيما بين قوات السلطان أنفسهم وازداد عدد القتلى وتقهقرت قوات السلطان وانسحبت إلى المبرز ثم إلى (الكوت) فاعتصمت به فتعقبهم العجمان وفرضوا عليهم الحصار فبعث عبدالعزيز إلى والده رسولاً يخبره بما حدث و يطلب منه قوة لنجدتهم.

الخسائر:

ابن سعود :

قتل من قواته مائة وستون رجلاً، منهم ثمانون من أهل الرياض والقبائل المرافقة، وعلى رأسهم الأمير سعد بن عبدالرحمن آل سعود شقيقه.

وثمانون من أهل الاحساء الذين بايعوه وناصروه ، وانضموا إلى قواته، كما أصيب حوالى مائة واربعون بجراح، منهم قائدهم المظفر عبدالعزيز آل سعود، فقد أصيب اصابة بالغة ولكن العزيمة والقوة المنتظرة للنصر من الله، والمتمسكة بعروة الله الوثقى، لن توهن أبداً، بل جعلت منه المزيد من الخطط، وتدبير السياسة، وايهام العدو، وهزيمته.

لابد أن ابين للقارىء الكريم بايجاز عن اصابة السلطان عبدالعزيز وماذا عمل لنفسه ولقواته... فأقول؟

عندما اشتبكت القوتان في كنزان، أصيب ابن سعود برصاصة في حزامه المملوء بالرصاص فانفجرت عدة رصاصات وشقت بطنه حتى تدلت أمعاؤه.

وكان العجمان قد علموا باصابة عبدالعزيز عندما سمعوا أصوات جنده تنعى اصابته بل قالوا مات، فاشتد عزمهم وجهزوا ليشنوا هجوماً طاحنا على قوات ابن سعود التي انسحبت من الميدان، وقد قتل وأصيب ثلثها وفيمن قتل: «سعد» شقيق «عبدالعزيز» وأصيب «عبدالعزيز»، لكن جراح عبدالعزيز لم تشغله عن الحيلولة في قمع عدوه.

فبينما هو يولج أمعاؤه المتدلية باصابعه ودماؤه تنزف و يشد عليها بالحزام اذا هو يقول: «في المساء اعلنوا زواجي، واضربوا الطبول، وأحيوا العرضة النجدية»، فتعجب رجاله من قوله واندهشوا كثيراً وهم يقولون له.

«أحقاً ما تقول ياعبدالعزيز، فقال: «نعم زوجوني، زوجوني، اعلنوا زواجي» على أعين الناس، وأعلنوا النكاح بقرع الطبول، ثم احضروا له امرأة، ولكنه لم يكن يرآها عبدالعزيز أمام عينيه إلا كومة سوداء[1]، وقد أقسم لي المتحدث أن عبدالعزيز لم يرها أبدا، ولم يعرفها ولم يكلمها، ولم يكن الوقت وقت زواج وفرح، انما جعل ذلك عبدالعزيز الفارس الملهم المتمسك بحبل الله القوى، جعل ذلك خدعة ومكيدة للعجمان، ليكبتهم ويهزمهم نفسياً ومعنوياً و يوهن عزائمهم ويربك صفوفهم.

فبينما هم يحلمون بمقتل عبدالعزيز وتحدثهم أنفسهم وكبرياؤهم، بما حققوا من انتصار على عبدالعزيز، وبينما الكشافة في استطلاعاتهم المتواجدة حول الكوت، تسمع قرع الطبول فقالوا لمن حولهم من السكان، ما هذا الفرح؟ قالوا: زواج ابن سعود أنه تزوج هذه الليلة.

(١) انظر صور من حياة الملك عبدالعزيز رواية الأمير طلال ابن عبدالعزيز.

فهبت العجمان وفروا إلى قادتهم في كنزان، يحدثونهم بما سمعوا وهم يقولون، الويل لكم والثبور، عبدالعزيز الذي تدعون قتله هو الآن في أبهج لياليه، فقام كل على غير هدى ينادي و يصخب في من حوله، وسرعان ما حلت الهزيمة النفسية محل العزيمة، والقوة، وتشتت شملهم وهجر بعضهم بعضا.

وهكذا كان عبدالعزيز قائداً قوياً، وسياسياً محنكاً وصابراً على الشدائدِ محتسبا، يستمد القوة والعزيمة من ربه، وكان يردد «ومن كان مع الله كان الله معه».

موقف المعادين لابن سعود :

سمع المعادون من حكام الخليج أنذاك وابن رشيد، أن العجمان يحاصرون ابن سعود في «الكوت» فقدموا لهم وأعانوهم وتم الحصار حتى نهاية شهر رمضان سنة ١٣٣٣هـ، غير أنه لم يكن حصار بمعناه.

وفي السابع والعشرين منه، وصلت الامدادات من الإمام عبدالرحمن الفيصل آل سعود، في الرياض إلى ابنه المظفر عبدالعزيز آل سعود في «الكوت» بالاحساء، وكانت القوات الممدّة بقيادة محمد بن عبدالرحمن شقيقه، وكان عدد هذه القوة ألفي مقاتل، وقد قام ابن سعود بعمل حرب الاستنزاف فيما بينه وبين العجمان منذ وصول المدد له، حتى الخامس عشر من ذي القعدة من تلك السنة.

وفي ليلة السادس عشر خرج عبدالعزيز بن سعود من الكوت بقواته، وعسكر في جبل «القارة» أنظر الخريطة رقم (١٩) ونصب المدفع في قمة الجبل وأخذ يقصف مواقع العجمان في «كنزان» فقتلهم ودمر معاقلهم.

مما اضطرهم إلى الرحيل وترك الاحساء لابن سعود، وكان مبارك بن صباح أمير الكويت أنذاك في كتب لهم وكان أحد الممدين لهم، ان عليكم أن ترحلوا الينا بالكويت، واستعد لايوائهم ومواساتهم فتعقبهم ابن سعود حتى أدخلهم الكويت.

خسائر العجمان :

العجمان خسروا خسارتين :

الأولى : ليلة حرب كنزان فقد أسفرت النتائج فيما بعد عن مقتل سبعة وثلاثين رجلاً.

الثانية : فقد قتل منهم من جراء القصف المدفعي أربعمائة وثلاثون رجلاً وجرح عدد كبير من الباقين.

مواقف ابن صباح :

أراد ابن صباح أن يكسب ابن سعود، وابن رشيد، والعجمان أصدقاء، فكتب لكل مسئول من الثلاثة يقول «أني معك قلباً وقالباً» وقد حدثني أحد الثقات ممن اطلع على رسالة ابن صباح في هذا الشأن فقال:

«رغب ابن صباح في كسب صداقة ابن سعود، وابن رشيد معاً، ولم يستطع معاداة أحدهما خوفاً منه مستقبلاً، فأرد أن يبرهن لهما أنه صديقاً فكتب إلى ابن سعود يقول: «أنني معك وسأحارب ابن رشيد بكل ما أوتيت من قوة»، وكتب إلى ابن رشيد يقول: «أنني معك وسأقف إلى جانبك ضد ابن سعود».

لكن أراد الله أن يكشف ستره، فقلب الرسائل عن طريق الخطأ، فأرسل رسالة ابن سعود إلى ابن رشيد، وأرسل رسالة ابن رشيد إلى ابن

سعود، فلما وصلت رسائله اليهما، فتح كل مظروفه واذا ما بالداخل يتناقض مع العنوان الخارجي فعرف كل منهما كيف يتعامل معه.

وقد طلبت من المتحدث ايضاح ردود الفعل من ابن رشيد فقال: «يابني مالك ومال ذلك، فقد أكل عليه الدهر، فقلت: أنني أريد ايضاح ذلك للأجيال القادمة وهذا تاريخ لابد من تدوينه فقال أما ابن رشيد :

«فقد ضحك ضحكة سخرية واستهزاء وأحرق الرسالة ولم يرد بشيء فيما أعلمه حتى مات»

اما ابن سعود: «فقد سألته في مجلسه بالمربع بالرياض سنة الأربع والأربعين» فقال: «نعم أتتنى ولكنى لم ألق لها بالا انما كانت مستندا على صاحبها عند الحاجة» قلت: وهل علم ابن صباح بالخطأ ومتى بعث بها؟ قال: «نعم علم من رسوله الذي أرسله لابن رشيد فأراد أن يسترضي ابن سعود فبعث بقوة بقيادة ابنه سالم، قوامها مائتا رجل وقد وصلت الاحساء بعد خروج العجمان، أما تاريخ الرسالة فأغلب ظنى أنها بمناسبة عيد الفطر لذلك العام والله أعلم» ا. هـ.

وقال: «أما سالم بن صباح فوصل ومعه مائتا رجل قائلاً لعبدالعزيز: أبى يبلغك السلام و يأسف لما حصل ويهنيك بالسلامة.... الخ».

فقال ابن سعود :

«ولكن لماذا لم تأت الينا إلا بعد أن انتهينا» وكان قد علم ابن سعود من قبل أن ابن صباح أرسل رسولاً إلى العجمان يطلب رحيلهم إليه في الكويت لايوائهم، فغضب ابن سعود من تصرفات ابن صباح».

فأمر ابن سعود على «سالم» أن يبقى بقوته تلك لحماية الأحساء ووضع عليهم شقيقه محمد بن عبدالرحمن آل سعود أميراً ثم خرج لمطاردة العجمان حتى أدخلهم الكويت.

أما العجمان فبينما هم في طريقهم إلى الكويت، أخذوا يسلبون وينهبون سكان البادية من قبيلتى بنى خالد والعوازم فبينما هم كذلك، اذ اعترضتهم القبيلتان فاقتتلتا معهم فكبدوا العجمان خسائر كبيرة في الأرواح وكان ممن قتل في تلك المعركة الأمير «فهد بن سعد بن سعود» الذي خرج عن طاعة ابن عمه عبدالعزيز ولجأ إلى العجمان.

وفر العجمان بعد ذلك إلى مُضَيفهم ابن صباح، فاستقبلهم وأواهم وواساهم وأكرمهم، واتفق معهم على بذل مايستطيع في كل مايصلح شأنهم.

علم عبدالعزيز ابن سعود بذلك فغضب كثيراً، وعلم أن ابن صباح متقلباً، ولكنه صبر على ذلك ولم يظهر له شيئا فنصره الله سبحانه وتعالى بأن توفى «ابن صباح» في بداية سنة ١٣٣٤هـ فرحل بخيره وشره، وأمره إلى الله.

أما ابن سعود فقد نعاه في رسالة بعث بها إلى ابنه «جابر بن مبارك» الذي خلفه في الامارة وكان الخليفه يرتبط مع ابن سعود بروابط أخوية صادقة منذ أن كان عبدالعزيز مقيما في الكويت قبل عام ١٣١٩هـ.

ومما قاله الفرج في معركة كنزان وصفه العجمان :

ويصف اختيار ابن سعود لجنده لتلك المعركة والزمن والمكان والنهاية للمعركة؟ فقال:

فانتقى من جموعه شجعانا   زمن الصيف يطلب العجمانا

فأنتحوا في الحساء عن مكانا   فأقتفاهم وقد أتوا كنزانا

في ظلال فكان ماقد كانا   كسروا جمعه وأن الحصانا

ليس يخلو من كبوة وعثار

وقال يصف العجمان و ينسبهم ويخبر برحيلهم ومنزلهم؟

قم تعرف معى إلى العجمان   هم قبيل ينمى إلى قحطان

رحل يقطنون في نجران   ثم جاءوا الاحساء منذ زمان

فأناخوا بعسفهم بجران   شبهوهم في العرب بالألمان

في اتحاد وقوة واقتدار

إلى قوله :

وغدوا في الحساء رسول خراب   هو ذا ابن سعود ليس يحابى

اذ يحاسبهم أدق حساب   أسلموه بالغدر يوم جراب

واغاروا على عريب الدار

وفي هذا التخميس نراه يصفهم بالخراب، وان ابن سعود جاءهم ليؤدبهم على فعلتهم الشنعاء في معركة جراب، عندما انسحبوا من المعركة، ونهبوا معسكر ابن سعود وهم من قواته.

وقعة الجهراء

تقديم :

قال الراوى : جاء أحد مشائخ قبيلة مطير الشمال ويدعى «هايف بن شقير» إلى السلطان عبدالعزيز آل سعود وطلب منه أن يأذن له في بناء هجرة ويغرس عدداً من النخيل على عين ماء لعرب مطير اسمها (قُرَيَّة) بضم أوله، فوافق السلطان عبدالعزيز على ذلك.

فقام هايف بن (شقير) في احياء تلك الأرض هو وعدد من جماعته وبعد عام من الاحياء قام سالم بن صباح، وبعث أحد أعيانه إلى هايف يقول له كف عن هذا العمل وأن ماء قرية هذا من أملاك الكويت والكويتيين وهى المعروفة حالياً بقرية العليا. انظر الخريطة رقم (٢١).

لكن (ابن شقير) رفض ذلك وأخذ يبنى ويحيى الأرض فأنذره سالما مرة ثانية، بأن ارسل له أحد رجاله يقول له: اذا لم تكف أخذناك ومن معك وأحرقنا مساكنكم وقطعنا ما غرستموه.

الموقف العام :

ابن شقير : استمر في بناء وزراعة الهجرة ولم يبال بابن صباح.

ابن صباح : يأمر بتجهيز كتيبة قوامها أربعمائة وعشرون مقاتلا وأمر عليها ابن عمه دعيج الصباح، وسار بها إلى موضع يعرف بـ(حَمَض) بالفتح، ثم أقام بها وبعث رسولاً إلى ابن شقير ها نحن وصلناك: اما تهدم ما بنيت، وتتخلى عنه مطلقا، واما نأتي نهدمه ونقضى عليك.

ابن شقير :

قال ابن شقير أمهلوني شهراً وسوف أعمل على ما ترغبون، لكن الأمر لابد من اقناع قومى بالتخلى عن ذلك بأساليب نحتاج إلى بعض الوقت.

ثم أرسل رسولاً إلى فيصل الدويش في الارطاوية يستنجده وارسل آخر إلى السلطان عبدالعزيز في الرياض يخبره بما حدث.

السلطان عبدالعزيز :

يأمر الدويش بتجهيز قوة والخروج بها إلى «قُريّة» للدفاع عن ابن شقير فقط.

الدويـــش :

جهز الدويش قوة قوامها سبعمائة مقاتل وخرج بهم إلى «قرية» حيث يقيم ابن شقير، فاستخبره عن ابن صباح فقال هو الآن في «حمض» وسيهاجمنا بعد يومين، فخرج الدويش يطلبهم.

سير المعركة :

خرج الدويش من «قرية» قاصداً الهجوم على ابن صباح في «حمض» وفي ليلة الثالث عشر من شهر شعبان عام ١٣٣٨هـ.

هجم الدويش على ابن صباح فقتلهم الدويش شر قتلة، لم يسبق لها مثيل.

الخســـــائر:

ابن صباح : قتـل مـن كـتيبته أربعمائة إلا واحدا وجرح احدى عشر ولم ينج إلا دعيج وعشرة آخرون.

الدويش : قتل من قوته سبعة وجرح خمسون وغنم الدويش كل ماتملكه قوة ابن صباح من أسلحة وذخائر ومؤن.

السلطان عبدالعزيز :

غضب ابـن سعود من هذا التصرف الذي قام به الدويش وكتب إليه يقول:

«قد تجاوزتم أوامري التي تنحصر في الدفاع عن ابن شقير فقط».

فأجاب الدويش :

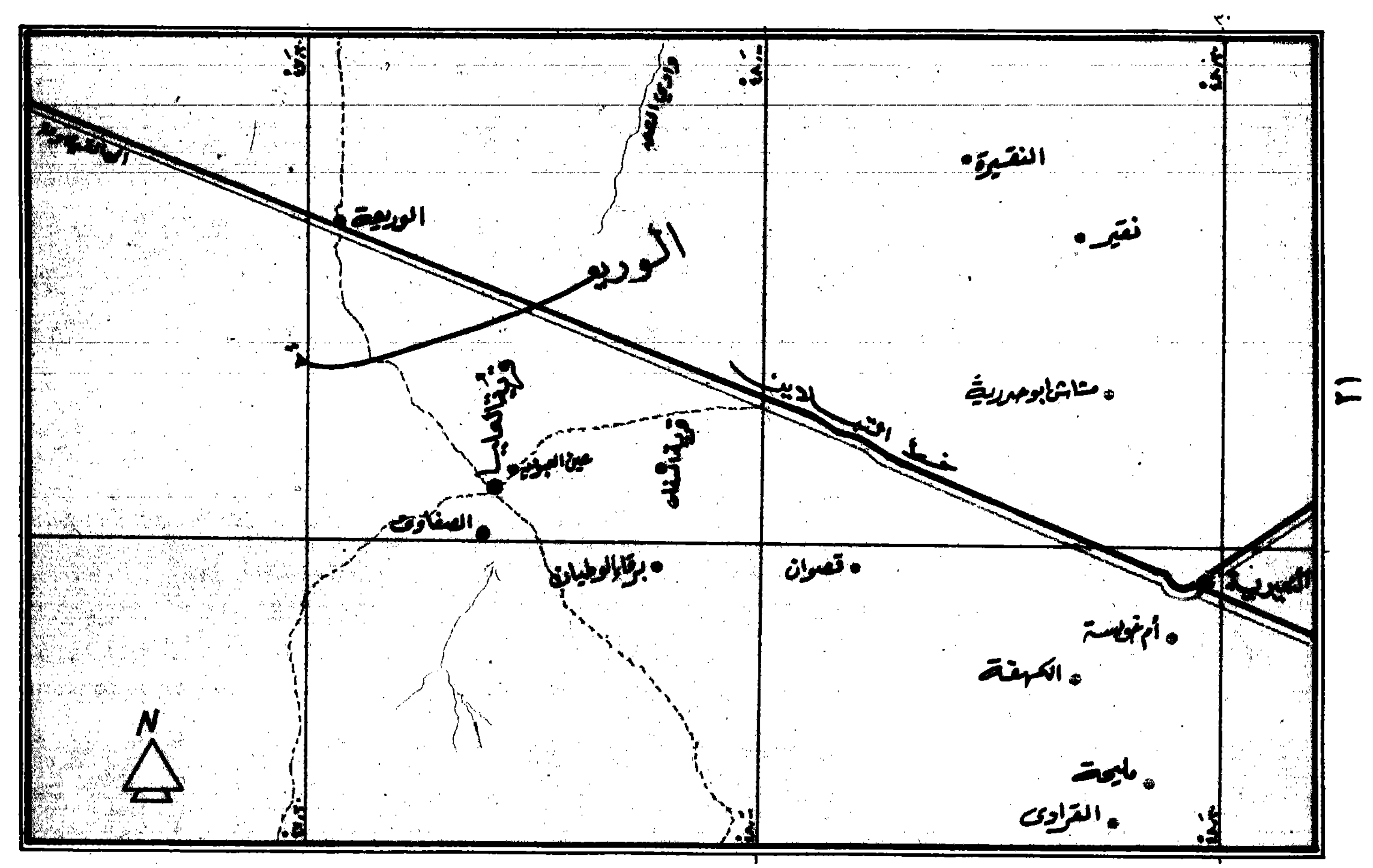
«أن الكـويتيين جاءوا صائلين يريدون مهاجمة (ابن شقير) وقد نزلوا في مكان يبعد ساعتين عن القرية».

السلطان عبدالعزيز :

أصدر السلطـان عبدالعزيز أمره على الدويش وابن شقير بجمع كل ما أخذوا من الكويتيين من خيل وركاب (يعنى الإبل) وسلاح ومؤن، وأثاث، ثم تـودع عـند قاضى الأرطاوية حتى يجيئهم أمر السلطان بنقلها واعادتها إلى الكويت.

ابن صباح :

جمع سالم الصبـاح كبـار قومـه واستشارهم في الأمر الحادث فقرروا:


N
النقيرة
نقير
الوريعة
الوريعة
خط التابلاين
قرية العليا
قصوان
الكهفة
مليحة
النعيرية

ارسال وفد مؤلف من: «عبدالعزيز بن حسن»، و«عبدالله الصميط»، يشرحان لابن سعود ماحدث من الدويش ويطلبون المفاوضة في القتلى واعادة المنهوبات.

السلطان عبدالعزيز والوفد :

وصل الوفد إلى ابن سعود في الرياض في يوم العشرين من رمضان سنة ١٣٣٨هـ، وعندما قابل الوفد السلطان عبدالعزيز، أوضح لهم ان اعتداء الدويش وهجومه لم يكن له فيه خبر.

بل أنه حاول منعه قبل وقوعه، بأن ارسل خادمه شويش بن ضويحي لمنع الدويش وابن شقير من مهاجمة ابن صباح، ولكن الهجوم قد حصل قبل وصول شويش إليهم.

أما فيما يختص بالغنائم التي أخذها الدويش والأسلحة فإنها سترد إلى أهلها، كما أبدى استعداده باجابة أخيه سالم الصباح إلى كل مطالبه، وعندما أراد الوفد العودة إلى الكويت بعث معهما ناصر بن سعود بن فرحان آل سعود يحمل خطابا إلى سالم ومما قال فيه:

«أن السبب الوحيد في هذا الحادث هو تدخلكم فيما لايعنيكم، واعلم أنه لاحق لكم في «قرية»، ولا في غيرها من ساحل الخليج العربي وانى أرى أن يقرر ذلك في عهد يعقد بيننا وبينكم فنرعاه.

أما اذا كان لآبائك وأجدادك حق على آبائي، فأنا معترف به» ثم سلم الكتاب إلى ناصر بن سعود، الذي رافق الوفد حتى سلم الخطاب إلى سالم الصباح في مجلسه العام، وكان ناصرا يقص على سالم خبر انتصار الأخوان في وقعة الشعيبة على ابن رشيد.

لكن ناصر آل سعود ماتم حديثه حتى وصل أحد رجال ابن رشيد يبشر ابن صباح وابن صباح يستبشره بانتصار ابن رشيد على ابن سعود في الشعيبة، وما ذاك في الصدق من شيء بل كله كذب وافتراء.

وقد شاهد ناصر آل سعود من اصغاء «سالم» إلى حديث رسول ابن رشيد وفرحته بانتصاره على ابن سعود، مما أثبت تقلبات ابن صباح والميل إلى ابن رشيد.

ناصر بن سعود :

قبل أن يستأذن ناصر و يعود إلى الر ياض حمله ابن صباح خطابا جاء فيه:

«أما طلبكم تنازلنا عن العشائر وأن لانخرج من الكو يت جيشاً مقاتلاً فهذا مع كونه اجحافاً بحقوقنا، ماكنا نتصوره منكم وهو مخل بشرفنا الذي كنا على يقين انكم أحرص منا عليه.

وأما مانهبه الدو يش فنحن لانعذركم من أدائه، وأنتم تعلمون أنه من المعتدين» .

ثم استأذن ناصر للرحيل، فأمر ابن صباح أن يرافقه رجلان هما:

«مبارك بن هيف»، «وهلال المطيرى»، فتوجهوا من الكو يت في آخر شوال.

ووصلوا إلى السلطان عبدالعز يز وسلمه ناصر آل سعود خطاب ابن صباح وهمس لعبدالعز يز في أذنه بما دار بين ابن صباح ورسول ابن رشيد من البشرى حول الانتصار المكذوب في (الشعيبة)، وهى معركة الأشعلي» .

السلطان عبدالعزيز :

غضب السلطان عبدالعزيز على سالم بن صباح باسباب تصرفاته تلك.

فرد الوفد الكويتى بدون جواب، لاشفهيا، ولاتحريريا.

ابن صباح :

لما عاد إليه وفده بدون جواب خاف من ابن سعود، فقدم ابن صباح احتجاجا إلى المندوب البريطانى في الكويت والعراق، على أعمال ابن سعود تلك.

الانجليز :

أجاب الانجليز ابن صباح بأنهم سيبعثون مندوبين من قبلهم لرسم الحدود بين الكويت ونجد، لكن الأمر يتطلب شروطاً:

أولها : أن يكف ابن صباح عن التعدي والاعتداء على ابن سعود ورعاياه.

ثانياً : أن يوافق الطرفان على لجنة التحكيم.

ثالثاً : أن يقدم ابن صباح للانجليز المواد المطلوب بحثها.

ابن صباح :

قبل الشروط، وقدم المواد التي يريد بحثها مع ابن سعود وما يريد منها، وما لايريد، إلا أن المواد التي قدم كان بعضها غير منطقى.

فقام الانجليز ببعض التعديل اليسير غير أن ذلك كان له أثره الكبير في نفس ابن صباح، فرفض تدخل الانجليز وطلب منهم عدم التدخل.

الموقف العام :

ابن صباح : قام ببناء سور يحيط بمدينة الكويت، كما طلب من ابن رشيد امداده بقوات لحرب ابن سعود.

ابن رشيد : يلبي طلب ابن صباح فأرسل له قوة قوامها ألف ومائتا مقاتل برئاسة »ضارى بن طواله« رئيس عشيرة آل أسلم من قبيلة شمر وكان يومئذ في أطراف العراق.

ابن طوالة :

زحف ابن طوالة إلى الجهراء فنزل بقواته على دعيج ابن صباح الذي كان مرابطا فيها ينتظر قدوم قوات ابن رشيد، وقاما على الفور بتأسيس تدريبات قتالية يومية لأفرادهما.

السلطان عبدالعزيز :

علم ابن سعود بامدادات ابن رشيد وحشد القوتان في الجهراء كما علم بخط سير الحملة والهجوم، وكان السلطان عبدالعزيز يومئذ في الأحساء فاجتمع مع «السيربرسى كوكس» في العقير، لابرام بعض الاتفاقيات بين حكومة نجد والعراق حول الحدود بينهما.

فأرسل السلطان رسولاً يحمل أمره إلى الدويش في الارطاوية يأمره بنجدة اخوانه هايف بن شقير وجماعته.

الدويش :

خرج زاحفا في قوات قوامها أربعة آلاف مقاتل وسار حتى نزل الصبيحية.

سير المعركة :

خرج سالم ابن صباح من الكويت إلى الجهراء في قوات قوامها ألف وثمانمائة مقاتل، فاجتمع بدعيج وضار بن طواله في الجهراء وكانا قد اختلفا على قيادة القوات من قبل.

فقاد ابن صباح بنفسه القوات جميعها والبالغة سبعة آلاف ومائة مقاتل، وأراد الهجوم على القوات السعودية في الصبيحية لكن أخباره كلها أتت إلى الدويش، فزحف هو الآخر من الصبيحية يريد الهجوم على الجميع في الجهراء قبل التحرك.

وفي صباح يوم ٢٦/ محرم/ سنة ١٣٣٩هـ وهو اليوم الذي أراد فيه ابن صباح الخروج من الجهراء، وبينما الجميع في ساعة التحرك والاستعداد اذ القوات السعودية تهاجمهم، فاشتبك الطرفان في معركة ضارية للغاية سقط فيها مئات القتلى، ومئات الجرحى من الطرفين.

الخســـائر :

ابن صباح : قتل من قواته ثلاثمائة وواحد وعشرون، وجرح مائة وسبعون جريحاً.

القوات السعودية : قتل أربعمائة وثمانية وثمانون قتيلا، وجرح تسعون آخرون.

النهـايـــة :

لاذ بالفرار ضارى بن طواله، ومن بقى معه من عشيرته إلى العراق. أما ابن صباح فقد اعتصم بقصره الواقع في شرق الجهراء ومعه باقي جنوده.

فقام الدويش بمحاصرتهم في القصر مدة يومين بلا أكل ولا شرب فأرسل ابن صباح إلى الدويش يطلب المفاوضة.

فأرسل الدو يش رجلين هما :

الشيخ «عثمان بن سليمان»، والثاني «منديل بن غنيمان»، وكانا يحملان شروطاً للصلح.

اما ابن صباح : فطلب من بر يطانيا حمايتها على الكويت، فوافقت بر يطانيا.

أما الدويش : الذي لايزال ينتظر الجواب فقد نفذ صبره، فأرسل وفدا آخر إلى سالم يطلب مقابلته.

لكن سالما تمارض ولم يقابله، فكتب الدو يش إلى ابن صباح كتابا هذا نصه:

«من فيصل بن سلطان الدو يش إلى سالم المبارك الصباح سلمنا الله وإياه من الكذب والبهتان، وأجار المسلمين يوم الفزع الأكبر من الخزي والخذلان، أما بعد:

فمن يوم جاءنا الشيخ عثمان بن سليمان يقول: أنك عاهدته على الإسلام والمتابعة لا لمجرد الدعوى والانتساب، كففنا عن قصرك بعد ماخرب وأمرنا برد جيش ابن سعود على أمل أن ندرك المقصود، فلما علمنا أنك خدعتنا، آمنا بالله وتوكلنا عليه.

يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال:

(من خدعنا بالله انخدعنا له)، فنحن ببض وجوهنا، نرجوا الله يهديك، وألا يسلطنا عليك. «اياه نعبد واياه نستعين»[١].

---

(١) انظر تذكرة أولى النهى والعرفان ج٢/٢٧٤.

ثم رحل الدويش إلى الصبيحية ومن الصباح الباكر جاءت الطائرات البريطانية في العراق وحلقت في سماء الصبيحية على معسكرات الدويش وألقت عليها منشورا، انذاريا هذا نصه:

«إلى فيصل الدويش وجميع الأخوان الذين معه، ليكن معلوما لديكم بأنه طالما أفعالكم ضيقت على البادية وحتى على الجهراء، وبما أن الحكومة البريطانية لم تزل تعمل أكثر مما هى عادتها، تسعى بحسب الصداقة وراء الاصلاح. وأما الآن فما دام أنتم تهددون ليس فقط ضد حقوق سعادة شيخ الكويت التي تخالف تأميناتها له فحسب بل ضد مصالح بريطانيا العظمى وسلامة رعاياها البريطانيين، ولا يمكن بعد الحكومة البريطانية أن تقف جانبا مكتوفة الايدى دون تدخل في المسألة، ثم أن التأمينات التي نطق بها من مدة قصيرة، سعادة الشيخ عبدالعزيزالفيصل آل سعود، إلى فخامة السير برسى كوكس المندوب السامى في العراق، تثق الحكومة البريطانية أن أفعالكم هى بعكس أوامر الأمير المشار إليه، ولاشك أن سعادته سينبهكم عندما يعلم بأفعالكم، فبناء عليه لهذا ننبهكم بأن اذا تجرؤون أن تهجموا على الكويت فحينئذ تحسبون مجرمين بالحرب ليس عند سعادة شيخ الكويت فحسب، بل عند الحكومة البريطانية أيضاً، فالحكومة البريطانية لم تعتبر ذلك بل ستقابل هذه الأفعال العدائية بواسطة القوة التي تفكر فيها، هذا مالزم اعلامكم به، تاريخ ١٧ صفر عام ١٣٣٩هـ، التوقيع (ميجر، ج، مور) الوكيل السياسى للدولة البريطانية في الكويت.

فما كان بعد ذلك إلا أن قرر الدويش الرحيل والعودة إلى وطنه.

ولم يدم سالما إلا أياما قليلة، فقد توفي في يوم السابع عشر من جمادى الآخر سنة ١٣٣٩هـ.

فانتخب أهل الكويت الشيخ: أحمد الجابر الصباح خلفاً لعمه، فحسنت العلاقات بينه وبين ابن سعود، بحسن سياسته وخلقه.

وبمناسبة وقعة الجهراء المتقدمة قال الشاعر محمد بن عثيمين هذه الأبيات:

بين العلى والقنا والمشرفي نسب
وصدق عزم الفتى في ذلك السبب

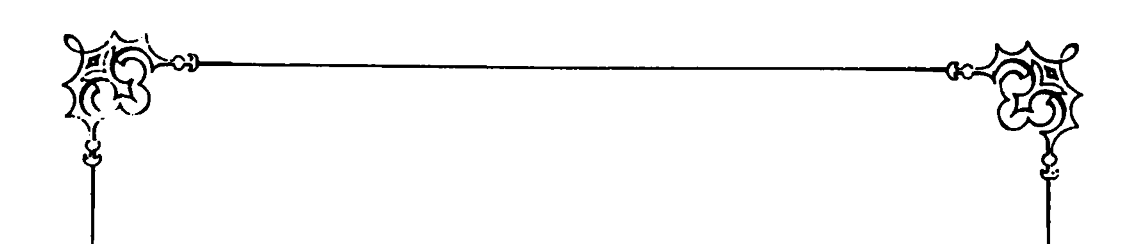
لايبلغ المجد إلا من تكون له
نفس تتوق إلى ما دونه الشبب

جودا وبأسا وعفوا عند مقدرة
وخفض جأش اذا ما اشتدت النوب

وجحفلا تستخف الأرض وطأته
تخر للخيل فيه الأكم والحدب

لله سعي إمام المسلمين فقد
حوى الخصال التي تسمو بها الرتب

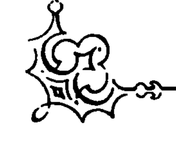
عبدالعزيز الذي لم تبد طالعه
شمس على مثله يوما ولم تجب



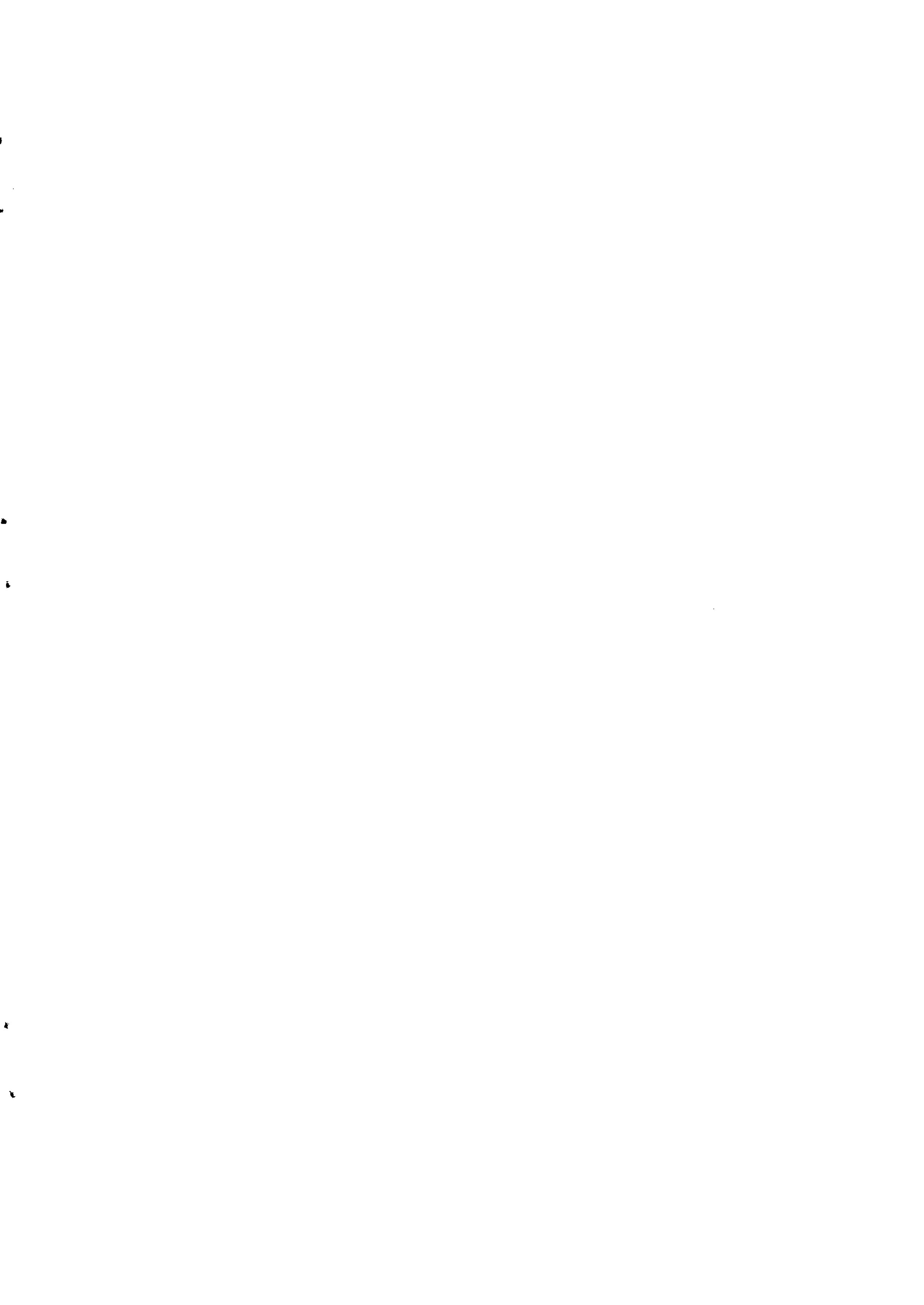
الباب الرابع

حائل

معركة الأشعلي - فتح حائل







الأشعلي

التعريـــف :

بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة بعد لام فياء:

وهو : نفود من الرمال المتحركة يمتد من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربي و ينتهى في الجنوب الشرقى من صحراء النفود.

المـوقـــع :

يقع نفود الأشعلى في الشمال الشرقى من منطقة حائل وموقع المعركة منه تقع في تقاطع خطى الطول ٥٧/ ٤٢° شرقا والعرض ٥٦/ ٢٧° شمالاً.

أقرب المدن إليه :

أقرب مدينة للأشعلى : هى بقعاء اللويمى وتبعد عنه إلى الغرب بـ(٥٥) كيلا.

أما اذا كان خط سيرنا من الأشعلى عن بقعاء اللويمي بواسطة طريق السيارات الذي يعبر من قاع هو بان فالعبيل فمشاس ثو ينى فشعيب حو يرات ثم عن طريق قرية (المياه) فإن طول الطريق يكون ٨٥ كيلا، واذا سلكنا الطريق السابق ذكره حتى شعيب حو يرات ثم اتجهنا إلى الشمال الشرقى فإن الطريق يكون (٧٤) كيلا.

المنـاخ :

مناخ الأشعلى صحراوى شديد الحرارة صيفاً شديد البروده شتاء، وقد

بلغت درجة الحرارة في الأشعلى سنة ١٤٠٢هـ (٤٧°) درجة مئوية وبلغت درجة البرودة فيه سنة ١٤٠٤هـ (٣) تحت الصفر.

الارتفـاع :

ترتفع نفوذ الأشعلي عن سطح البحر بـ(٧٤٦) مترا.

الأمطـار :

بلغ المتوسط السنوى لسقوط الأمطار في منطقة الأشعلى سنة ١٤٠٤هـ (٨٩٫٧)مم.

التضاريـس :

تضاريس الأشعلي نفود رملية يليها من الشمال الشرقى عريق الخيل فأرض صحراوية، ويلى الأشعلى من الغرب نفود رملى اسمه عرق حداجه ثم جبال الشعيبه وهما نفودان رمليان ثم يليها من الجنوب الغربي ثلاث واحات زراعية بها النخل وبعض المزروعات وهي:

الغميسة : بضم الغين المعجمة وفتح الميم وسكون المثناة التحتيه بعدها سين مهملة فهاء، وهذه الواحة شماليه الواحات الأخرى.

الشريهية : بضم الشين المعجمه وفتح الراء المهملة وسكون المثناة التحتيه الأولى وكسر الهاء بعدها ياء فهاء وهي الواحة الوسطى.

الميـاه : جمع الماء : اسم علم للواحة الثالثة الجنوبية.

الحـــدود :

يحد الأشعلى من الشمال شامة (الأكباد) وعرق (لزام) وهى طعوس (تربه)، ومن الجنوب رمال عرق (الابيتر)، وخب الحسك وشعيب (خو يرات) فوادى (خو يرات).

ومن الشرق قرى : (الهاشمة)، (والوسيط)، (وزرود) ومن الغرب واحات المياه فالشريهية والغميسه وعرق الشعيبه.

معركة الاشعلي

تقـــديم :

خرج ابـن رشيد من حائل وأغار على بعض بطون قبيلة مطيرى التابعين لابن سعود، والمقيمين فيما بين العليا والسعيرة ومنطقة التيسيه.

فأخـذ ابلـهـم وأغنـامـهـم وعـاد يـريد حائلا، فنزل الشعيبة حيث الماء والمراعى.

وصلـت الأخـبـار إلى ابن سعود من مطير الذين طلبوا منه النجده فخرج مـسرعا يطلب ابن رشيد وعلم أنه في منطقة الشعيبة، فسار إليه هناك، انظر الخريطة رقم(٢٢).

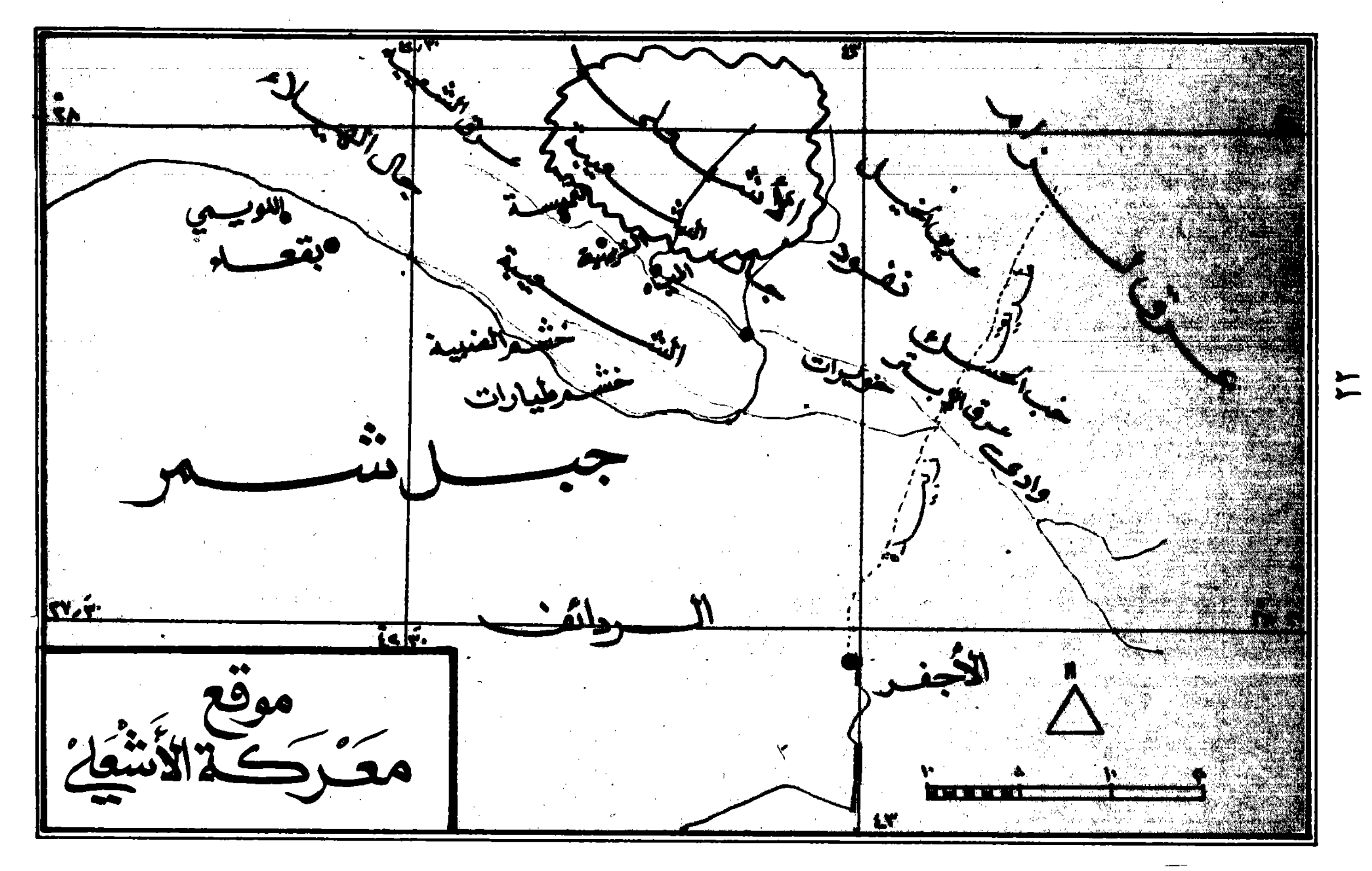
الموقـــف العـــام :

السلطان عبدالعزيز :

وصـل ابـن سـعـود إلى الشعيبه فوجد ابن رشيد قد رحل إلى جهة حائل فـتـبـعـه ابـن سـعـود فلم يجده، غير أنه وجد بعض قبائل حرب التابعين لابن رشـيـد، والمقيمون في شمال بقعاء اللويمي، والذين قاوموا ابن سعود، فاشتبك مـعـهـم ممـا أدى إلى أن ابن سعود أخذ أموالهم وفعل بهم كما فعل ابن رشيد بمطير، ثم سار حتى نزل الشعيبة كأنه يريد العوده إلى القصيم.

الأمير ابن رشيد :

عـلـم ابـن رشـيد بما حدث بين حرب وابن سعود، فجمع ابن رشيد قواته وسار إلى ابن سعود في الشعيبة.


موقع
معركة الأشيعلي
جبل شمر
الروائف
الأجفر
بقعاء
اللويمي
خشم الضنية
خشم طيارات
نفود

السلطان عبدالعزيز :

علم ابن سعود بقدوم ابن رشيد إليه في الشعيبة فاستعد له.

سير المعركة :

السلطان عبدالعزيز :

قام ابن سعود فأمر قواته بنصب عدد من الخيم في الجنوب الغربي من نفود الأشعلى وفي مكان يعرف بـ(جال الشعيبة).

كما أمر ابن سعود بأن تترك الابل التي غنمها من قبائل حرب قبل ذلك مفلوته وألا تعقل حتى اذا ماهجمت قوات ابن رشيد عليها لتغنمها تولى شاردة فتشغل قوات ابن رشيد وتقوم قوات ابن سعود بتنفيذ ضربة قاضية في قوات ابن رشيد.

وأمر قواته بالرحيل والاختفاء في نفود الأشعلى حتى يتم هجوم قوات ابن رشيد على الخيم الخالية واذا أفرغت ذخائرها تهجم قوات ابن سعود على قوات ابن رشيد.

الأمير ابن رشيد :

بات ابن رشيد في عرق الشعيبة وعندما انتصف الليل أتى هاجما على الخيم السعودية الخالية والابل المفلوته.

وصبت قوات ابن رشيد رصاصها على الخيم ظنا منها أن قوات ابن سعود نائمة بداخلها، وفرت الابل هاربه فلحقتها بوادى شمر لتغنمها فأشغلتهم عن القتال وتشتتوا ورائها أشتاتا.

أما قوات ابن سعود فإنه عندما تبين لها خيوط الفجر هجمت على قوات ابن رشيد فسددت لها الضربات القاضية فقتلت القوات بالبنادق والسيوف وهزمتهم شر هزيمة وقتلتهم شر قتله، وغنمت كل ما معهم من أموال وأسلحة وحلال وفر الباقون هاربين إلى منطقة الشعيبة وبقعاء.

الخسائر :

قوات ابن سعود :

قتل منهم أحد عشر شخصاً، وجرح تسعة عشر آخرون.

قوات ابن رشيد :

قتل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وجرح سبعون آخرون.

النهاية :

هدنه باتت مهددة بالضيق والشدة سببها قلة الأمطار، والجفاف الذي أصاب البادية ذلك العام ١٣٣٧هـ.

عاد ابن سعود إلى بريدة، ومنها إلى الرياض، وعاد ابن رشيد إلى حائل.

حـائل

التعريف الجغرافي :

حـائل بفتح الحاء المهملة فألف فالهمزة المكسورة فلام: مدينة، هى قاعدة المنطقة الشمالية وهى منطقة ومدينة، فالمنطقة قديمة العهد ورد ذكرها في كتب المتقدمين، ذكرها ياقوت في معجمه[1] : قال الكليبى:

«حائل واد في جبل طيء، وقال امرؤ القيس:

أنت أجأُ أن تُسلم العامَ جارهَا   فمن شاء فلينهض لها من مُقاتل

تبيتُ لَبوُني بالقُرَيَّة أُمَّنَا   وأسرحُها غِبّاً بأكناف حائل»

وقال البكرى في معجمه[2] :

«وحائل بطن بالقرب من أجأ هو الذي أراده امرؤ القيس بقوله:

تَصَيَّفَها حتى إذا لم يَسُغ لها   حَلِيٌّ بأعْلى حَائِلٍ وَقَصِيصُ»

وذكرها الهمدانى في مواضع متعددة من كتابه صفة جزيرة العرب، ولكن من جملة ذكره للبلدان دون تفصيل أو تحديد.

وقال الهجرى :

«حائل واد يفلق بين الرمل وأجأ، ليس ثَمّ واد غيره»[3] هـ.

---

(١) ج٢/ ٢١٠.
(٢) ج٢/ ٤١٥.
(٣) ص ١٨٣.

فقلت: وأما المدينة فهى المعروفة حالياً وبها من الآثار التاريخية القديمة الشيء الكثير الذي ليس هنا موضع ذكره وحصره.

الموقع الجغرافي :

تقع مدينة حائل في شمال منطقة القصيم وتبعد عنها بـ(٣٠٣) أكيال، وهى عند تقاطع خطى الطول ٤٤/ ٤١° شرقاً، والعرض ٣١/ ٢٧ شمالاً.

المنـــــاخ :

مناخ حائل قسمين :

قسم جبلى : ويتمثل في جبال اجأ وسلمى وهو معتدل صيفاً فتكون درجات الحرارة من ٢٥ ــ ٣٠ درجة مئوية والبرودة وتبلغ درجاتها من ١٢ ــ ٨ درجة مئوية.

وقسم سهلى صحراوى : وهو حار نسبياً فتكون درجات الحرارة ٣٦ ــ ٤٠° درجة مئوية وبارد شتاء فتبلغ درجات البرودة من ٩ ــ ٤ درجات مئوية.

الأمطـــــار :

يبلغ المعدل المتوسط السنوى لهطول الامطار في منطقة حائل مابين (١١٣٫٧ ــ ١٧٥٫٩)مـم، وقد بلغ يوم رحلتى لحائل سنة ١٤٠٢هـ (٢١١٫٥)مم.

الارتفـــاع :

لمنطقة حائل ارتفاعين :

ارتفاع جبلي، يبلغ ارتفاع أعلى قمة في جبال أجأ عن سطح البحر بـ(١٤١٤) متر و يكون ذلك في شمال الجبل نحو «جبال منشار». وارتفاع مدينة حائل (٩٩٥) مترا في الموضع الذي كان فيه قصر (برزان).

تضاريس مدينة حائل :

تقع المدينة على أرض منبسطة يحدها من الشرق السمراء الشرقية وهى جبل متوسط الارتفاع يبلغ ارتفاع أعلى قمة فيه (١٢٠٩) أمتار عن سطح البحر، وتمتد السمراء من الشمال إلى الجنوب، كما يحد مدينة حائل من الشمال «السمراء» الشمالية وترتفع عن سطح البحر أعلى قممها بـ(١١١٣) مترا، و يليها تل «المزعبر» و يرتفع أيضاً بـ(١١٠٩) أمتار، ومن الجنوب أرض منبسطة يتخللها بعض الأوديةوالشعاب.

وغرب حائل جبال «اجأ» وقد تقدم ذكر ارتفاعها.

ويمتد سهل حائل من الشمال إلى الجنوب.

قال ابن نهير : وقد بنا مدينة حائل الحالية أحد اقسام قبيلة شمر الكبرى[1] ، و يعرفون باسم شمر (عبده)[2] بفتح العين وسكون الموحدة التحتية وفتح الدال..

و يرجع اصلهم ونسبهم إلى عبيدة أهل سراة عبيدة من قبيلة قحطان إلى

---

(١) شمر بن عبد جذيمة بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طى بن أدد من بنى زيد بن كهلان وهم الذين ذكرهم امرؤ القيس فقال: وهل أنا لاق حي قيس بن شمرا: اللباب ج٢/ ٢٠٨.

(٢) من بنى عبدالله الحارث بن حرب من وادعه و يقال لهم عبد وادعه من قحطان: الأكليل للهمدانى ج ٨٤/١٠.

الجنوب من خميس مشيط بـ(٧٥) كيلا، وأول من بنى سور مدينة حائل هو الأمير زامل السبهان سنة ١٣١٥هـ ووضع له أربعة أبواب الأول في الجنوب نحو طريق (قفار) والثاني في الغرب تجاه وادى (عقدة) والثالث في الشمال يقابل قرية (العرقيد)، والرابع إلى الشرق نحو (بقعا).

ومن أراد أن يقرأ عن حائل فلينظر إلى كتاب الشيخ حمد الجاسر شمال المملكة، وسيجد فيه ما يثلج صدره.

النيصيه :

بكسر النون المشددة وسكون المثناة التحية، وكسر الصاد المهملة وفتح المثناة الثانية المشددة بعدها ها.

احدى قرى حائل وتقع منه إلى الشمال وتبعد بـ(١٠) أكيال وبها المزارع والنخيل يقع في شمالها الشرقى تلال (النيصية) وهى تلال صخرية وفيها دارت المعركة بين القوات السعودية وقوات ابن رشيد ويقع غرب النيصية قرية (اللعيطة).

ياطِـــــــبَ :

بكسر الطاء المهملة :

هو واد يقع إلى الشرق من مدينة (حائل) وعلى بعد (٢٣) كيلا وتنحدر سيوله من السمراء الجنوبية وما جاورهما.

يقع في شرقه تلال صخرية كثيرة بها الكهوف الكثيرة والكبيرة وبها نقوش وآثار قديمة، ويقع في جانب الوادى الغربي بئر صغيره اسمها (ياطب) يبلغ قطر فتحتها مترين ونصف المتر وعمقها ثلاثة أمتار ونصف أيضاً.

وهي مبنية من الحجارة بشكل دائرى، ووادى (ياطب) من موارد شمر الرئيسة، وقد ذكره ياقوت في معجم البلدان فقال :

«ياطب : علم مرتجل لمياه في أجا، وقد قال فيها بعض الشعراء:

فواكبدينا كلما التحت لوحة على شربة من ماء أحواض ياطب[1] »اهـ

وقد بسط الكلام على ياطب شيخنا العلامة حمد الجاسر في معجمه شمال المملكة[2] .

الجِثَامِيَّة :

بكسر الجيم وفتح الثاء المثلثه وكسر الميم وفتح المثناة التحتية مشددة:

قرية من قرى (حائل) تقع إلى الشمال الشرقى من قرية (النَّيْصِيَّة) وتبعد عنها بـ(٨٫٥) ثمانية أكيال ونصف، وتبعد عن (حائل) بـ(١٩) كيلا.

---

(١) ج٥/ ٤٢٥.

(٢) ج٣/ ١٣٩٩.

فتح حائل

بين يدى الفتح :

أخذت حكومة حائل في الانهيار، وفقدت نفوذها، وأصبحت تسير إلى الوراء يوماً بعد يوم بخطوات ملموسة وسريعة.

فتدارك ذلك (سعود بن عبدالعزيز بن متعب بن رشيد) وتولى شؤونها ظنا منه أنه خير ممن قبله إلا أنه لم يستطع أن يخرج حكومته من محنتها، لجهله بالأمور السياسية وصغر سنه.

فقام أخواله (آل السبهان) بإدارة شؤونها فترة بسيطة، ثم تولى هو بعد ذلك، فما زادها إلا وهنا على وهن، مما اضطره إلى مصالحة ابن سعود.

ولما كانت مصالحته هذه لا ترضى عمه عبدالله بن طلال فإنه قام بقتل سعود سنة ١٣٣٨هـ.

وفكر باعتلاء عرش آل ابن رشيد، فقتل هو أيضاً ومثل ماتدين تدان، وكان قاتله عبد من عبيد سعود.

فجاء عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز بن رشيد واعتلى عرش أسرته سنة ١٣٣٨هـ، وتحالف مع الشريف الحسين بن علي، على محاربة خصمهما الذي أصبح يهدد عرشيهما، انه سلطان نجد وملحقاته عبدالعزيز بن سعود.

واستعد شريف مكة بتقديم كل مايستطيع لابن رشيد الجديد، من أسلحة وأموال وغير ذلك.

علم سلطان نجد فكتب إلى ابن رشيد وبعث إليه ممثلين، بحلول كلها في صالح ابن رشيد منها :

١ ــ بقاء آل ابن رشيد في حكمهم ٢ ــ استقلالهم التام

٣ ــ عدم التعامل مع أية دولة أجنبية.

٤ ــ الرجوع إلى سلطان نجد فيما يتعلق بالشئون الخارجية.

٥ ــ تعهد من حكومة الرياض بالدفاع عن حكومة حائل، إذا هُدِدَت أو حاول أحد الاعتداء عليها.

لكن الله تبارك وتعالى لم يرد ذلك لآل ابن رشيد، لان حكمهم كما هو معروف مبنى على الدنيا ومخالفة للشرع، فلم يكن الله لينصر من يخالفه، فرفضوا ذلك قطعيا وتحدوا ابن سعود.

الموقف العــــــام :

موقف ابن سعود :

بعد أن وصل إليه الجواب القاسى من آل ابن رشيد، وعلم بالامدادات التي حشدت لهم من الشريف.

أصدر أوامره بتشكيل قوات قوامها عشرة آلاف مقاتل، وزحف بها يريد احتلال حائل، فلما وصل إلى موضع يقال له (العَك)[1] خيم فيه لمدة عشرة أيام من ١٣٣٩/٨/١٥هـ إلى ١٣٣٩/٨/٢٥هـ ثم رحل ونزل بريدة عاصمة القصيم، واتخذ منها قاعدة عامة له.

(١) قال أحد الرواة انها ارض صحراوية شمال بريده وعلى مسيرة يومين. قلت: ولم اقف على ذلك الموضع في كتب المعاجم التي بين ايدينا ولم اجد من يحدده.

موقف ابن رشيد :

علم بدخول ابن سعود القصيم وعلم أنه قادم إلى حائل.

فاستنفر قبائل شمر حاضرةً وباديةً، وتأهب للدفاع، وتلقى المدد من الأتراك ضد ابن سعود، وأخذ يحسن علاقته مع ابن صباح أمير الكويت، ومع الحسين بن علي.

كل ذلك للوقوف في وجه ابن سعود، وقد تلقى المساعدات من الحكام المذكورين، فقد جمعوا له في حائل قوة قوامها ثمانية آلاف مقاتل واستعد هو لمنازلة ابن سعود.

موقف ابن سعود :

قام باعداد خطة كبرى لاحتلال حائل، فقسم قواته إلى أربعة أقسام رئيسة :

الأول : بقيادة ابنه سعود بن عبدالعزيز ومهمته، الهجوم على قبائل شمر من الشمال.

الثاني : بقيادة أخية محمد بن عبدالرحمن، ومهمته حصار حائل والاستيلاء عليها ان أمكنه ذلك.

الثالث : بقيادة ابنه فيصل بن عبدالعزيز، ومهمته الهجوم على حائل من الجهة الغربية.

الرابع : بقيادة فيصل الدويش ومهمته احتلال وادى ياطب الواقع في الجنوب الشرقى من حائل، والسيطرة عليه وصد أى قوات تريد الماء منه، كما أن عليه مساعدة قوات ابن سعود الزاحفة إلى حائل عندما يطلب منه ذلك.

وبقي ابن سعود في بريدة ومعه الامدادات المركزية، وهو على اتصال دائم بقواته الزاحفة، وصلت قوات ابن سعود إلى حائل وأخذ كل قسم مواقعه حسب الخطة المرسومة له، وسعى إلى مهمته المكلف بها.

موقف الأمير محمد بن عبدالرحمن وفيصل بن عبدالعزيز:

وهما قائدا الفرقتين الثانية والثالثة، ومهمتهما حصار حائل والهجوم عليه، وقد شرعا في حصار المدينة، وفرضا عليها حصارا شديدا فلا يدخلها أحد، ولا يخرج منها أحد، وانقطعت عنها الأرزاق وضاق بالسكان ذرعا طول الحصار، وكان عبدالله بن رشيد قد تحصن في قصره (بَرْزَان)، وكان أشد من السكان ضيقاً وكرباً لكن لاحيلة له.

وفي احدى الليالي تسلل تحت جنح الظلام، محمد بن طلال ابن رشيد، ودخل وكان قد بعثه عبدالله بن رشيد، على رأس قوة لصد نوري الشعلان الذي أراد احتلال الجوف، ولكنه بعد أن قام بمهمته تلك، دبر وهو في طريقه عائدا إلى حائل ثورة، على عبدالله ووصلت أخباره وأخبار ثورته، إلى عبدالله قبل وصوله هو فما كان من عبدالله إلا أن أخذ حذره منه وعلم أن أسرة آل رشيد كلهم مع محمد بن طلال، لذلك فإنه عندما دخل ابن طلال حائل، خرج عبدالله وسلم نفسه إلى الأمير سعود بن عبدالعزيز قائد الفرقة الأولى، والمكلفة باخضاع قبائل شمر في الشمال.

فاستقبله سعود وأكرمه، ثم بعثه إلى والده السلطان عبدالعزيز ابن سعود، فأكرمه وأحسن إليه ومكث عنده حتى مات، بعد خمس وعشرين سنة من استسلامه، وكان موضع عناية وكرم ابن سعود كما هي عادته.

موقف محمد بن طلال :

دخل حائل وقام يجوبها بحثاً عن عبدالله فلم يجده، بل علم أنه سلم نفسه لابن سعود، فقام ونصب نفسه أميرا على حائل وتولى أسرة آل رشيد بالقوة، وأخذ في مقاومة ابن سعود بكل قواه.

ولما رأى حائل ستستسلم لابن سعود وأدرك أن الأمر بات في أشد مايكون، فالسكان قد نزل بهم الجوع والخوف والضيق، و يرغبون في الخروج مما هم فيه من كرب بأى وسيلة حتى ولو كان بالاستسلام.

قام محمد بن طلال وكتب إلى مفوض الدولة البريطانية، في العراق يطلب منه الوساطة بينه و بين ابن سعود.

موقف الأمير سعود بن عبدالعزيز:

لقد قام وهو قائد الفرقة الأولى باخضاع القبائل المجاورة لحائل في الشمال والموالية لابن رشيد، واستطاع أن يستسلم أغلب أفرادها وفر من لم يقدر عليه إلى خارج المنطقة، وقد نجح في مهمته.

موقف السلطان عبدالعزيز ابن سعود :

علم أن السكان يرغبون في الاستسلام، وأنهم قد وقعوا ضحية هذا الحصار، وأنه لاذنب لهم وأن محمد بن طلال، كتب يستعين و يطلب الوساطة، من المفوض البريطاني في العراق.

فأراد السلطان ابن سعود، أن يشاهد كل هذه الأمور على الطبيعة، و يقف في نحر أى وساطة أو أعوان لابن طلال وغيره من حائل.

فخرج بجنده من بريدة، واتجه إلى شرق حائل ونزل في بلدة (بَقْعَاء)، وتعرف(بَبقْعَاء اللّوَيْمّي) وتبعد عن مدينة حائل إلى الشرق بـ(٩٠) كيلا، وكان وصوله إليها يوم الرابع والعشرين من شهر ذو الحجة عام ١٣٣٩هـ، وبعد أن علم أخبار قواته المنتشرة والمحاصره وغيرها كتب رسالتين:

الأولى : إلى أخيه محمد قائد الفرقة الثانية يقول له (أن أرفع الحصار عن شمال مدينة حائل، بطريقة غير ملفته للنظر وكأنك آمنت أنه لن يخرج منها أحد متجاهلا الوضع أمام الناس ومراقبا لكل مايحدث بدقة).

الثانية : إلى الدويش قائد الفرقة الرابعة، والمرابطة في وادى ياطب وأمره بالتحرك نحو الشمال الشرقي من حائل حيث قريتي (النيصية) و(الجثمامية) وغيرهم، ومراقبة ماسيحدث في (النيصية).

وكان السلطان عبدالعزيز، يريد من هذا كله خروج ابن رشيد من مدينة حائل، إلى قصره في (النيصية) ليتمكن هناك، من السيطرة عليه، سواء بالقتال أو القبض والاستسلام ويسلم سكان حائل، وتسلم منازلهم لاسيما الأطفال والنساء والكهول، خشية إلا يصابوا من قوات ابن سعود بأذى.

موقف ابن طلال :

يراقب تحركات قوات ابن سعود المحاصرة له في حائل، فلما رأى ابتعادها عن الناحية الشمالية، ظن أن ذلك منهم دون قصد وانه مجرد غفلة، وهو ليس كذلك انما هو مخطط لاصطياده خارج حائل.

خرج من حائل ونزل قصره بالنيصية، ومعه قوة قوامها خمسمائة مقاتل وفارس.

موقف ابن سعود :

أتته الرسل من أخيه محمد ومن الدو يش تفيد بخروج ابن طلال من حائل ونزوله قصره بالنيصية وعلم مقدار قوته القتالية، فكتب إلى أخيه محمد أن شدد الحصار على أهل حائل، لعلهم يستسلمون وإلى الدو يش بأن عليه الهجوم على ابن طلال.

الأمير محمد يعيد الحصار والدو يش يهاجم ابن طلال، لكن ابن طلال أخذ الدو يش بالحيلة والخداع لعلمه أن الدو يش رجل لين الجانب يحب التسامح متمسك بعادات الأعراب الهوجاء، في مكان لايقبل فيه التسامح ولا العفو إلا بشروطه فكتب إليه ابن طلال يقول له:

«اننا جميعاً مسلمون و بيننا كتاب الله وسنة رسوله، ولايجوز للمسلم أن يقتل أخاه المسلم... إلى غير ذلك من التعبيرات الخداعية وطلب منه الكف عنه والتجاوز بإخاء وسلام ومحبة».

فظنه الدو يش صادقا، وانخدع تماماً ولان جانبه لابن رشيد وكان الدو يش في الجثامية وابن طلال في النيصية والقر يتان متجاورتان بينهما ثمانية أكيال، أنظر الخر يطة رقم (٢٣).

موقف الدويش :

بالطبع كان موقفه موقف المخالف لِمَا كُلف به، فقام وأرسل رسالة إلى السلطان ابن سعود و يرفقها رسالة ابن طلال، وطلب من السلطان رايه في ذلك، وكان الدو يش قد أمن جانب ابن طلال فأهمل دور ية، شمال(النصية)، الموالية لابن طلال.


الخطة
منطقة حائل
البجتامية
وادي الديرع
صديان
حائل بلدة
قفار
يالطب

مما دعى ابن طلال إلى كسب تلك الفرصة، وارسل ثلة من جنده في الليل فقاموا بضرب الدو يش وجنده، واحتلوا التلال المطلة على الجثامية من شمالها، وأصبحوا مشرفين على معسكر الدو يش تماماً.

فبعث الدو يش خطابا عاجلا يطلب النجدة من ابن سعود، ويخبره بأنه وابن طلال مشتبكان القوى وأنه قد قتل من جند الدو يش عشرة وجرح عشرون آخرون.

موقف ابن سعود :

وصله رسول الدو يش بالجواب عصرا من ذلك اليوم، فغضب من تصرفات الدو يش العمياء، وأرسل ابنه الأمير سعود ومعه الفرسان، لنجدة الدو يش، وزحف هو بعده بالقوات الثقيلة، وفيها المدافع حتى نزل الجثامية في صباح يوم الأربعاء الموافق ٤/ محرم/ ١٣٤٠هـ ثم أمر بنصب المدافع ووجهها على قصر ابن طلال في (النيصية) وأمر قوات المشاه المقاتلين، بالهجوم بعد قصف (النيصية) بالمدافع واحتلالها ومن فيها، من ناحيتى الشرق والغرب.

وفي آخر الليل نفذت الخطة المرسومة، ودمرت (النيصية) بالمدافع، وبعدها هجمت المشاه وقتلت من وجدت، وكان ابن طلال قد استطاع الافلات من قوات ابن سعود ليلا، فخرج سرا تحت جنح الظلام ولجأ إلى جبل (أجأ)، وعلمت به قوات السلطان عبدالعز يز.

فأمر السلطان بتشكيل سر ية وملاحقته في الجبل حتى يستسلم.

وزحف بالقوات الباقية إلى حائل ونزل في منطقة الوسيطا، غرب مدينة حائل، في صباح يوم السبت الموافق ٧/ محرم/ سنة ١٣٤٠هـ.

ثم أمر ينصب المدافع فيها وأرسل سرية إلى قرية(عقدة) الواقعة في غرب المنطقة التي نزل بها|(الوسيطاء) وتلك القرية تعد حصنا حصينا لأهل حائل، لوجودها في جوف الجبل انظر الخريطة(٢٣)

ابن طلال :

تسلل تحت جنح الظلام ودخل قصره برزان داخل مدينة حائل بعد سبع عشرة ليلة من وقعة النيصية وأخذ يصول ويجول داخل سور حائل، و يثير السكان ولكن السكان لاحيلة لهم ولا بصيرة، الا القتال أو التسليم في كلتا الحالتين، وذلك الإمام ابن سعود هو الغالب إذ علموا أنه ولابد من الوقوع في قبضته ان عاجلا أو آجلا.

السلطان ابن سعود :

يعلم بدخول ابن طلال، فأصدر أمره بتشديد الحصار، ومكث على ذلك شهرا، ثم أمر قوات ابن سعود بزيادة الحصار حتى جعل من القوات حائطا منيعا على سور حائل، ثم بعث السلطان بخطاب انذارى إلى أعيان حائل، يخيرهم بين الاستسلام والتكريم، أو القتل والنسف والتدمير، وقال :«من أنذر فقد أعذر».

فقام أعيان حائل برئاسة ابراهيم السبهان، وعبدالعزيز بن ابراهيم وطلبوا من محمد بن طلال الاستسلام فرفض الا بشروط:

«من أبرزها أن يبقى أميرا على حائل».

عرضوا ذلك على ابن سعود، فرفض رفضا قاطعا، فعادوا إلى محمد بن طلال وأخبروه، فرفض هو الآخر الاستسلام قائلاً:

«أنا معتصم ولن أسلم نفسي لابن سعود خائفا ذليلا».

فاعادوا عليه الاستسلام، وأخبروه أن ابن سعود، سيدمر حائلا و يقصف دورها بالمدافع، و يقتل الأرواح بأسبابك، وكان لايزال يصر على عدم الاستسلام، رجاءا منه أن تصل وساطة البريطانيين في العراق لحل وضعه، وهو لايعلم أنهم كتبوا إلى ابن سعود وأنه رد عليهم يرفض وساطتهم، ومنعهم من التدخل في شئون حائل، وقال لهم:

«اما التسليم واما التدمير».

وفي يوم الاربعاء الخامس والعشرين من شهر صفر من سنة اربعين وثلاثمائة وألف هـ اعلن السلطان عبدالعزيز ابن سعود لأهل حائل وقال: «فليعذرنا الأهالي إذا انذرناهم فإن لهم ثلاثة أيام ليسلموا المدينة وعائلة ابن رشيد، فإذا تم ذلك ولم يمتثلوا، فإنا إلى غرضنا مسرعون، سنمطرهم رصاصا ونارا فليستعدوا للموت».

وبعد هذا الكتاب أمر السلطان قواته بأخذ المواقع المحصنة، أمر بتوجيه المدافع إلى منازل حائل لقصفها.

فلما رأى الأهالي ذلك وجاءهم الكتاب، هرعوا إلى ابن طلال وقالوا له الآن نحن منك براء، وسنسلم لابن سعود ولايدمرنا، ويهلك أبناءنا وأهلينا بشأنك.

ثم كتبوا لابن سعود، وقالوا أن الأهالي ينفضون أيديهم من محمد بن طلال، وبيت آل رشيد، وسيسلمون لسرايا ابن سعود الحصون المحيطة بالبلدة لدخول حائل.

وبناء على ذلك فقد أمر السلطان سراياه المحيطة بالسور، باستلام الحصون وفتح أبواب حائل، ومحاصرة ابن طلال في قصره (بَرْزَان).

وخرج الأهالي من دورهم وسلموا لابن سعودٍ فرحب بهم وأمر بضيافتهم وكسوتهم وتقديم الغذاء لهم، ودخلت قوات ابن سعود مدينة حائل، مكبرة مهللة واقتحمت قصر(برزان)، فلما رأى ابن طلال قوات التوحيد آتية لتدميره لم لها استسلم.

وكان دخول قوات ابن سعود لمدينة حائل، صباح يوم الأحد الموافق للتاسع والعشرين من شهر صفر سنة أربعين وثلاثمائة وألف هجرية.

ومن حصارها إلى استسلام ابن طلال عصر ذلك اليوم يكون قد مضى على حصار حائل من قبل السلطان عبدالعزيز بنفسه، خمسة وخمسون يوماً من ١٣٤٠/١/٤هـ إلى ١٣٤٠/٢/٢٩هـ.

اعمال ابن سعود في حائل :

استدعي أعيان حائل واجتمع فيهم اليوم الثاني، وقال من تريدون أن يقوم عليكم أميرا؟

قالوا : أحد أبناؤك أو اخوانك، فقال :«لا لا أريد ذلك أنا، انما سيكون عليكم منكم وهو الأخ ابراهيم بن سالم السبهان، فترة ثم لنرى كيف يقوم بالامانة»، ثم فعل ذلك وأبقى ابن عمه عبدالعزيز بن مساعد قائد للقوات المرابطة لحماية حائل، وغادر إلى الرياض ومعه محمد بن طلال بن رشيد وأسرة آل رشيد كافة، فأواهم واكرمهم كما هي عادته وصفاته الحميدة.

وبعد فترة من امارة السبهان، طلبوا أهل حائل من ابن سعود ابعاده، فأبعده وأمر عليهم عبدالعزيز بن مساعد.

وهذه القصائد في فتح حائل

قال الشيخ عبدالرحمن بن سلمان بن ملق هذه القصيدة يعلن بها المودة ويمتدح الملك عبدالعزيز:

ياصاح قم فاستمع أن كنت يقضانا ... ولاتكن عند داع الخير وسنانا

انظر امورا واحوالا تدور بنا ... ماكنت تأملها لو كنت يقضانا

انظر لشمس الهدى قد اشرقت وصحت ... من بعد ماغربت في الأفق ازمانا

سادت بنا قادة ياصاح ماعدلت ... صما عن الخير والمعروف عميانا

الحمد لله لم يبقى لهم أثر ... فينا بمجد إمام الخير من جانا

من جاءنا بجنود الله يقدمها ... كالليث عند اللقاء تلقاه غرثانا

من كان كهفا لاهل الخير اجمهم ... من كان عن سمت أهل الجور عريانا

من كان برا بأيتام وارملة ... قد كان يوليهمو فضلاً واحسانا

من كان في طاعة الرحمن مجتهداً ... وكان فيها قرير العين جذلانا

من كان في نصرة التوحيد ذا جلد ... وقمع أهل الردى والظلم مشتانا

فالحمد لله زال الظلم اجمعه ... بعدله اصبح الملهوف جذلانا

واشرقت حائل بالعدل وافتخرت ... والجور زال سريعا بعد ان كان

إلى قوله :

بشراك يابلدة حل الإمام بها ... بشراك بشراك عصر العدل قد آنا

هـذا الإمام الـذي نجد بـه افتـخـرت وشـاد فيهـا لأهـل الـديـن اركـانـا

اضحى بها الـديـن فـي عزوفـي دعـة وصاحب الشمر اضحى اليوم حزنانا

إلى قولـــــه :

فـالـشـكـر منـا جميعـا والخصوص لكم ان كـان فـيـنـا ولـى الأمـر اولانـا

ياابـن الاماجـد يا مـن فـاق في كرم اجـواد طى ومـن يـدعـى بـن جـدعـانـا

انـت الإمـام الـذي ديـن مـودتـه ونـصـحـه هـكـذا الوغـاض اشقـانـا

ارخ الستور عـلى ما كـان من زلل لازلـت كـهـفـا لاهـل الـديـن معوانـا

هـذا وختم نـظـامـى بـالـصلاة عـلى محـمـد المصطفى مـن نسـل عـدنـانـا

والـه والـصحـاب الـكـائـنين لـه عـلـى المحـجـة انـصـارا واعـوانـا

وقـال سالم بن سالم بن صالح ال بنيان هذه القصيدة تهنئة للفاتح ومدحا له بما من الله عليه به من فتح حائل:

بـدأت بحـمـد الله مبـدي الـفـضـائـل فـلـيـس سوى المولى بـاراج وسـائـل

ولله آلاء عـلـيـنـا كـثـيـرة وانـعـامـه تـتـرى بـكـل الـفـواضـل

فـلله ربـى الحـمـد والـشـكـر والـثـنـا يـقـصر عـن ادراكـه كـل فـاضـل

عـلـى نصر اعلام الـشـريعة والهـدى واعـزاز ديـن الله بـعـد الـتـضـاؤل

لـك الحـمـد مولانـا عـلى نصر حزبنا عـلى كـل طـاغ فـي الـبـلاد وخـاتـل

لك الحمد ماهب النسيم من الصبا ... وما انهل ودق المعصرات الهواطل
على الفتح والنصر الذي كانا فاعتلى ... فقرت به والله عين لآمل
فمن مبلغ عني الإمام هدية ... إماماً لأهل العصر بحر الفضائل
إمام الهدى عبدالعزيز أخا التقى ... إماما هز برا ماله من مثال
ليهنك هذا الفتح والعز والهنا ... ونيل المنى في كل مصر وحائل
فسر به أهل التقى وذوي الهدى ... وغاض لعمرى كل فدم وجاهل
ملكت ديار القوم اقطار حائل ... فنلت فخرا لم يكن للاوائل

إلى قولـــــه :

فلا زلت بالاسعاف والنصر مسعدا ... على خير مطلوب ونيل الفضائل
ولازلت للإسلام والدين معقلا ... ووفقت للخير يا ابن الافاضل
ولازلت للإخوان والدين ناصراً ... وحصنا حصينا من شرور الاسافل
فدونك من نظمي الذي أنت سامع ... فسامح قصورا أن رايت لقائل
وكل امرىء يهدى على قدر وسعه ... وهذا الذي نهدى إلى خير فاضل
وختمي صلاة الله ثم سلامه ... على السيد المعصوم بدر الفضائل
محمد المختار والصحب بعده ... كذا الآل والاتباع زين المحافل

وقال الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين شاعر نجد الكبير مهنئا الملك عبدالعزيز بما من الله به عليه من فتح حائل:

فلولا التقى والصفح عنكم لاصبحت ... منازلكم يشتو بها الربد والعفر

والا ففيما قد جرى أهل حائل ... عليكم لكم من غيكم والهوى غجر

وقدما إمام المسلمين دعاكم ... إلى رشدكم لكن باذانكم وقر

هو الملك الوهاب والضيغم الذي ... له العزمات الشيم والفتكة البكر

هو الملك السامى الذي سطراته ... تبيح حمى من كان في خده صعر

إلى قولـه :

زجرت طيور النحس تحسب انها ... سعود فلا طرق افاد ولا زجر

امانى مخدوع يعلل نفسه ... ومن دون هاتيك المنى المشرب المر

إلى قولـه :

يدبرها عزما ورأياً ومنصلا ... مدير رحاها لاكهام ولا غمر

إمام الهدى عبدالعزيز الذي رنت ... إليه المعالى قبل أن تكمل العشر

اتانا به الله الكريم بلطفه ... على حين ماج الناس واستفحل الشر

وله أيضاً هذه القصيدة فقال:

ومن يعتقد غير الذي جاء نصه ... لكم في كتاب الله لاشك يأثم

الستم اقمتم ميل نهج محمد ... وقد كاد يعفوا أو يبيد ويهرم

سياتى قتيل الطف في الحشر شاهدا ... بهذا وحجر والمقام وزمزم

غداة كسوتم كعبة الله واعتلى | بابطحها الدين القويم المعظم
ولم يبق فيها قبة أو ذريعة | إلى الشرك الا وهى تمحى وتهدم
معالى متى تذكر تصاغر عندها | معالى ملوك اخروا أو تقدموا
فلا مجد الا خشية الله والتقى | ولا فخر الا الشرع فيه المقدم
ليهنك ياعبدالعزيز بن فيصل | مغانم تدعى وهى في الاجر مغنم
اذا شق أمر المسلمين مضلل | قانت له الموت الزؤام المحتم
دلفت له قبل الشروق بفيلق | احم الرحى فيه المنايا تقسم
فاسقيتهم سما زعافا يشوبه | بافواههم بالموت صاب وعلقم
تظل به غرث السباع نواهلا | وعقبانه منها وقوع وحوم
كما قد جرى يوما على أهل حائل | وقد صرفوا عن منهج الرشد أو عموا
وظنوا بأن الدار كالاسم حائل | نفور عن الازواج جداء مصرم
فانكحتها حم الرماح فاصبحت | كشافا بعيد الحمل بالشر تتئم
فكم كاعب حسنا تلطم وجهها | واخرى تشق الجيب بالثكل ايم
وكم نصحوا لو كان للنصح موضع | وكم عذلوا لو كان فيهم محلم
ولكن ابو الا الشقاق فلم يكن | لهم وزر الاحسام ولهذم
وقال زعيم القوم لابل شقيهم | إلى ابن طلال ارسلوا فهو احزم

فلما اتاهم زادهم مع خبالهم خبالا وعقبى ما اتوه التندم

وظنوا بان الله يخلف وعده وهيهات وعد الصادق الوعد احكم

وقد قال جندى غالب لا محاله بذلك قضائى في البرية مبرم

إلى قوله :

فحبكم عند المهيمن قربة ونصحكم فرض علينا محتم

ومن لايراه فهو اما مغفل واما على تكذيبه الوحى مقدم

وقال الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر تهنئة للإمام عبدالعزيز لما فتح الله على يديه بلدة حائل وولاه شوكتهم:

فلله ربى الحمد والشكر والثنا على نعم تترى بعد الجنادل

فقد جاءت البشرى بعلم يسرنا ويخزى ذوى الاضغان أهل الغوائل

فبشرنا أن الإمام قد احتوى وولاه رب الناس شوكة حائل

ومن قبل في الرؤيا رايت بشارة كان الإمام فاتح سور حائل

لأنهم قوم عن الحق قد ابوا وولوا سفيها امرهم غير عاقل

فلم يفلح المافون بل خاب سعيه فمذ قتل الأخوان أهل الفضائل

على غير جرم غير توحيد ربنا فما الله عما يعملون بغافل

جزاه الاله الحق مايستحقه وباء من المولى بخزى الاوائل

واتباعه من كل فدم وجاهل يعمهم ربى بشر العواضل

فخمس مئين عدة القتل فيهم ... بنيصية تدعى قريبا لحائل

فاضحوا ركاما في البقاع تزورهم ... سباع الفلا والطير خمص الحواصل

على يد مأمون السريرة من غدا ... حميد السجايا ماله من مماثل

واعنى به عبدالعزيز اخا الندى ... وغيث اليتامى عصمته للارامل

إماماً هماما المعيا مهذبا ... يحامى على دين الهدى بالبواسل

واخوان صدق من ذوى الباس في اللقا ... يريدون عند الله اعلى المنازل

حماهم اله العرش من كل بدعة ... ووفقهم للصالحات الكوامل

والفهم ربى على الحق والهدى ... يذودون عن ذا الدين كل مماطل

واحيا لنا اشياخنا انجم الدجا ... لارشاد حيران وتعليم جاهل

إلى قولـــــه :

فيا راكب من فوق قوادا ضامر ... صبورا على الشدات يبغى لحائل

تحمل هداك الله منى تحية ... إلى الملك الضرغام زاكى الشمائل

وسلم على نسل الكرام وقل له ... هنيئا لك الاقبال يابن الافاضل

هنيئا لك النصر الذي شاع ذكره ... بكل النواحى عند كل القبائل

فقد تمت النعما فقابل بشكرها ... لمولاك من يعطى الجزيل لسائل

وعامله بالانصاف فيمن وليته ... وكن تابعا للشرع في كل نازل

وقال الشيخ عثمان بن أحمد هذه القصيدة أيضاً في فتح حائل :

لك الحمد اللهم ياخير ناصر ... ويا من هو القهار فوق المقاهر

لك الحمد حمدا يملأ الأرض والسماء ... بعد هتون الساريات المواطر

فلله ربي الحمد والشكر والثنا ... على نعم لم يحصها عد حاصر

فقد صدقت رؤياى والحمد للذي ... ارانيها حقا مليك وقاهر

اتانا فهيد بالبشارة معلنا ... جزى الله عنا فهيد بن جابر

ومتعه بالصالحات وبالتقى ... وثبته يوم اقتحام القناطر

فبشر في فتح البلاد التي عتت ... عن الأمر وانقادت لقول الغوادر

وغرهم الشيطان بالمكر والمنى ... ولم يقبلوا قول المشير وزاجر

فلما راوا اهل الهدى قد توفروا ... وقد جمعوا في الدار كل مهاجر

وقد قتلوا من في البروج التي ولوا ... وقد حصروا طرا اشد المحاصر

أتوا والى الأمر الحليم برغبة ... وابدوا معاذيرا إلى ذى المفاخر

وقد طلبوا منه الأمان ومنة ... تعود إلى اموالهم والذخائر

فاعطا هومنا جميعاً امامنا ... وقد شملوا حتى نجا كل غادر

وولاه رب الناس برزان قصرهم ... وماقد حوى من حاصلات الذخائر

ومزق من أهل الضلال طوائفا ... وعطل من بنيانهم كل عامر

إلى قولــــــــه :

حماه اله العرش من كل محنة … وبواه في الخلد اسنى المفاخر

واخواننا أهل المودة والصفا … حماهم اله العرش من كيد فاجر

وليس لهم قصد سوى نصرة الهدى … يذودون عن دين الهدى كل ماكر

فيها ايها الغادى على ظهر جلعد … عرند سنة من طيب العيش ضامر

إلى الملك السامى إلى منهج العلى … له همة فوق النجوم الزواهر

فابلغه تسليماً كثيراً وقل له … محبكموا يدعو لكم بالسرائر

هنيئا لكم ذا الفتح يا اهل ودنا … هنيئا لاصحاب النبى والبصائر

وهذا هو الفتح الذى منه زلزلت … اربا وبلدان الغوات الكوافر

الباب الخامس

الحجاز

معركة تربة - فتح الطائف - الهدا - فتح مكة - الرحلة الملكية - خلع الحسين - حصار جدة - فتح المدينة - استسلام جدة - مبايعة ابن سعود ملكاً على الحجاز - حادث المحمل المصري .



تـربـة

التعريف الجغرافي :

تـربة : بضم المثناة الفوقية وفتح المهملة والباء الموحدة التحتية بعدها تاء التأنيث.

قـال الهـمـدانـى في صـفة الجزيرة العربية: «ومن كرى إلى تربة وهى المعـروفة (بـأبـيـدة) خمـسة عشر ميلا، وعرضها تسع عشرة درجة وثلث وثمن درجة»[1] . وقال في موضع آخر: «وتربة بين ديار بنى هلال»[2] .

قال ياقوت الحموى في معجم البلدان:

«تـربـة بـالـضـم ثم الـفـتح: واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها يـصـب في بستان ابن عامر يسكنه بنو هلال، إلى قوله: قال الهمدانى: تربة ورنـيـه وبـيـشه هذه الثلاثة أودية ضخام مسيرة كل واحد منها عشرون يوماً. أسافلها في نجد وأعاليها في السراة»[3] .

وقال البكرى: «تربة» من مخاليف مكة النجدية»[4] .

وذكرها حمد الجاسر في معجم البلاد السعودية باختصار[5] .

قلـت: «وتـربـة» مـديـنـة تـابعة لقبيلة البقوم حيث تعرف باسم (تربية البقوم).

---

(١) ص/ ٣٤٠.

(٢) ص/ ٦٣.

(٣) ج٢/ ٢١.

(٤) ج١/ ٣٠٨ معجم ما استعجم.

(٥) ج١/ ١٩٥.

الموقع الجغرافي :

تقع تربة إلى الجنوب الشرقي من مدينة الطائف، وتربة من عوالى نجد وهى في تقاطع خطى الطول ٤١/٣٩ شرقاً والعرض ٢١/١٢ شمالا.

المنـــــاخ :

مناخ تربة صحراوى فهى كما قلت في عالية نجد إلا أن الحرارة لا تتجاوز ٣٩° درجة صيفاً والبرودة ١٢ ـ ٨ درجة شتاء. فوق الصفر.

الامطار والارتفاع :

ترتفع تربة عن سطح البحر بـ(١١٣٠) مترا و يبلغ متوسط هطول الامطار السنوى من ٥ر٩٠ ـ ١٠١ملم.

الوصف الجغرافي :

تربة مدينة تقع على جانب وادى تربة المشهور من الشمال، لذلك فإن تضاريسها تنقسم إلى ثلاثة اقسام:

١ ـ وادى تربة الكبير والذي ينحدر من سراة بلاد بنى مالك و بالحارث غرباً و يسيل إلى الشرق مرورا بمدينة «الخرمة» الواقعة إلى الشرق من تربة وعلى بعد (٨٠) كيلا. ثم وادى «رِيْحَان» الذي يأتى من الشمال الغربي و يصب في «وادى تربة».

٢ ـ أراضى منبسطة من جميع الجهات.

يوجد بها بعض الآكام الصغير، مثل الثغر الواقع شرق تربة انظر الخريطة.

٣ ـ المزارع : وأغلبها النخيل وهذه المزارع قديمة جدا، فقد ذكرها ياقوت الحموى[١] . وقال «الشريف البركاتى» في الرحلة اليمانية[٢] .

«فلما وصلنا قرى وادى تربة تركها دولة الأمير وأمر الجيش بالنزول في أعلى الوادى على نهر كبير جارى يصب في أسفل الوادى ومنه تشرب نخيل قرى قبيلة البقوم والاشراف العبادلة وعدد النخيل بهذه القرى أكثر من مائتى ألف نخلة، وفيها البساتين محتوية على: الموز والليمون، والنارينج، والعنب، وبعض الفواكه ويزرع فيها البر والذرة والشعير وكافة أنواع الخضر، إلى قوله وبه أشجار الأثل والطرفاء، والحمض والحلفاء».

المساحة :

تبلغ مساحة الخريطة : من قصر منيف في الجنوب الغربي إلى مرتفعات الثغر شرقا ثمانية أكيال، ومن وادى تربة جنوباً إلى شمال الخريطة خمسة أكيال.

الحدود :

يحد ميدان المعركة من الجنوب وادى تربة الكبير ومن الشمال أرض منبسطة بها عدد من التلال الصغيرة، ومن الشرق تلال الثغر فأرض فسيحة منبسطة بها بعض التلال، ومن الغرب أرض منبسطة.

---

(١) ج٢/ ٢١.

(٢) ص ٩٠.

معارك الخرمة

بين يدى المعركة :

هذه نقاط أساسية هى محور أسباب معركة تربة وغيرها:

١ — رغبة الشريف في ضمها إلى مملكته والسيطرة عليها.
٢ — عزمه على ضرب ابن عمه الشريف خالد بن لؤى الذي استوطنها وشكل فيها قوة لمعاداة شريف مكة فكان كل منهما يريد تأديب الآخر.

أما عبدالعزيز ابن سعود فهو لايقر لأحد السيطرة على تربة بأى حال، ولا يعترف بأن الخرمة أو تربة من المملكة الحجازية، بل هى من نجد فهى عاليته وبدايته من الحجاز.

كما وأن استنجاد الشريف خالد بابن سعود ضد شريف مكة، زاد من عزم ابن سعود ولكنه لم يكن المتسرع أو المعتدى الأول انما كان شعاره قول ربه تبارك وتعالى: (من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) الآية.

وكان يقول رحمه الله «أنا لاأحب القتال، وأكره التعدى على الغير، ولكن اذا بليت به أو جعت».

قلت: ولعل هذا كان سببا من أسباب انتصار ابن سعود على أعدائه.

ولقد دار في ذهنى ما العوامل التي جعلت خالد يكن العداء لعمه وأبنائه، وبعد الجد في تحقيق ذلك ظهرت أسبابها وهو ماحدثنى به الثقات من جانب ابن سعود وجانب الشريف فقالوا[١] :

(١) الشريف علي بن زيد، حسين بن خالد بن لوىء، عياد بن نهير الشمري.

«كان الأشراف مجتمعين في المدينة المنورة بعد فتحها، وكانوا في منزل سيدهم الشريف الحسين لبحث أمور تتعلق بهم، وتوزيع المال الذي غنموه بعد فتح المدينة، وبينا هم كذلك أمر الشريف الحسين ابنه عبدالله بتوزيع المال على الأمراء الاشراف الحاضرين، فقام يغرف لكل غرفتين بيديه الثنتين فلما وصل التوزيع خالد بن لؤى غرف له غرفة واحدة بيد واحدة، وكان كلما نظر إليه عبدالله عبس في وجهه،وكانا قبل ذلك وهما قادمان من مكة إلى المدينة حصلت مشكلة بين خالد وأحد أمراء الجيش ويدعى (فاجر بن شليويح العتيبى) من رؤساء عتيبة ومن المقربين لعبدالله بن الحسين الأمر الذي أدى بـ(فاجر) إلى لطم الشريف خالد على مشهد من عبدالله.

فقال: خالد أعطنى الحق ياعبدالله أو اقتص لنفسى فقام عبدالله وقال: أنت يافاجر موقوف ثلاثة أيام وفي المساء من ذلك اليوم أطلقه فغضب خالد وقال هذا ليس حقا ولا عدلا، وانما هى حيلة وخداع، فزجره عبدالله قائلا هذا حقك ولو فكرت في الاعتداء لسجنتك، فغضب خالد غضبا شديداً، وما منعه من الاعتداء إلا أن الشريف الحسين كان قادماً للمدينة ذلك اليوم، هذا سبب.

فلما سلمه عبدالله غرفة واحدة قال خالد لماذا هذه قال: عبدالله خذها أو دعها فليس لك غيرها.

فغضب خالد ورماها في وجه عبدالله، وخرج في تلك الليلة، فأتى خالد، إلى الشريف الحسين، في منزله وشكى له حاله، وأنه يريد أن يذهب إلى مكة، وأن فرسه لا تستطيع السير ليلاً، وانها مريضة وأنه لن يبيت في المدينة أبدا تلك الليلة، وقال: «أننى أريد أن تعطيني فرسا من فرسانك الخاصة».

ورغبة من الشريف الحسين في استرضاء خالد، أعطاه فرسه الخاصة وأمر له بقطمة من المال، فتقبلها خالد ثم ودع سيده وكأنه يريد مكة.

أما خالد فقد سافر إلى عبدالعزيز بن سعود في الرياض، وتقابل معه وكشف له الأسرار وتعهد له بنشر التوحيد بين القبائل في الخرمة وتربة، والقبائل المجاورة للطائف، وندد بالسياسة الحسينية ثم عاد إلى الخرمة وقام بما أتفق عليه مع ابن سعود وأخلص النية والعمل.

علم الشريف في «المدينة»، فأرسل إليه فرفض ثم أرسل إليه فرفض فبدأت المشادة والتوتر فيما بينهما، وهدد الحسين «الخرمة» ومن حولها بضربها، والقبض على خالد لكن خالدا استعد لقتاله.

الموقف العــــام :

الشريف: قام بارسال قوة كبيرة لضرب خالد والقبض عليه واحتلال «الخرمة« وكانت القوة بقيادة الشريف «حمود بن زيد»، وسارت تلك القوة تجاه الخرمة.

خالد بن لوىء :

وصلت إليه أخبارهم فاستعد لصدهم وقتالهم وشكل قوة من أهل «الخرمة» وكتب إلى ابن سعود يخبره بذلك.

السلطان عبدالعزيز :

وصلت أخبار الشريف «حسين» إليه ووصل مرسول «خالد» فكتب كتابا إلى «عبدالله بن الحسين» قال فيه:

«قد تحقق عندى خلاف ما أخبرتني به سابقا من أنك عائد إلى «مكة المكرمة» والظاهر أنك على «تربة» و«الخرمة» وهذا مخالف لما أبديتموه للعالم الإسلامي، والعربي خصوصاً.

واعلم رعاك الله أن أهل نجد لايقعدون عن نصرة اخوانهم وان الحياة في سبيل الدفاع عنهم ليست بشيء.

نعم: وان عاقبة الغيّ وخيمة، وأنصحك أن تعود بقواتك إلى «عُشَيْرَة»، وأنا أرسل إليك أحد أولادى أو اخواني للتفاوض معكم وحسم الخلاف» حرر في ١٠ شعبان ١٣٣٧هـ)

الأمير الشريف :

أجاب على خطاب ابن سعود في ٢٣ شعبان ١٣٣٧هـ يقول فيه «كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة، وعاث في الأرض فسادا، يستحق التأديب شرعاً، وتقول لى خير لى أن أرجع إلى ديرتى، فمتى كنت تمنع الناس عن ديارهم؟.

هل يمكن أن رجلا من قريش ثم من عبد مناف ثم من بنى هاشم جده الرسول (محمد صلى الله عليه وسلم)، وعلى بن أبى طالب يقعقع بالشنان، و يروع بمثل هذه الأقاو يل» إلى قوله:

«فإن كنت تنوي الخير للمسلمين كما تدعى، فأردد الذين أمرت ببيع مواشيهم و بنيت لهم الدور [يعنى بذلك توطين البادية] وارجع مكانك الذي وصلت إليه إلى ديارك ولك علىّ الا أمس أحدا من أهل نجد بسوء...... الخ».

السلطان عبدالعزيز :

عندما رأى عزم الشريف على مهاجمة «الخرمة» ومحاربة خالد بن لوىء والاخوان أرسل قوة من الاخوان في الرياض قوامها خمسمائة مقاتل من أهل الغطغط لتعزيز جانب خالد وقد وصلت القوة إلى الخرمة في ٢٥ شعبان ١٣٣٦هـ.

المعركة الأولى

(حَوْقان)

سير المعركة الأولى :

قال الراوي : خرجت قوة الشريف بقيادة الشريف حمود بن زيد من منطقة عشيرة في الشمال الشرقى من الطائف بعد تسعة وثلاثين كيلا منه.

خرجت باتجاه الخرمة، وقد علم الشريف خالد بن لوىء بخروجهم واتجاههم، فخرج ومعه قوة التوحيد، وتقابلت القوتان في موضع يقال له «حوقان» وكان الزمن هو صباح اليوم الخامس والعشرين من شهر شعبان من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية، ويقع موضع حوقان إلى الشمال من الخرمة.

فتقاتلا قتالا عنيفا واستمر القتال من الصباح حتى صلاة العصر.

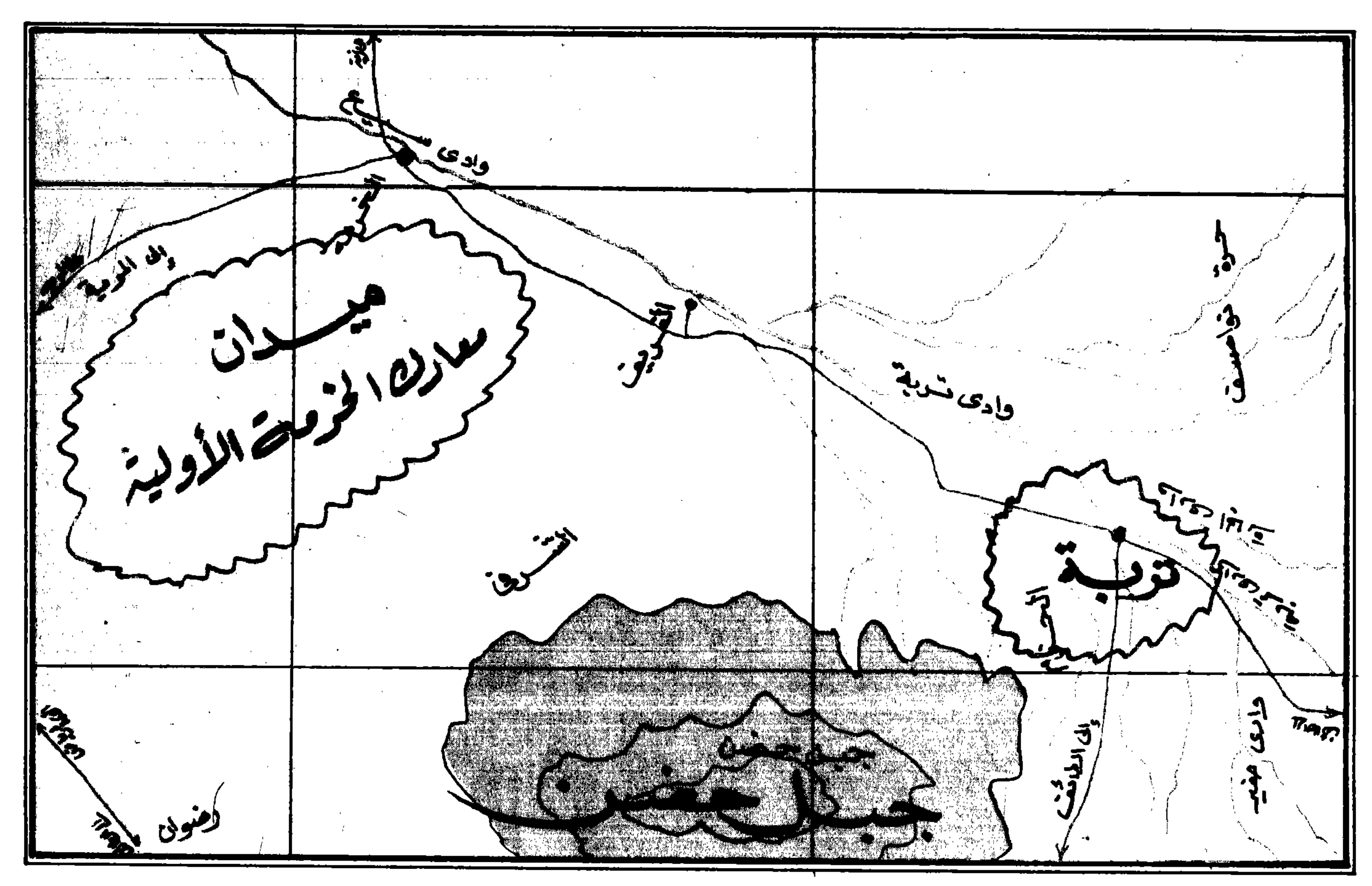
النتيجة :

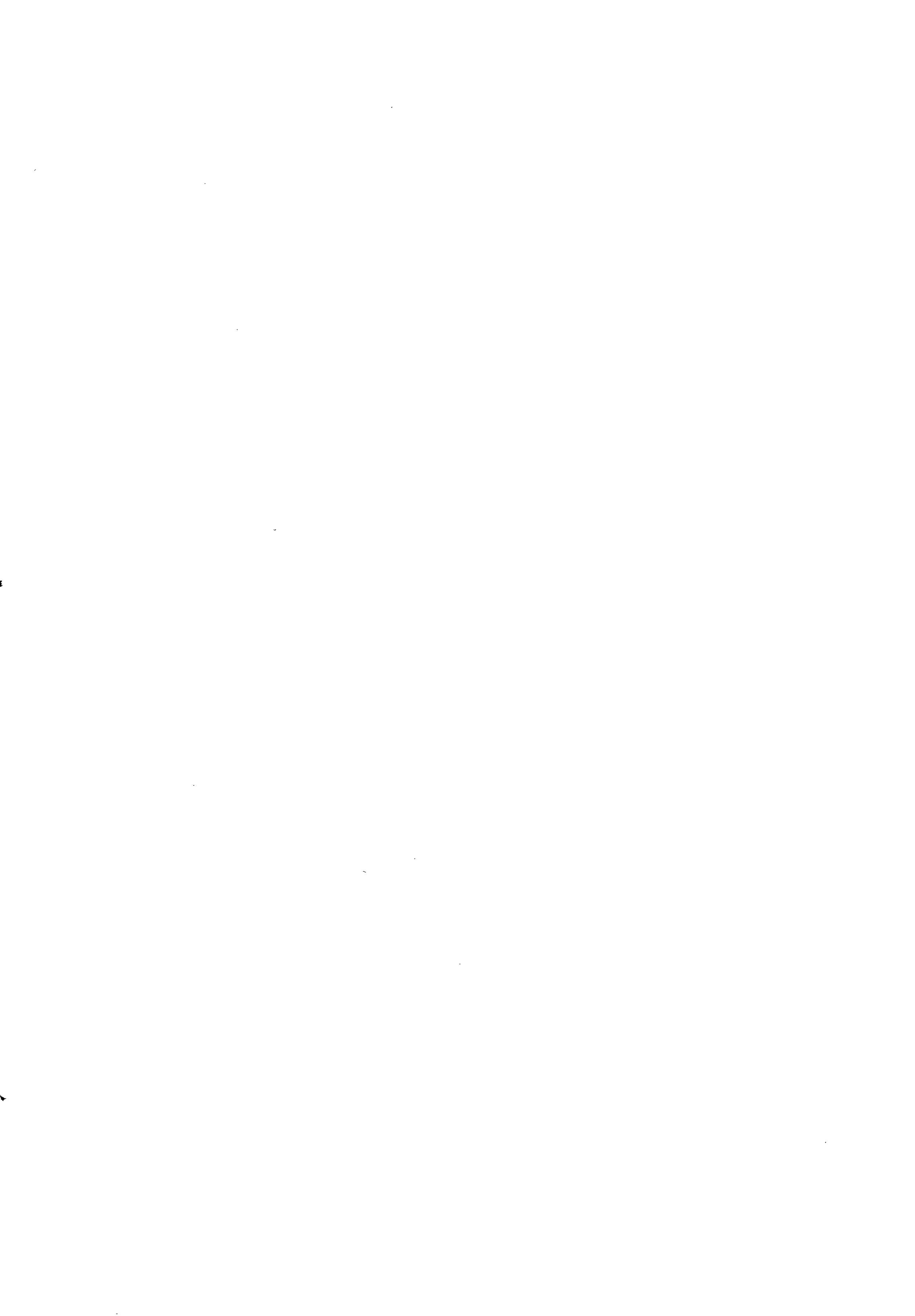
الشريف حمود :

انهزم شر هزيمة هو وقواته البالغة ألف مقاتل وعاد إلى سيده بمكة.

الشريف خالد :

انتصر هو وقوته ــ قـــوة التوحيد ــ وغنموا ثلاثين من «الجمال» محملة بالأسلحة والذخائر وبعض الأمتعة والنقود، وكان عدد قوته ألف ومائة وستون مقاتلا وعادوا الخرمة.


ميدان
معارك الخرمة الأولية
الخرمة
إلى المويه
وادى سبيع
الشريف
وادى تربة
حرة نواصف
تربة
إلى الطائف
جبل حضن
الشرف
رضوان



المعركة الثانية

(جِبَار)

سير المعركة الثانية :

عاد الشريف حمود فخـــرج مرة أخرى في قوة أكبر من الأولى مزودة بالرشاشات والمدافع وكان قد اتخذ من «عشيرة» قاعدة أعاد فيها بناء قوته الأولى، وزودها بما تحتاج وكانت الامدادات تأتيه من سيده بمكة وابنه عبدالله بالمدينة.

علم خالد بمقدمه وخط سيره وهجومه، فخرج هو الآخر في قوة أكبر وتقابلا الفريقان في موضع يقال له (جبَار) إلى الغرب من الموضع السابق ــ (حَوْقَان)ــ ودارت المعركة من الصباح حتى الظهر.

النتيجة :

النصر والفوز لخالد بن لوىء والأخوان وكان عدد قواته (١٤٠٠) مقاتل عادوا إلى الخرمة.

والهزيمة الانكسار لحمود بن زيد وقواته البالغة (١٢٠٠) مقاتل نظامى عادوا إلى مركز القيادة الخاسرة في «عشيرة».

المعركة الثالثة

(أَبَارْ الحِنْو)

علم الشريف الحسين بن علي بهزيمة الشريف حمود[1] للمرة الثانية أمام خالد بن لوىء الأمر الذي هز عرشه وكيانه وبات يهدد مملكته.

فأصدر أوامره بتشكيل قوات متعددة، قوامها الف جندى نظامى، معهم أربعه مدافع، وستة رشاشات وخمسة الاف من قبائل عتيبة، وهذيل، وبنى سعد، وبنى سفيان، وغيرهم، وأمر عليهم الشريف «شاكر بن زيد»[1] وخرج بهم إلى «الخرمة» حيث خالد والأخوان.

علم بخروجه «خالد بن لوىء» فشكل قوة من أهل التوحيد قوامها ألف وخمسمائة وخمسون، وهم: أهل الخرمة من سبيع، وعددهم ثمان مائة وخمسون،[2] ومائتان من أهل «الرين» وخمسمائة من أهل «الغطغط».

وخرج بهم بعد أن عرف مخطط عدوه ووجهته.

سير المعركة :

تقابلت القوتان في منطقة (الحِنُو) وكان خالد وقواته قد سبق واحتل أبار «الحنو» فقاتلا قتالا عنيفا كان يشتد ساعة بعد أخرى، وقد بدت المعركة في صباح يوم «عرفة» التاسع من ذى الحجة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة والف هجرية، وانتهت المعركة بين صلاتى الظهر والعصر.

---

(١) هما شقيقا الراوي ــ الشريف علي بن زيد.

(٢) من رواية حسين بن خالد بن لوىء.

النتيجة :

الشريف شاكر :

سقوط عدد من القتلى من جنده النظاميين وجرح أكثر من ثلاثمائة من الباقين، وفرار أبناء القبائل الباقية لعدم قدرتهم على القتال، وانسحاب الجند النظاميين، تاركين وراءهم رشاشاتهم الستة، والجمال المحملة بالمؤن والزاد، والكل عاد يحمل إلى قومه سواء من القبائل أو العسكر وصمة الهزيمة للمرة الثالثة.

الشريف خالد :

أما خالد وقواته فقد قتل ثلاثة وجرح سبعة عشر من الإخوان وعادوا منصورين يحملون الغنائم فرحين بنصر الله لهم بالرغم من قلة عددهم وعدتهم.

معركة تربة الكبرى

هذه المعركة الكبرى لاتحتاج إلى تقديم فلعل معارك الخرمة تكفى لتكون مقدمة لهذه المعركة الفاصلة.

الموقف العام :

موقف الحسين بن علي :

عاد إليه قائداه، يحملان إليه الهزيمة والانكسار وأخبراه بما حصل لهما، ولمن معهما من الجند والقبائل.

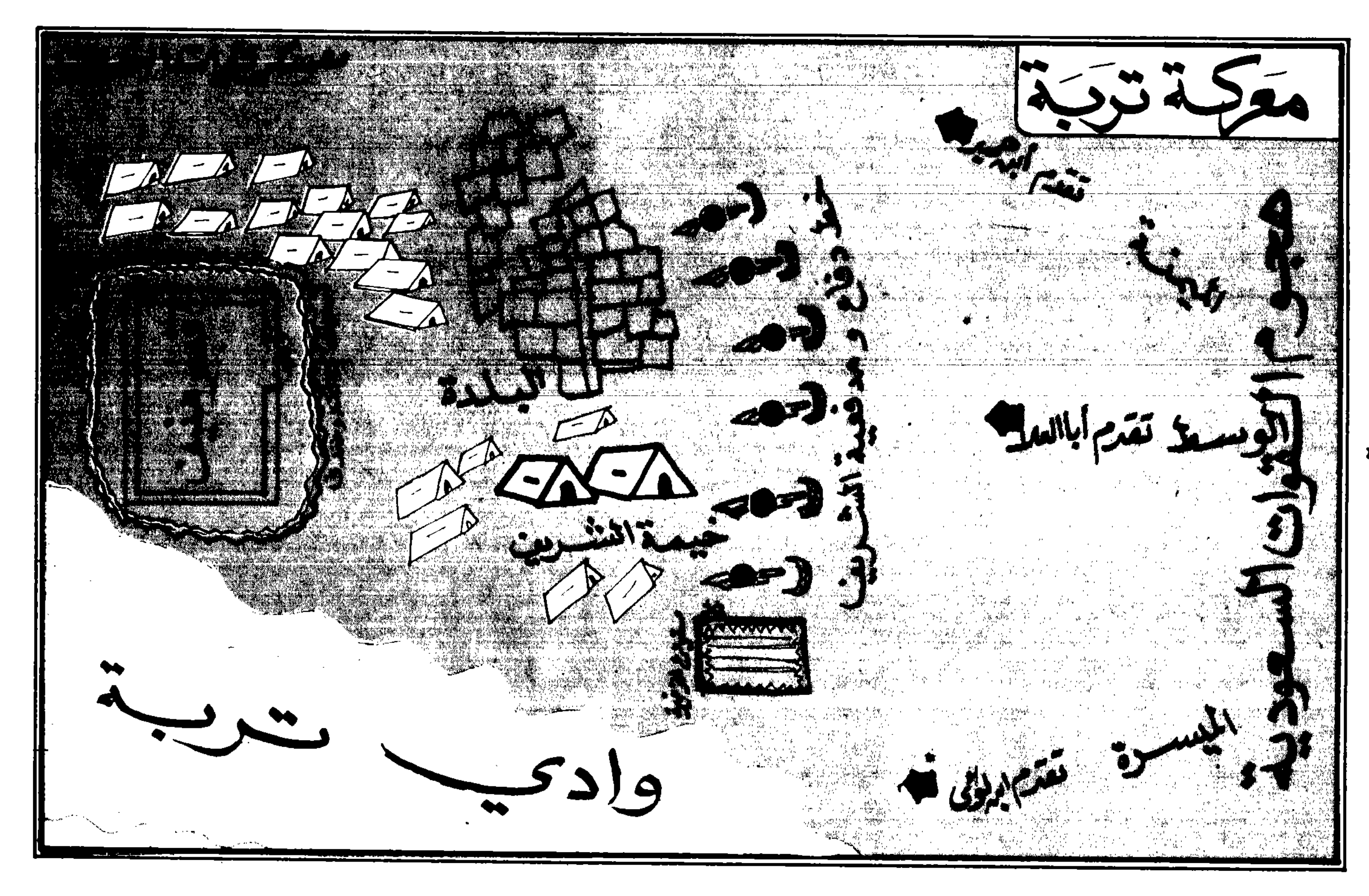
من ذلك علم الشريف أن الأمر يحتاج إلى تحرك قواته كلها، للقضاء على خالد ومن معه ومن ورائهم؛ لأن وجودهم وانتصاراتهم تلك قد أرعبت وهزت كيان الشريف الحسين، وصارت شغله الشاغل، وأصبحت تهدد المملكة الحجازية.

فأمر ابنه عبدالله بالتحرك من المدينة المنورة ومعه قوة نظامية مسلحة ضارية، وزحف بها إلى منطقة «عشيرة»، وعسكر فيها بناء على الأوامر التي تلقاها من والده والذي أمره بالبقاء حتى يجتمع الحسين مع أبنائه ووزرائه ومستشاريه لمناقشة الوضع الذي ستصدر الأوامر على ضوئه بعد ذلك.

موقف السلطان عبدالعزيز :

علم بخروج عبدالله بن الحسين من المدينة في قوات كبيرة.

فأرسل قوة بقيادة سلطان بن بجاد قوامها ألف ومائتا مقاتل إلى



معركة تربة
هجوم القوات السعودية
الميمنة
الوسط تقدم ابا العلا
الميسرة
خط دفاع ومدفعية الشريف
البلدة
خيمة الشريف
وادي تربة



«الخرمة» حيث خالد والأخوان، كما بعث كتاباً إلى عبدالله بن الحسين يطلب فيه حسم الخلاف صيانة للأرواح واحتراماً للقيم.

موقف عبدالله بن الحسين :

وصل بقواته الكبيرة إلى جبل «حَضَن» الكبير أنظر الخريطة رقم(٢١)، بعد أن أقام في عشيرة قرابة شهرين، كان قد اجتمع فيها بوالده وجميع الأشراف، وانتهى الاجتماع باصدار الأمر على عبدالله باحتلال تربة والخرمة، والقبض على خالد وارساله أسيراً إلى مكة.

ولما وصلوا إلى جبل «حضن» عسكر فيه، كما وصل إليه رسول ابن سعود بكتاب من ابن سعود، فأجاب عبدالله بجواب قال فيه:

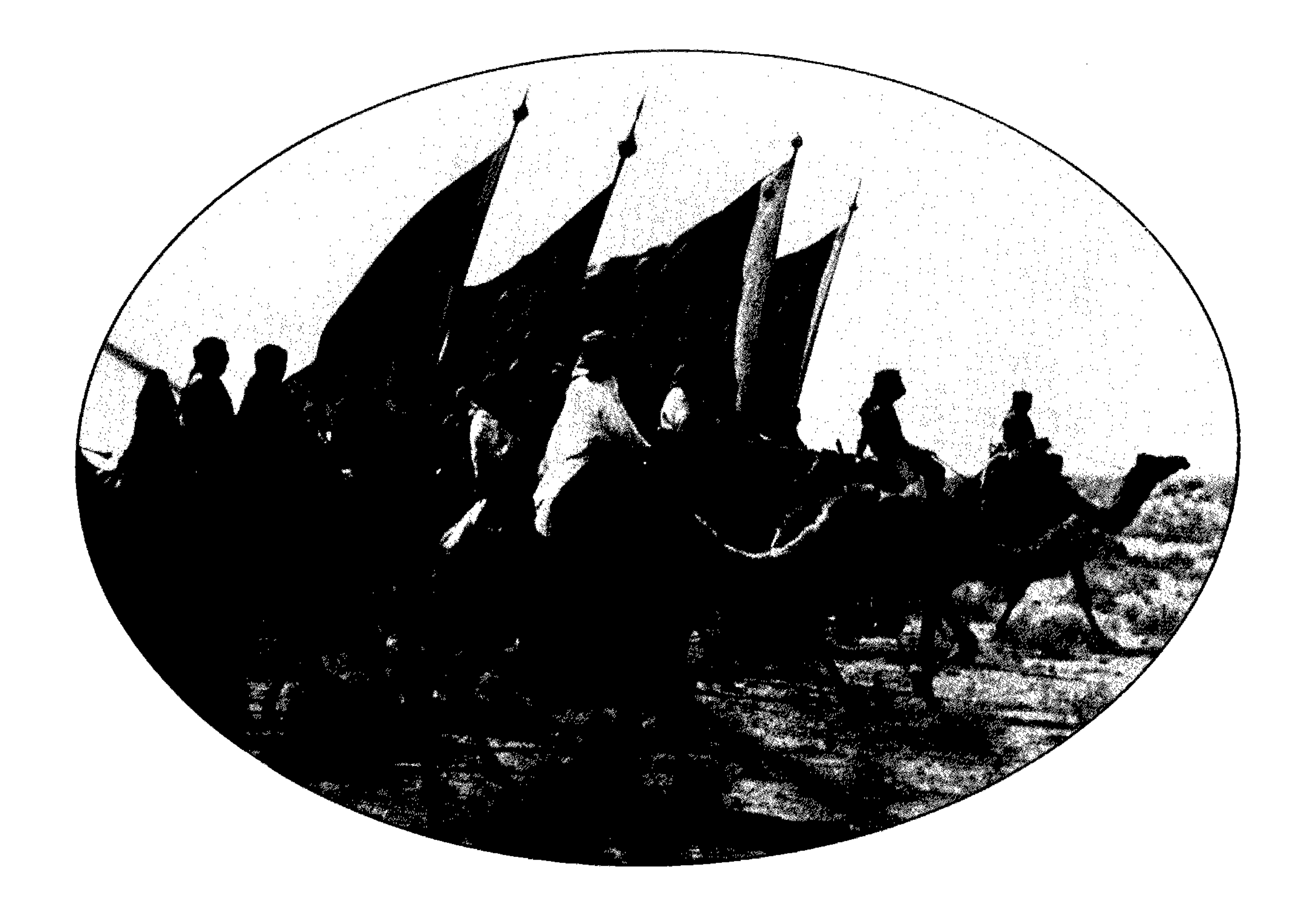
«أن الله سبحانه وتعالى يقول: (فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ)[1] ونحن قد اعتدى علينا وقتل جيشنا ونهب سلاحنا، لذلك لابد من الايقاع بمن كان هو السبب.... الخ».

ثم قال: للرسول: «قل لعبدالعزيز ما جئنا من شأن تربة والخرمة فقط، ولكن سنعيِّد عيد رمضان هنا، وعيد الأضحى في الرياض والاحساء».

وبعد خروج الرسول من جبل حضن، أمر عبدالله قواته فورا بدخول «تربة»، وبالفعل فقد دخلها في صباح يوم الرابع والعشرين من شعبان من سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية.

وكان دخوله «تربة» بطريق الخداع، فقد كتب إلى أهلها انني سوف أعبر تربة لغرض التزود بالأمتعة من أسواقها فقط، وبعد أن دخلها أخذ

(١) الآية: ١٩٤ من سورة البقرة.



هذا عبدالعزيز آل سعود في احدى غاراته، وقيل انها في سنة ١٣٣٧هـ عندما اسرع إلى تربة لنجدة قواته هناك.

يطلق الأعيرة النارية في الهواء، وأمر بنصب المدافع والرمى في الهواء، ليرعب السكان بقواته، ثم أباح لها نهب كل ما في البلدة من ارزاق واباح لجنده الفساد والأهواء، وأمر بقتل المشايخ، وصادر أموالهم وأفسد فيها ــ ما الله به عليم.

ثم بدأ بالكتابة إلى مشايخ قبائل البادية في «الخرمة»، و«رنية» والمجاورين، وهددهم بمثل مافعل في تربة، اذا لم يأتوه مبايعين طائعين فسيأتوه وهم صاغرون.

موقف قوات جيش ابن سعود :

خرجت قوات ابن سعود بقيادة خالد بن لوىء قائدا للجبهة الجنوبية الشرقية، وسلطان أبا العلا قائدا للجبهة الوسطى، وسلطان بن بجاد بن حميد قائدا للجبهة الشمالية الغربية، ومضى القادة الثلاثة حتى أتوا على موضع يقال له «القَرَيْن» فيما بين «تربة» و«الخرمة»، وتوقفوا فيه وأرادوا أن يعرفون كيفية توزيع قوات ابن الحسين في تربة، فكتبوا كتاباً من ابن سعود إلى عبدالله بن الحسين، ثم بعثوا به رسولاً ذكياً، له خبرة في تشكيلات القوات ومسمياتها وأنواعها، فلما أتى الشريف في تربة وسار يجول يمنة ويسرة لعله يحصل على امنيته التي أرسل من شأنها، وفعلا حقق آماله ووصل إلى الشريف فقال له:

«ماذا تحمل قال: كتابا من ابن سعود، فقال له ارجع إلى من أرسلك وقل له سنصوم في الخرمة، ونعيِّد في الرياض والاحساء، وعد بكتابك لاحاجة إلى الاطلاع أو النظر إليه».

وكان هذا الرسول قد وجد أعرابياً من البادية عند الشريف يقول له:

«لقد جاءك الاخوان المتدينة هاجمون عليك فخذ حذرك»، فامسك به الشريف وضربه ضربا مبرحا، ثم دفعه إلى عبد له اسمه (دُخْتَان) وأمره بضرب الاعرابى حتى يموت، فضربه حتى مات، ثم عاد الشريف إلى خيمته لينام نوماً هنيئا في خيلاء وكبرياء.

أما رسول قوات ابن سعود، فقد عاد اليهم بكل مايسعدهم وأوضح لهم كل شيء وبناء على ذلك توجهوا، وعلى بركات الله إلى تربة.

سير المعركة :

بعد أن تم للقادة الثلاثة معرفة مواقع القوات في تربة وموقع الشريف منها تحركت قوات التوحيد بعد أن تعالت أصواتهم وهم يرددون هذا البيت:

هَـبَّتْ هَـبُوبُ الجَنَّة أَيْـن أَنْـتَ يَـا بَـاغِيْـهَـا

وفي منتصف ليلة الخامس والعشرين من شهر شعبان، من سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة والف هجرية، هجمت قوات التوحيد هجمة رجل واحد، يريدون النصر أو الشهادة.

وكان الهجوم من الجناح الأيسر: وهم الفرسان وخط سيرهم عبروا وادى تربة ومهمتهم اقتحام مواقع السريتين الأولى والثالثة واللتين تحرسان الشريف عبدالله أنظر الخريطة(٢٥) ـــ، وقائد فرسان التوحيد هو خالد بن لوىء.

وقوات الوسط: وخط سيرها عبر آكام «الثَّغْر»، فوادي «ريْحَان» «فالحَزْم» حيث ترابط السرية الثانية من سلاح المدفعية ومهمتها القضاء على تلك السرية، والتقدم إلى مواقع الفوج الثامن داخل بلدة تربة وهم بقيادة سلطان أبا العلا.

وقوات الجناح الأيمن: شمال خط الوسط، ومهمتها الهجوم على مواقع الفوج الثامن القابع شمال البلدة ودك معسكره، وكان قائد الجناح ابن حميد.

واشتبكت القوات السعودية بالقوات الحجازية المسلحة، وتعالت أصوات القتلا والجرحى، وضل جند الشريف صرعى وكأنهم خشب مسندة، وحينما رأى حرسه قد قتلوا وكأنها عاصفة دمرتهم ركب فرسه وولى هاربا، وكان رديفه عليها ابن عمه الشريف علي بن زيد الذي حدثنى بهذا.

وما ظهرت شمس ذلك اليوم، الأثنين الموافق للخامس والعشرين من شعبان، حتى أصبحت بلدة تربة، وشعابها ومداخلها ومخارجها تسيل بالدماء، وتشاهد الجثث بالآلاف وكأنها أخشاب في فلاة.

وقد تحصن من الفوج الثامن أربعمائة وخمسة مابين ضابط وجندى في مقدمتهم قائدهم العقيد الركن: حلمي بك، اعتصموا جميعا في قصر «مُنِيْف» الواقع في الجنوب من بلدة تربة، ومعهم الشريفان «شاكر بن زيد، وعُون ابن هاشم» واللذان هربا حينما كان الأخوان يؤدون صلاة الظهر، وكان الأخوان قد أعطوا ساعة لمن يريد أن يسلم نفسه ممن اعتصموا بالقصر.

ولكنهم رفضوا التسليم، فأتاهم الاخوان واقتحموا جدران القصر على جذوع النخل، وكان ارتفاع الجدران ثمانية أمتار، من جهتيه الشرقية والشمالية، وعشرة أمتار من جهتيه الجنوبية والغربية.

وبعد أن تسلقوا جدرانه الأربعة وصعدوا فوق السقوف، قاموا بهدم الجدران على من بداخل القصر وما غربت شمس ذلك اليوم، حتى تم هدم القصر بكامله على من فيه، وتم قتلهم وعددهم أربعمائة وخمسة ضباطاً وافراداً ولم ينج منهم أحدا.

وبينما هم كذلك، اذ البشير ينادى بوصول الإمام عبدالعزيز بن سعود ومعه اثنا عشر ألف مقاتل إلى الخرمة.

فاستقبله القادة الثلاثة، وأطلعوه على ما حدث وعندما دخل تربة، وذلك في يوم الأثنين الثالث من أيام شهر رمضان، ورأى الجثث بالآلاف والدماء، وكأنها نزلت من عاصفة رعدية، هاله ذلك وافزعه، فوقف متألما وعيناه تفيض بالدموع وهو يقول:

«لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، حسبى الله على من كان السبب».

خسائر الطرفين :

قوات ابن سعود :

ثمانية وسبعون قتيلا وستمائة جريح، وكان عدد القوات خمسة آلاف وسبعمائة، منهم مائة وسبعون من أهل تربة انضموا إلى الاخوان قبل بدء المعركة، ومنهم مائتان وثلاثون خيّالا، والباقون مشاة.

قوات الشريف :

مقتل خمسة آلاف وخمسة وستين قتيلا، وجميع المدافع والذخائر والأسلحة والمؤن وعدد من صناديق الأموال، وقد سلم الضابطان سعيد كردى، ومحمد دسوقي، أنفسهما لعبدالعزيز في تربة.

وكان عدد قوات الشريف ثلاثة عشر ألفا وستمائة فردا، منهم (١١٠٠) نظامى، و(٥٠٠) خيال، و(١٢٠٠٠) من القبائل، وعشرون مدفعا وخمسة وعشرون رشاشا.

أعمال ابن سعود :

أقام عبدالعزيز ابن سعود في تربة، وأمر بدفن الموتى وجاءت إليه القبائل المجاورة، وقدمت له البيعة، ولما عزم على العودة إلى الرياض، وصلته برقية من الحكومة البريطانية، بعدم التوغل في الحجاز، ففقفل راجعا إلى نجد، وعين عبدالرحمن بن معمر أميرا على تربة، ومعه سرية أكثر أفرادها من موالى ابن رشيد الذين فروا إلى ابن سعود، من جور ابن رشيد واستعباده لهم في حائل.

ولكنهم مالبثوا أن خانوا ابن معمر، وفروا إلى الشريف في مكة فاستقبلهم وأكرمهم، لعله يحصل على مايفيده منهم.

أما الشريف عبدالله بن الحسين: فقد ولى هارباً إلى أبيه في مكة، يجر ذيول الهزيمة ولم ينفعه أجداده الهاشميون الذين أوكل نصره اليهم وعليهم، ونسى ربه الذي خلقه وخلقهم وتوفاهم انظر كلامه في ص (٢٥٩).

وهذا من الكفر والضلال والاعتقاد في المخلوقين، والكبرياء، وكل هذا من الشرك نعوذ بالله من ذلك.

أما الذين لايدعون مع الله أحداً، فقد نصرهم الله على قلة منهم في العدد والعدة، فاعتبروا يا أولى الألباب.

قصائد في فتح تربة

هذه القصيدة لسماحة الشيخ سليمان بن سحمان بمناسبة انتصار السلطان عبدالعزيز في معركة تربة فقال:

لك الحمد حمدا يملأ الأرض والسما ... وما شئته من بعد ذا غير نافد

الهي لك الحمد الذي أنت أهله ... فأنت الذي ترجى لكشف الشدائد

ولله رب الحمد والشكر والثنا ... وذو العرش أولى بالثنا والحامد

فقد جاءنا جند الضلال وأجلبوا ... بأحزابهم من كل غاو معاند

وساروا إلى الاخوان في عقر دارهم ... على كثرة الأعداء من كل جاحد

وفي قلة من أهل دين محمد ... ذوى الصدق في يوم الوغى والتجالد

وراموا أمورا لانطلاق عظيمة ... بأهل الهدى أهل التقى والمحامد

ولكن مولانا أجاد بفضله ... ومن بخذلان الطغاة الأباعد

و يا أيها الغادى على ظهر ضامر ... عرندسة تفرى لبيد الفدافد

تحمل هداك منى رسالة ... إلى الملك السامى يفاع الحامد

وأبلغه تسليما على البعد والنوى ... سلام بحب صادق الود حامد

وناد بأعلى الصوت ياصاح قائلا ... هنيئا لم الاسعاف يابن الأماجد

هنيئا لك العز الموطد بالعلا ... هنيئا كنهه غير نافد

وبهنيك ياشمس البلاد وبدرها بلوغ المنى من كل باغ معاند

فلا زلت منصورا على كل من بغى وكل أجير من ذوى البغى مارد

ولازلت في العز المؤثل والهنى يساعدك الاسعاف في كل وارد

لعمرى لنعم الحى من صحب خالد ومن خالد سامى الذرى والمحامد

حمو دراهم من كل طاغ مخادع وعن كل جبار عنيد معاند

وهم صبروا بل صابروا ثم رابطوا وقد جاهدوا واستنجدوا كل ماجد

وكم هاجروا لله في كل بلدة كأصحاب سلطان الحماة الأجاود

وهم سكنوا في (الغطغط) الواسع الذي به اغتبطوا لما بنوا للمساجد

ومن سكنوا في الدين واستوطنوا به واخوانهم من كل شهم مجالد

قبائل من قحطان من جاهدوا العدى ومن أهل (صبحا) من سموا في المشاهد

وأهل (سنام) هاجروا ثم جاهدوا بأسيافهم أهل الردى والمفاسد

همو قصدوا الأتراك حقا بجمعهم وما عاقهم عنهم أهاويل مارد

فطوبى لهم طوبى فقد أدركوا المنى وقد أدركوا فخرا وأجر المجاهد

واذ كنت يوما ذاكرا بفضيلة ومنقبة يثنى بها في المحاشد

فلا تنس حربا في الحروب فانهم حماة كماة في الوغى والمشاهد

واخوانهم من (شمر) حيث شمروا لحرب الأعادى والبغاة الأباعد

وأعنى بهم من هاجروا وتبؤوا ... بدخنة دارا قد زهت بالمساجد

ومن قبل كانوا في الجهالة والردى ... حيارى سكارى قد عثوا في المفاسد

فأنقذهم ربى من الجهل والهوى ... وأحياهمو محي الرياض الهوامد

وهذه قصيدة للشاعر الشيخ/ حمد بن مزيد بمناسبة انتصار القوات السعودية في معركة تربة.

فقال :

الحمد لله ذى الآلاء مولانا ... حمدا كثيرا على ماكان اولانا

واشكر الله شكراً لانفاد له ... وليس يحصى لذى الانعام شكرانا

وحسبنا الله مولانا وناصرنا ... على الذي رام للإسلام خذلانا

لقد أتى ابن حسين الوغد في خيلا ... بالكبر والفخر والاعجاب سكرانا

على ذوى الدين والإسلام ذا حنق ... بالغيض والحقد والعدوان ملآنا

يقود جندا كثير العد ذا عدد ... كادت تضيق به افواه ريعانا

بدوا وحضرا واسقاطا ملفقه ... من كل قطر واتراكا وسوادنا

جاؤا بهول عظيم من مدافعهم ... مع الكمائن تحكى ضوء نيرانا

قد سلسلوا عندها اصحابها حذرا ... من أن يفروا اذا وقت الوغى حانا

إلى قوله :

سلوا السيوف وبانوا من ثيابهموا ... واستبدلوها سرا ويلا واكفانا

جاؤه في حفر في الأرض خندقها | اعـد فيهـا دنـامـيـتـا ونـيـرانـا
وخـالـطوهم عيـانـا في خنـادقهم | واثـخـنـوهـم بحد السيف اثخانا
لمـا رأوا فـعـلـهـم فيـم وصبرهـو | الـقـو سـلاحـهـمـو ذلا واذعـانـا
وظل جند الهدى بالبيض ليحصدهم | حـصـاد زرع هـشيم وقـتـه حـانـا
ولم يـنـج منهم سوى قوادهم هربوا | عـلـى جـيـاد لهـم ذعـرا لمـا كانا
وخـلـفـوا خـلـفهم رغما مدافعهم | مـع المـكـائـن مـع بـز وعـقـيـانـا
اذ فـل عـبـدالعزيز الشهـم رايته | وجـاد بـالـنفس في مرضاة مولانا
في عـصبة من بـنـى الإسلام عادتهم | يـوم التـحام الوغـى تصريع اقرانا
وحـارب النـوم مع حلو الطعام ولم | يشرب لذيذا ولو ان كان عطشانا
وظـل كـالاسـد المـوذى بـغـابـتـه | لـه زئير ولم يـنـفـعـك غـضـبـانـا
حـتـى يـضـرج مـن آذاه فـي دمـه | ومـنـه يخـضـب اظـفـارا واسـنـانـا

وهـذه قـصيـدة جـادت بها قريحة شاعر نجد الشيخ/ محمد بن عبدالله بن عثيمين في هذه المناسبة.

فقـــــال :

عج بى على الربع حيث الرند والبان | وان نـأى عـنـه احـبـاب وجـيـران
فـللـمـنـازل فـي شـرع الهـوى سنن | يـدرى بهـا مـن لـه بـالحب عرفان

إلى قولـــــه :

والصائنين عن الفحشاء نفوسهم والمرخصيها اذا الخطى اثمان
خضل المواهب امجاد خضارمة بيض الوجوه على الأيام اعوان
غر مكارمهم حمر صوارمهم خضر مراتعهم للفضل تيجان
لكن أوراهم زندا وأسمحهم كفا واشجعهم ان جال اقران
عبدالعزيز الذي نالت به شرفا بنو نزار وعزت منه قحطان
مقدم في المعالى ذكره ابدا كما يقدم باسم الله عنوان
ملك تجسد في اثناء بردته غيث وليث واعطاء وحرمان
خبيئة الله في الوقت اظهرها وللمهيمن في تأخيرها شان
ودعوة وجبت للمسلمين به اما ترى عمهم أمن وإيمان
حاط الرعية من بصرى إلى عدن ومن تهامة حتى ارتاح جعلان
فجددوا الشكر للمولى وكلهم يدعو له بالبقا مابقى انسان
ورب مستكبر شوس خلائقه صعب الشكيمة قد اعماه طغيان
تركته وحده يمشي وفي يده بعد المهند عكاز ومحجان
وعازب رشده اذ خان مصرعه بخمرة الجهل والاعجاب سكران
امطرته عزمات لو قذفت بها صم الشوامخ اضحت وهى كثبان

عصائبا من بنى الإسلام يقدمهم — من جدك المعتلى بالرعب فرسان

ويل أمه لو اتاه البحر ملتطما — اذية الاسد والآجام مران

لأصبح الغر لاعين ولا أثر — أو شاعفته قبيل الصبح جنان

ومشهد لك في الإسلام سوف ترى — يوفى به لك يوم الحشر ميزان

نحرت هديك فيه المشركين ضحى — فافخر ففخر سواك المعز والضأن

ارضيت اباءك الغر الكرام بما — جددت من مجدهم من بعد مابانوا

نبهت ذكرا توارى منه حين علا — للمارقين ضباب فيه دخان

فجئت بالسيف والقرآن معتزما — تمضى بسيفك ما أمضاه قرآن

حتى انجلى الظلم والاظلام وارتفعت — للدين في الأرض اعلام واركان

دين ودنيا وبأس في الوغى وندى — تفيض من كفه بالجود خلجان

هذى المكارم لا ماروى عن هرم — ولا الذي قيل عمن ضم غمدان

اقول للعيس اذ تلوى ذفاريها — لالفها ولها في الدر تحنان

ردى مياها من المعروف طامية — نباتها التبر لاشيح وسعدان

تدوم مادامت للدنيا بشاشتها — فاسلم فأنت لهذا الخلق عمران

ثم الصلاة على الهادى الذي خمدت — في يوم مولده للفرس نيران

والآل والصحب ماناحت مطوقة — خضبا يميد بها في الدوح اغصان

الطائف

التعريف :

الطائف : بفتح الطاء المهملة المشدده وكسر الهمزة : هى احدى مدن اقليم الحجاز الرئيسه، وهى مصيف المملكة العربية السعودية منذ فتح الحجاز، لصفاء جوها وميوله إلى البرودة المعتدلة صيفاً وطيب مطعمها ومشربها.

قد ورد ذكرها في كتب واشعار المتقدمين، و يكفيها شرفا انها ذكرت في كتاب الله كما قاله المفسرون في كتب التفسير، عند تفسير الآية قول الله تعالى: (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)(١) . قال المفسرون: القريتان هما الطائف ومكة، كما ورد ذكرها في كتب السيرة مما لايتسع المجال لذكره هنا.

الموقع :

تقع الطائف بالنسبة للملكة في الناحية الغربية، وفي منحدرات جبال السروات الشرقية، وتقع بالنسبة لمكة المكرمة في الجنوب الشرقى، وهى في تقاطع خطى الطول ٢٥/ ٤٠° شرقا والعرض ١٨/ ٢١° شمالاً.

وهى رابع مدن الحجاز العظمى بعد مكة، وجدة، والمدينة المنورة، من حيث الكبر والتعداد السكاني.

أقرب المدن :

أقرب مدينة للطائف هى أم القرىٰ مكة المكرمة التي ترتبط بها بطريقين معبدين هما من أحدث الطرق في العالم.

---

(١) الآية: ٣١ من سورة الزخرف.

الأول : طريق جبلي عن طريق الهدى (عقبه كرى) وطوله (٨٤) كيلاً.
الثاني : سهلي وطوله (١٢٠) كيلا وهو طريق مزدوج سريع، وقد يسر المواصلات كثيراً لاسيا الناقلات، وما شابهها من السيارات الكبيرة.

ومدينة الطائف حلقة وصل بين مكة وجده، فهى ترتبط بالرياض بطريق معبد طوله أكثر من ثمانمائة كيل، وآخر مع أبها وطوله ٥٧٠ كيلا.

وفي غربها يقع وادي (المَحْرَمَ) يأتيه المسلمون من كل أقطار الجزيرة وامصارها، والدول الأخرى، فمنه يحرمون بالحج والعمره وهو في الطريق الجبلي، ومثله في قرية (السَّيْل) في الطريق الآخر، وهو ميقات ثاني مما زاد الطائف حيوية ونشاط في شتى المجالات.

تضاريسهـــا :

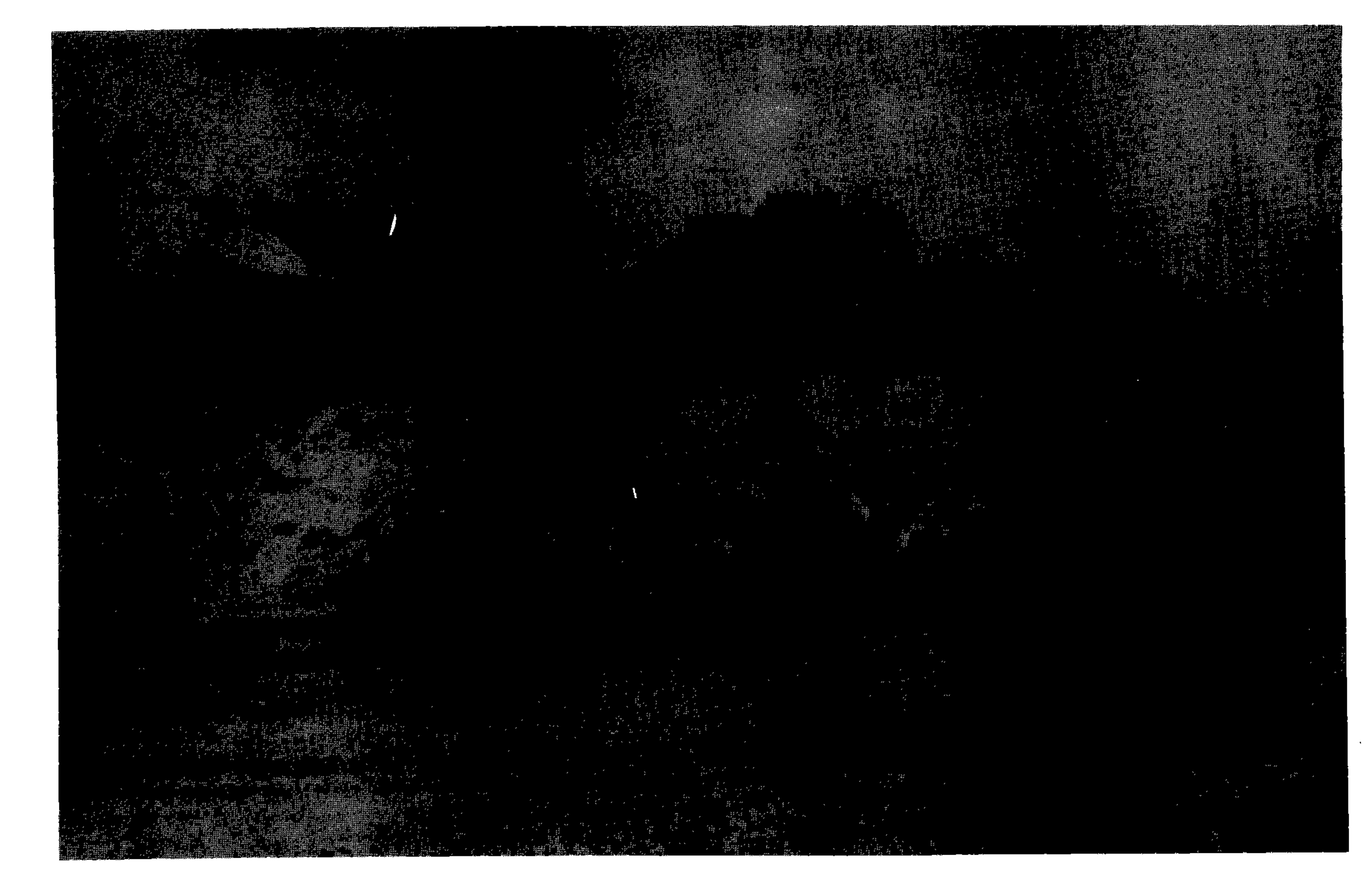
تنقسم المنطقة المحيطة بالطائف إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم الجبلى : ويمثل المرتفعات الكبرى التي يتجاوز ارتفاعها عن (٢٠٠٠) متر. إلى (٢٥٠٠) متر.

القسم الأوسط : ويمثل التلال التي يتراوح ارتفاعها من (١٧٠٠ــ٢٠٠٠) متر.

القسم الثالث : ويمثل السهول والصحارى التي يتراوح ارتفاعها من (٧٠٠ ــ ١٧٠٠)متر.

ومدينة الطائف، تقع في القسم الأوسط، مما تقدم وقد كان يحيط بها سور مبنى من الحجارة يرتفع من مترين إلى ثلاثة أمتار، يحيط بالمدينة من



في هذه الصورة يظهر سور الطائف من الناحية الجنوبية الشرقية وقد كان موقع هذا البرج إلى الغرب من حدائق نجمة وفي يسار الصورة يظهر حمام كان إلى الشرق من مسجد العباس وإلى الشمال الغربي من مستشفى الملك فيصل كان الناس يستحمون فيه واسمه (حمام الشفاء).

شرقها وجنوبها، كما يحيط بالسور خندق، بينه و بين السور سلك شائك وضعته القوات التركية قديماً، وكان لذلك السور أبواباً مشهورة معروفة هى:

١ ــ باب الريع و يقع إلى الغرب من مدينة الطائف القديمة.
٢ ــ باب العباس ويجاور مسجد العباس وهو باب المدينة الجنوبى.
٣ ــ باب ثالث وكان إلى الشرق من القشلة العسكرية السابقة (المعروف حالياً بمجمع الدوائر الحكومية.

انظر إلى خريطة الطائف يحيط بها السور نقلا عن مخطط عمله سلاح المدفعية العثمانية في سنة ١٣٣٤هـ [(١)]

المنـــــاخ :

مناخ الطائف جميل، فهو متوسط الحرارة صيفاً وتبلغ درجاتها مابين ٣٠ ــ ٣٨ درجة مئوية، وأما البرودة، فهو رطب غير جاف وتبلغ درجات البرود شتاء مابين ٨ ــ ٢٢ درجة مئوية.

الارتفاع :

ترتفع مدينة الطائف عن سطح البحر بـ(١٦٩٠) مترا.

الأمطـــــار :

يبلغ المتوسط السنوى ٢٤٥ مم.

---

(١) من كتاب ــ الطائف ــ للدكتور عبدالمجيد داغستاني ص ٢٧.

فتح الطائف والهدى

تقديم :

في سنة ١٣٣٨هـ منع الشريف أهل نجد من الحج، فكبر ذلك في نفوسهم لكن سياسة ابن سعود، كانت تسير بخطى ثابته موزونه، ولم يكن من المتسرعين ولا من المتهورين، ولا من المتكبرين؛ بل كان يتصف بصفات المؤمن (هين لين قوى البأس).

فهو الذي لم يقدم على أمر، إلا بعد دراسة كيفية الدخول فيه وكيفية الخروج منه، وماهى نتائجه هل ستكون سلبية أم إيجابية، وما مقدار الربح من الخسارة، هكذا كان.

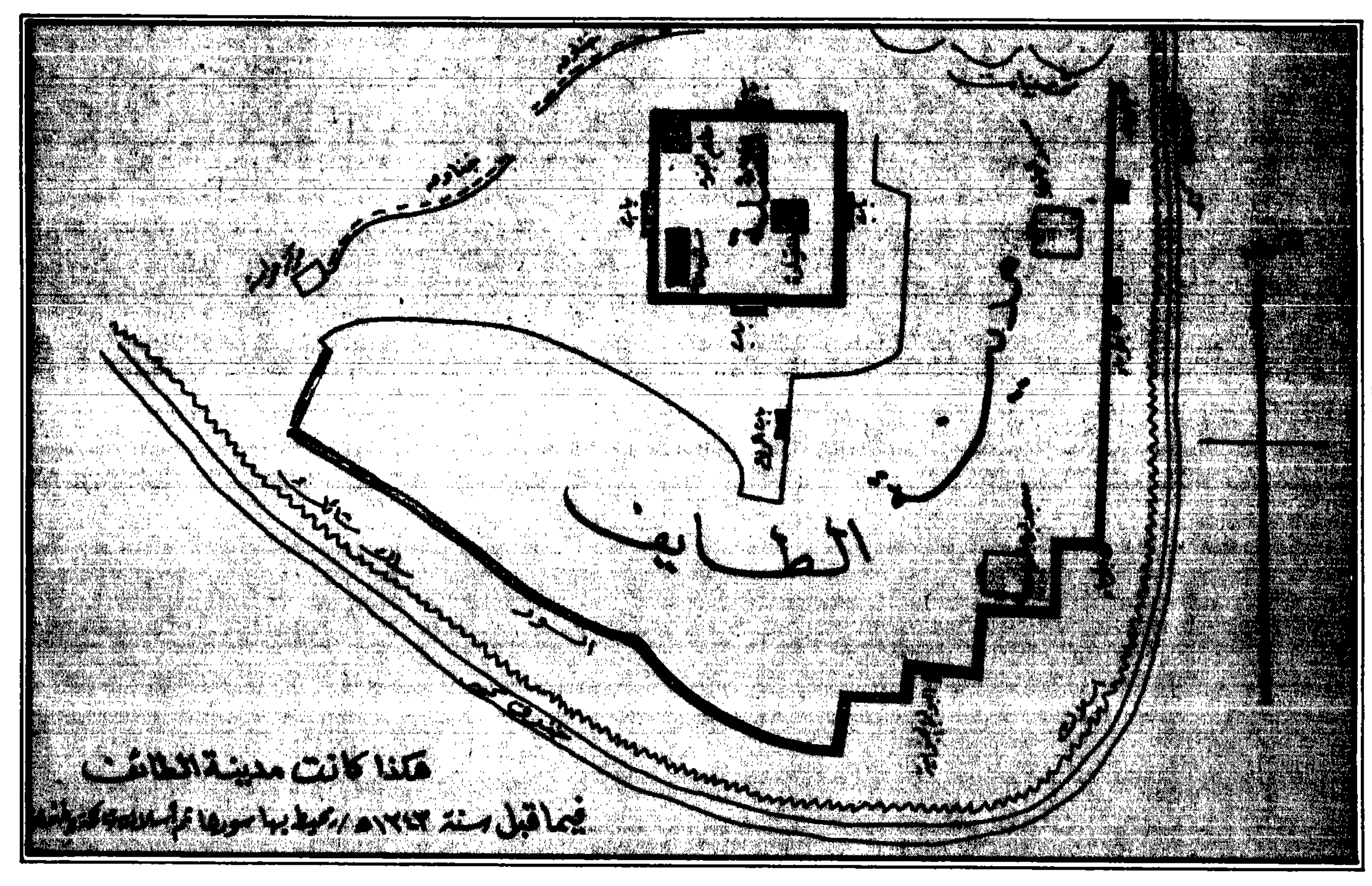
فبعد أن عادت سرياه من الشرق والشمال منتصره وقطع سبل الحيل على أهلها، فكر في فتح الطائف والهدى وما حولها؛ كخطوة أولى من تلك الخطى التي ينويها، ليرى مقدرته ومقدرة عدوه، وردود الفعل في ذلك من الصديق والعدو، فأمر بذلك.

الموقف العام :

السلطان عبدالعزيز :

أصدر أوامره بتشكيل قوة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل، وجعل مركز اجتماعها وتشكيلها (مدينة تربة)، وكانت بقيادة سلطان بن بجاد ابن حميد، وخالد بن منصور بن لوىء.

خرج القائدان بهذه القوة ولم يعلم بها أحد، لا من الأشراف ولا من


هكذا كانت مدينة الطائف
الطايف
السور

غيرهم في الحجاز عامة، وكان ذلك في الثامن والعشرين من محرم الحرام سنة ١٣٤٣هـ، ودخلت تلك القوة قرية «الحَوِيَّة» في مساء غرة صفر من ذلك العام، وتقع قرية (الحوية) في الشمالَ الشرقى من مدينة الطائف وعلى بعد خمسين كيلا.

الشريف :

علمت الحكومة الشريف فاستعدت، وأصدر ناظر الحربية الهاشمية اللواء صبرى باشا، أوامره إلى سرايا الدفاع بصد هجوم الاخوان القادمين من الحوية.

فخرجت اليهم قوة نظامية مسلحة بالمدافع والرشاشات قوامها ثلاثمائة وثمانون ضابطاً وفردا.

سير المعركة :

اشتبك الطرفان في موقع ملز الخيل حاليا بالحوية، وكان حين ذاك أرض صحراوية خالية من السكان والمزارع.

اسْتَعَرَتْ نار المعركة بينهما، وكانت الغلبة لقوات ابن سعود على قوات الشريف النظامية المسلحة.

فتقهقرت إلى الجبل المعروف (بريع التمار) والواقع في غرب فندق مسرة حالياً؛ بعد أن وقع منهم عدد من القتلى والجرحى وبقوا بذلك الجبل يقاومون القوات السعودية ثلاثة أيام.

وكان أمير الطائف ووزير الحربية الشريف شرف عدنان قد بعث تلغرافاً إلى الملك الحسين في مكة وأخبره بما وقع، ففزع الشريف وأصدر أمره

إلى ابنه عليا بنجدة الدفاع في الطائف، فخرج في قوة قسمها في مكة إلى قسمين:

القسم الأول : وهم الخيالة وقد أتوا عن طريق «عقبة كرى» «فالهدى» بقيادة الأمير علي.

القسم الثاني : فكان خط سيرهم عن طريق «الشرائع» ــ حنين ــ فوادي «السيل الكبير» فوادي «السيل الصغير»، لكنهم لم يصلوا إلا بعد دخول القوات السعودية مدينة الطائف واحتلالها.

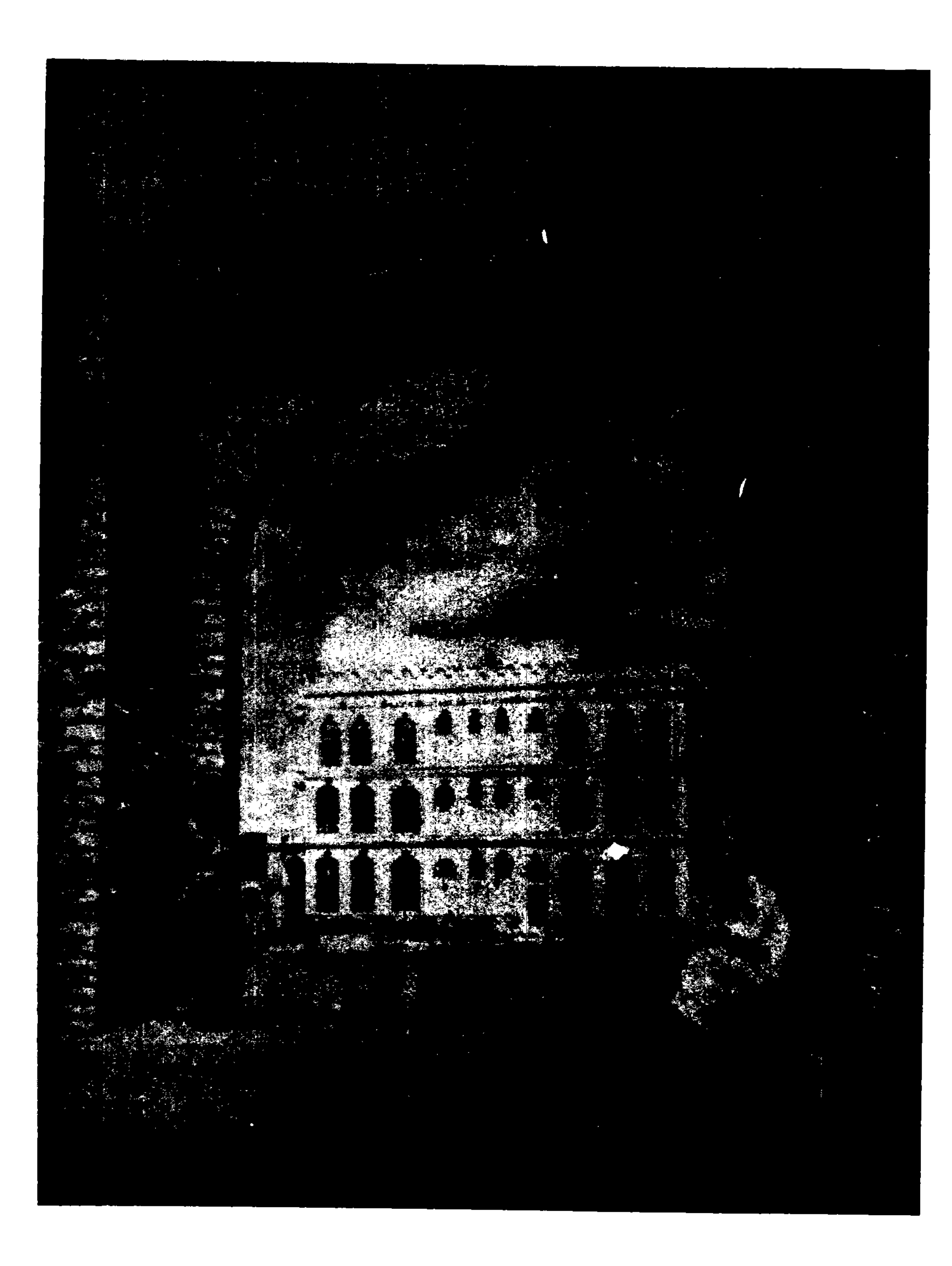
الأمير علي :

دخل مدينة الطائف ليلة الخميس الموافق للسابع من شهر صفر ١٣٤٣هـ، لكنه مالبث بها إلا بضع ساعات، ثم خرج منها قبيل عصر ذلك اليوم الخميس، وصعد إلى إلى «الهدى» هارباً بعد أن علم أن القوات السعودية ستهاجم الطائف تلك الليلة.

القوات السعودية :

انضم اليها أبناء البوادي من حول الطائف، فزاد عددهم وقوت شوكتهم، فتقدموا نحو الطائف وظلت قوات الشريف تتقهقر ساعة بعد أخرى، والاخوان من أهل التوحيد يتابعون فلولهم حتى اكتسحوا صفوفهم.

فدخلت بعض السرايا من قوات الشريف الطائف، وفر البعض الآخر إلى «الهدى»، ثم أخذ الذعر والويل سكان الطائف، وفي مساء الأحد الموافق (٩ منه) دخلت قوات التوحيد الطائف، وأوثقت عليه الحصار وعندما رأى تقدمهم أمير الطائف ووزير الحربية عدنان، هرب إلى «الهدى»، فلحق به جميع الأشراف في الطائف، وتمكنت القوات السعودية من اقتحام



سور الطائف، والدخول من باب عباس في صباح الأحد الموافق للعاشر من شهر صفر، وكان أول أعمالها أن أدت صلاة الظهر جماعة في مسجد ابن عباس، ثم خرجت تنادي الأمان لمن سَلَّمَ وسَالَمَ، والقتل والدمار لمن حَارَبَ واسْتَعْظَم.

لكن بعض تجار الطائف أخذوا يطلقون بنادقهم على الاخوان من شبابيك بيوتهم ظنا منهم، أن القوات السعودية ستنهب أموالهم وتسلب تجارتهم، فأما من حاربهم فقد نهبوه وقتلوه ودخلوا عليه في جوف داره، وأما من سالمهم وسلَّم لهم فلم يعتدوا عليه ولم يلحقوا به أى ضرر.

وما غربت شمس ذاك اليوم حتى سقطت جميع القرى المجاورة للطائف في يد القوات، وتم لهم حصر الأسلحة والذخائر والأموال التي خلفتها سرايا الدفاع في ثكناتها العسكرية.

الهدى[1]

الأمير علي :

اتخذ علي من قصر والده «بالهدى» مقراً قيادياً بعد هروبه من الطائف، وأخذ يحشد القوى من جميع القبائل، و يشكل منهم قوة قتالية ضد القوات السعودية، ولسوء حظه فاجأه أمير الطائف وناظر الحربية والأشراف كافة، بالفرار وأخبروه بأن الاخوان قد احتلوا مدينة الطائف، وأصبحت لهم السيادة عليها.

فما كان منهم إلا أن فكروا في الفرار من «الهدى»، فنزل ومعه الأشراف حتى اذا ما أتوا على وادي (نعمان)، علم والده فغضب عليه غضباً شديداً، وأمره بالعودة إلى «الهدى» واقامة الدفاع ضد القوات السعودية المهاجمة.

فعاد وأخذ يجمع القوات ويمنيهم بالعطاء من الملك الحسين حالة الانتصار، فاجتمع حوله ألف وستمائة مقاتل.

خمسمائة من النظاميين، وتسعمائة من القبائل، ومائتان من أهل مكة، وعسكر بذلك الجمع في «الهدى».

موقف القوات السعودية :

بعد أن تمت لها السيطرة على «الطائف» ومن حولها، أبقت في مدينة «الطائف» سرية للحفاظ على أمنها وأهلها، وزحف الباقون وعددهم ألفا مقاتل بعد أن تزودوا بالسلاح والذخائر مما غنموا في مدينة «الطائف»، إلى جبل «الهدى».

سير المعركة :

في منتصف ليلة السادس والعشرين من شهر صفر عام ١٣٤٣هـ، اشتبكت القوتان في معركة دامت عشر ساعات، انتهت صلاة الظهر.

فلما سكتت أصوات البنادق من الطرفين، ظن الشريف أن الاخوان قد انتهت ذخيرتهم وعادوا إلى «الطائف»، بينما كان توقفهم لأداء صلاة الظهر، ولم يكن بسبب انتهاء الذخيرة كما ظن، فعاد الهجوم وأخذ يدير المعركة من قصر والده، لكن القوات السعودية كانت أكبر من ذلك، فقد صدت هجوماً بل وهجمت هي عليه، فانهزم جيشه الهاشمي ولاذ بالفرار عبر جبل كرى إلى مكة، فتعقبتهم قوات ابن سعود من أعلى الجبل، وصبوا عليهم وابل من الرصاص فقتل منهم عدد كبير.

الخسائر :

جملة الخسائر في معركة الحوية والهدى وفتح الطائف لارتباط بعضها ببعض وبشكل متواصل وبناء على طلب الرواه فكانت كالآتي:

القوات السعودية : مقتل سبعة وأربعين وجرح سبعين.

قوات الشريف : مقتل ثلاثمائة وعشرة أشخاص، مائتين وسبعين من الجنود النظامين، والباقون من القبائل، واصابة سبعمائة بجراح، كما خسرت قوات الشريف ثلاثين رشاشا، ومئات من البنادق، وسبعة مدافع ومئات من صناديق الذخائر والأموال.

وهذه قصيدة للشاعر الشيخ/ حمود بن حسين الشغدلي يهنىء الملك عبدالعزيز ويحمد الله على فتح الطائف وسقوطها في ايدى القوات السعودية فقال :

لـه الحـمـد مولانـا الـه الـبـريـة كما يـنـبـغـى لله فـي كـل حـالـة

له الحـمـد ان اردى حسينـا وجنـده وحـل بـه مـن بـطـشـه شر نـقـمـة

فـا بين مـقـتـول ومـا بين شـارد ومـابين مـأسـور بـقـهـر وذلـة

بأيدي ذوي التوحيد من شاع ذكرهم اولـئـك اخـوان الـصـفـا والمـودة

ومـن بـذلـوا لله صـدقـا نـفـوسهم فـاعـظـم بـه بـذلا واكرم بـخـصـلة

وهـم جـنـد مـن فاق الملوك شهامة وعـلـما وعـدلا مـع سـخـاء وخـشـيـة

إمام الهـدى عـبـدالـعـزيـز بن فـيـصـل مـذيـق العـدى كـاسـات سـم المـنـيـة

فـأثـاره فـي الـعـالمين شـهـيـرة ويحـمـدهـا أهـل النهـى والبـصـيرة

أطـل لـنـا رب الـعـبـاد بـقـاءه يـعـيـش زمـانـا في حـبـور وغـبـطة

ومـن بـعـد ان الفتٰى البـشير مبـشرا بـذل الأعـادي وانـتـصـار الأحـبـة

وضـبـطـهـمو تـلـك الحـصـون بـطـائـف عـلى رغـم اصـحـاب الخـنـا والـشقاوة

وشـق اسـمـاع المحـبين ذكـره وسـيـرته لأهل التقى في الحـقـيـقـة

إلى قولـــــه :

فـكـن مـولـعـا في شـكـره متـذللا لـسـلـطـانـه فـالـعـز في ذا المـذلة

وعـنـوانـه والحـمـد لله ظـاهـر وتـذكـيـركـم لاعـن جـفـاء وغـفـلـة

ولـكـنا نـشـكـر المولى عند فضله لامـفـر شـيء لايـوافـي بـنـعـمـة

عـلـى انـنـا نـرجـوا الـكـريم بـلطفه لام الـقـرى تـسـلـيـمـهـا بـسـهـولـة

ويعلوا بها أمر الاله وشرعه — وتدرس من ارجائها كل بدعة

وتبدوبها لله يوما رؤسنا — ملبين للمولى بحج وعمرة

وتعنوا لمرضاة الاله وجوهنا — مهلين في لبيك من كل جهة

نعظم فيها البيت الحرام الذي — بتحريمه آى الكتاب تجلت

فلا جل ذا مال الجنود لغيره — فاعراضهم عن ذا لعلم وخبرة

وما ذاك من خوف الحسين وآله — ولا من بها من ذى جفاء وغفلة

ولكنه خوف من الله وحده — لتحريمه ارجاء بيت بمكة

ويارب فاقطع من يروم جناية — تدس على الإسلام ادنى دسيسة

وازكى صلاة مع سلام على الذي — به كان ختم الرسل خير البرية

كذا لال والأصحاب ما قال قائل — لك الحمد مولانا اله البرية

مكة المكرمة

هي قلب الكرة الأرضية وأم القرى قال الله تعالى:

(ولتنذر أم القرى ومن حولها)[1] .

وهي صفوة الأرض، فقد اصطفاها الله من السبع الأراضين، وطهرها وجعلها أقدس بقاع الدنيا، اسمها (بَكَّة)[2] بالموحدة التحتية، ثم أمر الملائكة بوضع قواعد بيته العتيق فيها، وهو أول بيت وضع لعبادة اللهِ وحده، ومن ذلك قوله تعالى:

(ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين)[3] .

والبيت هي: الكعبة المشرفة ومن ذلك قوله تعالى:

(جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) .

فالكعبة بيت الله جل جلاله، وهي أول بناء على ظهر الأرض، فلم يكن في الأرض بيت سواها، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد أَخْتُلِفَ في بناء الكعبة هل هو قبل ابراهيم، أم بعده، والصحيح الراجح، أنها مبنية من قبل ابراهيم لشواهد، الأول:

ما أخبر به سبحانه من قول ابراهيم، عندما جاء بزوجته هاجر، وابنه اسماعيل من فلسطين إلى مكة:

---

(١) الآية: ٩٢ من سورة الانعام.

(٢) الآية: ٩٦ من سورة آل عمران.

(٣) الآية: ٩٧ من سورة المائدة.

(رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عندبيتك المحرم)[1].

أما الدليل الثاني: فهو ما أخبر به الصادق الأمين عن ربه، بشأن حرمتها فقال:

(ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض...)[2] الخ.

وهذا مما يثبت أن الله تبارك وتعالى، خلق مكة وحرمها وأمر ببناء البيت، يوم خلق السموات والأرض.

ثم أوحى الله إلى ابراهيم وابنه اسماعيل، أن يرفعا قواعد البيت المبنية من قديم فقال سبحانه:

(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل)[3].

ويقال أنه تم بناء البيت فيما قبل عام (٢٥٠٠) قبل الميلاد. وهذا مما لاشك فيه أن البيت كان عامراً، لكن يحتمل أمرين أحدهما:

أن البيت كان مبنيا ثم دُرِس فأوحى الله إلى ابراهيم أن يجدد بناؤه.

والثاني : أنه لم يبني منه سوى القواعد والسيسان الأرضية، ثم أوحى الله إلى ابراهيم أن يظهره، برفع قواعده واتمام بنائه، ليظهره للناس حتى يكون لهم رمزاً على طاعة الله، فيطوفون به، ويقيمون الصلاة بجواره، ويتخذه

---

(١) الآية: ٣٧ من سورة إبراهيم.

(٢) اخرجه البخارى في كتاب العلم وفي الجنائز وفي الحج وفي الصيد وفي البيع وفي الجزيه وفي المغازى. والترمذى في الحج والديات وابن ماجة في المناسك والإمام أحمد في مسنده ج١/ ٢٥٢، ٢٥٩، ٣١٥ وج/ ١٩٩، وج٦/ ٣٨٥.

(٣) الآية: ١٣٧ من سورة البقرة.

الناس في شتى المعمورة قبلة، ويحجون إليه، و يعتكفون عنده، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومكة بلد الله الأمين، الذي أقسم الله به في كتابه العزيز فقال:

(لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد)[١] وقوله تعالى:

(والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين)[٢].

حرمها ابراهيم بأمر من ربه فهي محرمة لايقاتل فيها، ولايعضد شجرها ولايختلى خلاها، ولاينفر ولايصطاد صيدها، لما روي:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لى إلا ساعة من نهار، فهو حرام يحرمه الله إلى يوم القيامة لايعضد شوكه، ولاينفر صيده، ولايلتقط إلا من عَرَّفَها، ولايختلى خلاها)[٣].

وخلق الله سبحانه وتعالى، أكرم خلقه وصفوته، وسيد الأولين والآخرين، والشافع المشفع في المحشر، خاتم النبيين والرسل، وامامهم محمد (صلى الله عليه وسلم) في مكة ومن أهلها.

وأنزل عليه الوحي ــ بالقرآن العظيم ــ دستور الدنيا إلى يوم القيامة، فهي مهبط الوحي.

---

(١) أول سورة البلد.

(٢) أول سورة التين.

(٣) سبق تخرجه.

نسأل الله أن يزيدها أمناً وعزة ورفعة وطهارة، ويزيدنا بها محبة وايماناً، انه سميع مجيب.

وصفها الطبيعي :

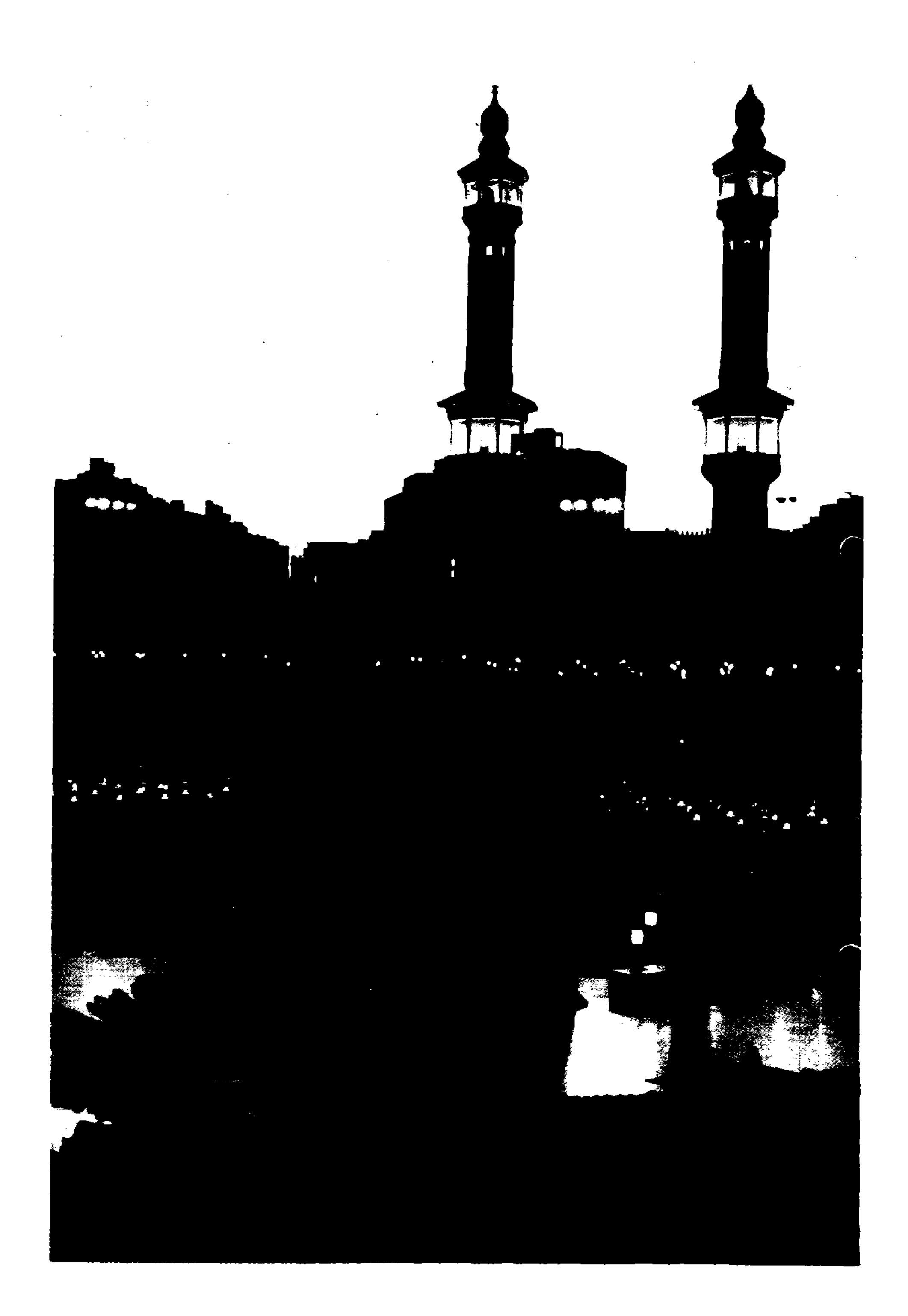
أرض جبلية عالية يخترقها ذلك الوادى المبارك الكريم، الذي لازرع فيه ولا ثمر، وعلى تراب ذلك الوادى الطاهر، توجد (مكة) ويوجد بيت الله الحرام ولكعبة المشرفة، وبئر زمزم.

مناخـــــها :

حار في الصيف متوسط رطب في الشتاء، تبلغ درجات الحرارة فيها صيفاً مابين ٤٢ ــ ٤٥ درجة مئوية.

وتبلغ شتاء مابين ٢٨ ــ ٣٤ درجة مئوية.

يقع في شرقها المقدسات الإسلامية، فمنى تقع في أعلاها، وفي أعلى منى توجد مزدلفة والمشعر الحرام، وفي شرقها توجد عرفات، كما يوجد في مكة غار حراء الذي نزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) الوحي فيه، وغار ثور الذي اختفى فيه النبي (صلى الله عليه وسلم)، وأبو بكر عن المشركين في أول ساعة من ساعات الهجرة.



فتح مكة المكرمة

تقديم :

بعد أن تم للقوات السعودية فتح الطائف والهدى، توقفت القوات، وأرسل القائدان رسالة إلى السلطان عبدالعزيز في الرياض يخبرانه بما عملاه، وبما حققا من نصر، وطلبا منه الأذن لهما بمواصلة الزحف إلى مكة المكرمة لاحتلالها.

الموقف العام :

وصلت الرسالة إلى السلطان عبدالعزيز، فقام باستفتاء العلماء في دخول مكة، وكيف يجب أن يكون احتلالها ودخولها.

العلمـــــاء :

العلماء يفتون «أن لكم دخول مكة ، ولكم أن تأخذوا العمرة والحج، وتدخلوها منكسي السلاح، منادين بالآمان لأهلها، ولكم الإقامة فيها، ولكم الاجتماع والتفاوض مع من شئتم فيها، من الأمراء والعلماء ويحرم عليكم القتال مطلقا».

السلطان عبدالعزيز

بناء على ما أفتى به العلماء، كتب ابن سعود إلى القائدين بالتمشى بمقتضى الفتوى.

القائدان :

بعد أن وصلت اليها رسالة ابن سعود، و برفقها صورة من الفتوى سارا بقواتها إلى مكة المكرمة، وكلهم بملابس الإحرام منكسي السلاح، وقد ملأت أصواتهم بالتلبية فجاج مكة، وقد بعثوا منهم من ينادون بالأمان في شوارع مكة، و بفضل الله سبحانه وتعالى، دخلوها آمنين، واستقبلوا بالآمان وطافوا حول البيت، ثم سعوا، و بعد التحلل من الإحرام، تسلموا زمام الأمور في مكة المكرمة، وذلك في يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الأول ١٣٤٣هـ، الموافق للثالث عشر من شهر أكتوبر سنة ١٩٢٤م بدون أية مقاومة، وتولى خالد ابن لوىء إدارة شئونها حتى وصل السلطان عبد العزيز من الرياض.

خلع الحسين

بعد أن أُحْتُلّ الطائف من قبل القوات السعودية، وهزمت قوات الشريف النظامية فيه، وفرت أشتاتاً إلى مكة وعلى رأسها الشريف علي ابن الحسين الذي اعتصم في بيت والده بالهدى.

شاعت أخبار ذلك في أهالي مكة، وعندهم أخبار معركة تربة الشديدة، فأخذهم الخوف، وأخذوا في الخروج، فقام الشريف يظهر أمامهم شجاعته ومقدرته على مقاتلة السعوديين واسترداد الطائف منهم.

فحشد قواته وأرسلها إلى ابنه، وكان منهم مائتان من أهل مكة فلما وصلت قوات الشريف «الهدى».

هجمت عليها القوات السعودية، ففتكت بها ولم يعد منهم إلا القليل.

أهل مكة يسودهم الخوف من القوات السعودية من جهة، ومن عزم الشريف الحسين على مقاتلة الأخوان في شوارع مكة ودورها كما يقول.

ويعلمون أن السعوديين لامفر منهم، وأنهم إلى مكة داخلون فأخذوا يفرون إلى جدة ومنها إلى مصر، وسوريا، والسودان، وفلسطين، للنجاة بأرواحهم.

وبينما الشريف يفكر في وسيلة تحول دون دخول القوات السعودية مكة، إذ به يتلقى أكبر من ذلك وامر.

فقد اجتمع أشراف وعلماء ورؤساء الحجاز في جدة، وبعثوا إليه بالبرقية التالية:

جدة في ٤ ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة

«بما أن الشعب الحجازى بأجمعه، واقع الآن في الفوضى العامة بعد فناء الجيش، المدافع، وعجز الحكومة عن صون الأرواح، والأموال وبما أن الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد، مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة، وبما أن الحجاز بلد مقدس، يعنى أمره جميع المسلمين لذلك.

قررت الأمة نهائيا تنازل الشريف، وتعيين ابنه الشريف «علي» ملكاً على الحجاز فقط، مقيدا بدستور ومجلسين وطنيين على شريطة، أن ينزل على رأى المسلمين وأهل الحجاز في تحقيق اماهم ورغباتهم، فنرجوا التكرم بتنفيذ هذه الرغبة لتضيفوا هذه المكرمة إلى سابق خدماتكم للإسلام ولأمة مولاى».

ثم وقع على هذه البرقية مائة واربعون من الاعيان، وارسلت بعد ظهر ٣/٤ فأجاب عليها بعد أن أخذ رأى ابنه علي في ذلك.

مكة ٥٤٠ نوفمبر ٣/٤/٥ الساعة ٣ ليلا عدد ٦٨ بواسطة قائم مقام جدة.

«إلى الهيئة الموقرة مع الممنونية والشكر، هذا أساس رغبتنا التى أصرح بها منذ النهضة وإلى تاريخه، وقد صرحت قبله ببضع دقائق أنى مستعد لذلك بكل ارتياح اذا عينتم غير «علي» واني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح.

التوقيع الحسين

لكنهم يصرون على ان يكون «عليا» هو الملك، والشريف الحسين يرفض ذلك، وبعد اتصالات هاتفية بين الحسين وبين كل من: «سليمان قابل» رئيس بلدية جدة والشيخ «محمد نصيف» وطاهر الدباغ» سكرتير الحزب الوطني وعدد من اعضائه.

أعلن الحسين في الساعة الرابعة ليلا من مساء يوم الجمعة ٣/٤ تنازله في برقية بعث بها إلى الحزب الوطنى الحجازى.

فتقبل الحزب ذلك بالفرحة والسرور، واعلن الحزب مبايعته للشريف علي بن الحسين ملكاً على الحجاز في صباح ٥ ربيع الأول في جدة.

وفي يوم ٦ ربيع، عاد الملك علي إلى مكة وفي يوم ١٠ ربيع الأول وصل الحسين إلى جدة، وأبى أن يقابل أحدا، وفي يوم ١٥ ربيع، تخلى الملك عن مكة، وانتقل ليلة ١٦ إلى جدة وفي صباح يوم ١٦ ربيع الأول نزل الحسين وحرمه إلى البحر ولم يخرج ابنه على لوداعه، وأبحر على سفينة «الرَّقْمَتَيْن» واتجه إلى العقبة وبقت قصوره في مكة يومين خالية

وفي يوم ١٧ دخلت القوات السعودية. مكة المكرمة.

رحلة السلطان عبد العزيز إلى مكة

في أول شهر ربيع الثاني من سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة وألف هجرية طلب السلطان عبدالعزيز من أعيان القبائل في نجد الحضور فحضروا إليه في الرياض.

وبعد أن اجتمع الجميع خطب فيهم قائلا :

«أنى مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم التي أرهقت كل العباد، انني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة وتأييدها.

ان مكة للمسلمين كافة، وسنجتمع هناك بوفود العالم الإسلامي، فنتبادل وإياهم في الرسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية، وسيكون الحجاز مفتوحاً لكل من يريد عمل الخير من الأفراد والجماعات».

شئون البلاد الخارجية :

بعث السلطان قبل السفر إلى الإمام يحيى وغيره من أمراء الإسلام المستقلين بالكتاب الآتى:

«بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فقد استقبلت الطريق إلى مكة غير باغ ولا آثم، فليتفضل الأخ العظيم بإرسال من يمثله في مؤتمر مكة حبا بنشر السلام بين أمم الإسلام».

التوقيع سلطان نجد/ عبدالعزيز

شئون البلاد الداخلية :

جعل والده الإمام عبدالرحمن مرجعاً أعلى وأناب مكانه في العارض ابنه سعود على أن يعمل بمشورة جده عبدالرحمن.

وجعل ابن عمه الأمير عبدالله بن جلوي على حدود العراق لصد شرور الشمال، وجعل على حدود سوريا أيضاً الأمير عبدالعزيز بن مساعد لمنع مساعدات الشريف عبدالله بن الحسين.

ثم كتب إلى أهل بريدة وعنيزه والى بعض هجر الأخوان أن يتواجدوا بألويتهم وجموعهم إلى أماكن عينها لهم.

وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر ربيع الثاني استقل السلطان موكبه المبارك من الرياض وخرج بفرسانه وحاشيته من كتاب السر والعلماء وعلى رأسهم الشيخ «عبدالله بن حسن آل الشيخ» قاضي القوات والشيخ «عبدالرحمن بن عبداللطيف» أمامه ومن أسرته أخواه «محمد» و«عبدالله» وابناه «محمد» و«خالد» وبعض مستشاريه.

وكذا بعض نفر من الأعيان من آل ابن رشيد وآل السبهان.

وبعد أن اجتاز منطقة الوشم فوادي «السر» لحق بموكبه السلطانى في «الشَّعْراء» خمسة عشر لواءا منهم خمسة ألوية من أهل القصيم وهم من «بريدة»، والبكيرية، والمذنب، والخبراء» وغيرها وعشرة آلاف من هجر «دخنة، والداهنة، ونفي، والشبيكية» وغيرها.

وبقى الموكب سائرا أربعة وعشرين يوماً وكان يسير سيراً معتدلا لا كالقوافل ولا كالجيش، وكان يقف يوماً أو يومين على بعض المياه القريبة

من العمران وكان السلطان يستقبل الوفود من المسلمين وكان يستمع إلى شكاياتهم، وكان معدل سيره اليومى من ثمان ساعات إلى خمس عشرة ساعة كل يوم وكان يمشى بنظام عسكرى.

السلطان والمكتبة المحمولة :

كان ابن سعود خلال سيره يحمل معه على راحلته كتب السيرة لابن هشام وصحيحى البخارى ومسلم وتاريخ ابن الأثير.

اذا أراد القراءة تناول أى منها من حقيبته وقرأ فيها ماشاء فاذا مَلَّ القراءة أمر بالراوى «العُجَيْرى» فيدنو منه فيأمره بالقراءة في الأدب والتاريخ والشعر وكان العجيرى ذا ذاكرة لامثيل لها فقد قيل أنه كان حافظاً لكتاب الأغاني، والكامل، والبيان والتبين، والكشكول وكان حسن الصوت ذو أدب ونطق في الالقاء.

اما اذا حط الركب فإنه يأمر أحد المشايخ أو العجيرى بتلاوة ماتيسر من القرآن مرتلا لا سيا في ساعة الفجر أو بعده وفي ضحوة النهار.

الذكر والدعاء :

كان السلطان اذا اراد تحرك الجمع قام وهو يقول (توكلنا على الله اركب يا ابن مطرف) ـــ وهو عبدالرحمن بن مطرف حامل الراية وأول من يعلن التحرك ـــ و بتحركه يتحرك الجميع.

وكان السلطان اذا استوى على راحلته تلى قوله تعالى:

(سُبْحَانَ الَّذي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِيْنَ، وَإنَّا إلَى رَبنَاَ

لَـمُـنْـقَلِبُونَ)[1] ثم يدعو ببعض الدعاء النبوى المأثور وليس هنا موضع حصره، ومن أراد أن يرى الآيات القرآنية التي كان يتلوها والأحاديث النبوية التي كان يرددها فلينظر إلى:

(الوِرْد المُصَفَّى المُخْتَار ــ من كَلاَمِ اللهِ تَعَالَى وكَلاَمِ سَيِّدِ الأبْرَار) فهو كتيب من تأليف السلطان عبدالعزيز آل سعود، وقد طبع أكثر من عشرين طبعه.

السلطان يتلقى البرقيات :

وبعد اجتياز موكبه «للريان» فوادى «الرشا» الواقع بين جبلا «شهلان» و«الخوار»، وصل إلى مورد «المَصْلُوم».

وهناك التقى برسول من سلطان ابن بجاد وخالد بن لوىء يحمل معه كتاباً منهما، وقد ضمناه كتاب آخر من قناصل «بريطانيا، وايطاليا، وايران، وفرنسا، وهولندا» المقيمين في جدة، كانوا بعثوه للقائدين في مكة، وفيه يخبر القناصل التزامهم جانب الحياد مما يجرى بين الشريف والقوات السعودية.

وكان ذلك من أول انتصارات ابن سعود على الشريف فقد فرح ابن سعود بذلك فرحاً شديداً، وأعجب بهم فكتب اليهم هذا الخطاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤م.

---

(١) الآية: ١٣، ١٤ من سورة الزخرف.

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة الكرام قناصل الدول العظام في جده، معتمد الدولة البهية البريطانية، وقنصل جنرال الدولة الايطالية، ووكيل جنرال الجمهورية الفرنسية، ونائب قنصل مملكة هولندا، ووكيل قنصل شاه ايران المحترمين.

بعد اهداء مايليق بجانبكم من الاحترام، نحيط علمكم بأننا أحطنا علما بكتابكم ــ المؤرخ في ٤ نوفمبر ــ المرسل إلى أمراء جيشنا خالد بن منصور، وسلطان بن بجاد بخصوص موقف حكوماتكم ازاء الحرب الواقعة بين نجد والحجاز.

ولقد كنت أود من صميم قلبى أن تحقن الدماء وتنفذ رغائب العالم الإسلامي الذي ذاق المتاعب في السنوات الثمان الأخيره، ولكن الشريف عليا ابن الحسين بموقفه في جده لم يجعل لنا مجالاً للوصول إلى أغراضنا الشريفه. ولذلك فإنى حباً لسلامة رعاياكم ومحافظة على أرواحهم وأملاكهم وما قد يحدث لهم من الأضرار أحببنا أن نعرض عليكم ما يأتى:

أولاً : أن نخصص مكانا ملائما لرعاياكم في داخل جده أو خارجها وتخبرون بذلك المكان، لنرسل اليهم من رجالنا من يقوم بحفظهم ورعايتهم.

ثانياً : اذا أحببتم أن ترسلوهم إلى مكة ليكونوا في جوار حرم الله بعيدين عن غوائل الحرب وأخطارها فإننا نقبله على الرحب والسعه وننزلهم المنزلة اللائقة بهم، واننا نرجوكم أن ترسلوا كتابنا طيه إلى أهل جده حتى يكونوا على بينه من أمورهم واننا لانعد أنفسنا مسئولين عن شيء يقع بعد بياننا هذا، وتقبلوا في الختام تحية خالصة منى».

الختم

أما الخطاب المذكور بطيه والمرسل إلى أهل جدة فهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها عدد ١١٥ في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ «من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود إلى أهالى جدة كافة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

فلابد أنه بلغكم أن أغلب العالم الإسلامي قد أبدى عدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين واولاده وحباً لسيادة السلام وحقن الدماء نعرض عليكم انكم في عهد الله وأمانه على أموالكم وأنفسكم اذا سلكتم مسلك أهل مكة، وبالنظر إلى وجود الأمير علي بين أظهركم وخروجه عن الرأى الإسلامي فلن نعرض عليكم الخروج من البلد إلى مكان معين أو القدوم إلى مكة سلامة لأرواحكم وأموالكم، أو الضغط على الشريف علي واخراجه من بلادكم فإن فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور أو موالاته فنحن معذورون أمام العالم الإسلامي وتبعة ماقد يقع من الحوادث، تكون على المتسبب والسلام».

الخــــــــــتم

ثم أرسل الكتابين إلى القناصلة في جده.

السلطان يواصل سيره :

ثم واصل الموكب سيره واجتاز جبل «النير» ثم «الدفينه»، ثم «الحَرَّة» ثم «ميران» وهي قرية قديمة.

ثم وصل الموكب إلى عشيرة في يوم ٢٩ ربيع الثاني.

فأقام السلطان فيها يوما يتقبل الوفود التي جاءت من جهات الحجاز للسلام عليه، وكان يتقدمهم القائد سلطان بن بجاد وعدد كبير من أشراف الحجاز وعظماءه.

ثم واصل الموكب سيره إلى وادى «السَّيْل» حيث «الميقات» فأحرموا هناك ثم انحدروا في وادى «السَّيْل» بين تلك الجبال الشامخة حتى وصلوا قرية «الزَّيْمَة»، ثم ساروا حتى حطوا رحالهم في «الأَبْطَح» في أعالى «مكة المكرمة» فاستقبلهم أهل «مكة» هناك بالتهليل والتكبير والترحيب وبعد استراحة قليلة ركب السلطان حصانه ثم تقدم نحو الحرم وكان الوقت هو قبيل عصر يوم الخميس الموافق للسابع من شهر جمادى الأولى من سنة ١٣٤٣هـ وقد ارتفعت أصواتهم بـ«لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك... الخ».

فملأت أصواتهم فجاج «مكة» فرددت صداها الجبال والوهاد، وملأت جموعهم البيضاء الأودية والشعاب، والشوارع والأزقة، فلما اقترب السلطان وجيشه من المسعى، ترجل وسار إلى الحرم فدخلوه من باب السلام، وطافوا ثم صلوا صلاة العصر ثم سعوا، ثم عادوا إلى المخيم المعد لنزولهم في المعابده.

احتفال بلدية مكة :

وفي صباح يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى نصبت بلدية مكة سرادقاً كبيراً وأقامت احتفالاً عظيماً على شرف عظمة السلطان عبدالعزيز آل سعود.

وبعد أن أخذ مكانه في السرادق تقدم إليه الأمير خالد بن لوىء فاستأذنه، وقدم له الشيخ عبدالقادر الشيبى عميد بنى شيبة، وسادن الكعبة وكبير أعيان مكة، فسلم على السلطان ثم قدم له أعيان مكة.

وكانوا قد تعودوا على تقبيل اليد من الحكام الأول فلما دنوا منه يريدون تقبيل يده، نهاهم السلطان عبدالعزيز قائلا: «المصافحة من عادات العرب، وعادة تقبيل اليد جاءتنا من الأجانب، هذا مايفعله الأعاجم بملوكهم».[1]

فحسن كلامه في نفوس القوم واستبشروا به واعجبوا كثيراً.

ثم قدم له الأمير خالد الأخوان في مكة، فسلموا على السلطان وبعد أن انتهى من استقبال المسلمين.

بدأ العرض العسكرى للقوات السعودية، فاستعرض الخيالة ثم المشاة، وبعد ذلك وقف السلطان وبين لهم أنه لم يأتهم مقاتلاً ولا ظالماً، وانما جاء ليخلصهم من جنود الحسين وعسفه، وليبسر للمسلمين سبيل الحج إلى بيت الله الحرام، جاء ليدعو الناس إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) ويبسط لهم حقيقة الوهابية ليفهم الناس عنها، أنها فكرة صحيحة بعيدة عن الأعراض وأقوال الكاذبين، وأبدى أسفه لما حدث في الطائف ووعد بتعويض المصابين بضياع الأموال.

ثم تقدم إليه الشيخ عبدالقادر الشيبى، وطلب تعيين ساعة الاجتماع بعلماء المسجد الحرام فأجابه، وقال في الساعة الثامنة من الغد بدار الحكومة.

وفي الصباح الباكر اجتمع العلماء، ثم حضر جلالة السلطان عبدالعزيز وبعد الخطب وكلمات الترحيب من المجتمعين، ارتجل جلالته كلمة مما جاء فيها:

نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو رب هذا البيت العتيق. ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ايضافة إلى الرواة انظر تذكرة اولي النهى والعرفان ج٣/من ص ٨٩/٧٨.

أما بعد فلم يقدمنا من ديارنا إليكم إلا انتصارا لدين الله الذي انتهكت محارمه، ودفعا لشرور كان يكيدها لنا ولديارنا من استبد بالأمر قبلنا، وقد شرحنا لكم غايتنا هذه من قبل، وهانحن أولاء بعد أن بلغنا حرم الله نوضح لكم الخطة التي سنسير عليها في هذه الديار المقدسة لتكون معلومة عند الجميع فنقول:

سيكون أكبر همنا تطهير هذه البلاد المقدسة من الأعداء أنفسهم الذين مقتهم العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها بما اقترفوه من الآثام في هذه الديار المباركة.

إن مصدر التشريع والأحكام لا يكون إلا من كتاب الله، ومما جاء عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، أو ماأقره علماء الإسلام الأعلام بطريق القياس أو أجمعوا عليه مما ليس في كتاب ولا سنة، فلا يحل في هذه الديار غير ما أحله الله، ولا يحرم فيها غير ماحرمه.

لاكبير عندي إلا الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى آخذ الحق منه، وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ولايقبل فيها شفاعة، فمن التزم حدود الله ولم يتعدها فأولئك من الآمنين، ومن عصى واعتدى فإنما أثمه على نفسه ولا يلومن إلا نفسه. والله على مانقول وكيل وشهيد، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم [1] .

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

١٢ جمادي الأولى سنة ١٣٤٣هـ

وهذه قصيدة الشيخ/ محمد بن عثمان البقى يهنيء الملك عبدالعزيز بفتح مكة، فقال:

---

(١) جزيرة العرب لحافظ وهبة ص ٢٧٠ وتذكرة أولي النهي والعرفان ج ٣ / ٨٥.

فأم القرى تدعوك قد مسها الضنا … وقد مرضت من فعل طاغ وناكب

اتتك تجر الذيل هيفا مليحة … معندمة الخدين اجمل كاعب

وقد عزفت عن كل بعل وخاطب … لأجلك يابن الامجدين الاطائب

فهيء لها مهرا من البر والتقى … وطهر حماها من جميع المعائب

وحكم بها شرع الاله ودينه … تنل من اله العرش اسنى المطالب

فكن شاكرا لله جل جلاله … فقير الايادى شكر مسدى المواهب

إلى قولـــــه:

فانا بحمد الله لارب غيره … على المنهج المختار ختم الاطائب

فلا ندع غير الله جل جلاله … تقدس عن ند مقول لكاذب

وندعوا إلى التوحيد سرا وجهرة … إلى أن يكون الدين خالى الشوائب

ونأمر بالتقوى ونهى عن الردى … وندعوا لحج البيت لافعل كاذب

ومن صد عن ذا أو تمرد واعتدى … سنسقيه كأسا من سموم العقارب

ونلقمه صخرا ونشدخ رأسه … إلى أن يرى للدين أول لاحب

وقل للعدى في كل قطر وجانب … وكل النواحي عجمها والاعارب

انيبوا والا فاستعدوا واجمعوا … لبيض وفرسان وجرد شوارب

جنود تريكم في ضيا الشمس ظلمة … ترى البيض فيها كالنجوم الثواقب

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم … عصائب طير تهتدى بعصائب

جـــدة

التعريـــــف :

جُدَّة : بضم الجيم وتشديد الدال المهملة، وهاء.

وهى : مدينة على ساحل بحر القلزم (الأحمر) وهى أكبر مدنه، وهى فرضة مكة المكرمة وبينها يوم وليلة للسائرين على الأقدام في العصور الماضية، أما الآن فالمسافة نصف ساعة بالسيارة.

وقد سميت «جدة» بهذا الاسم نسبة إلى : جُدَّة بن حزام بن ريان بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة (بن عدنان) قاله أبو المنذر.

وقال أيضاً :

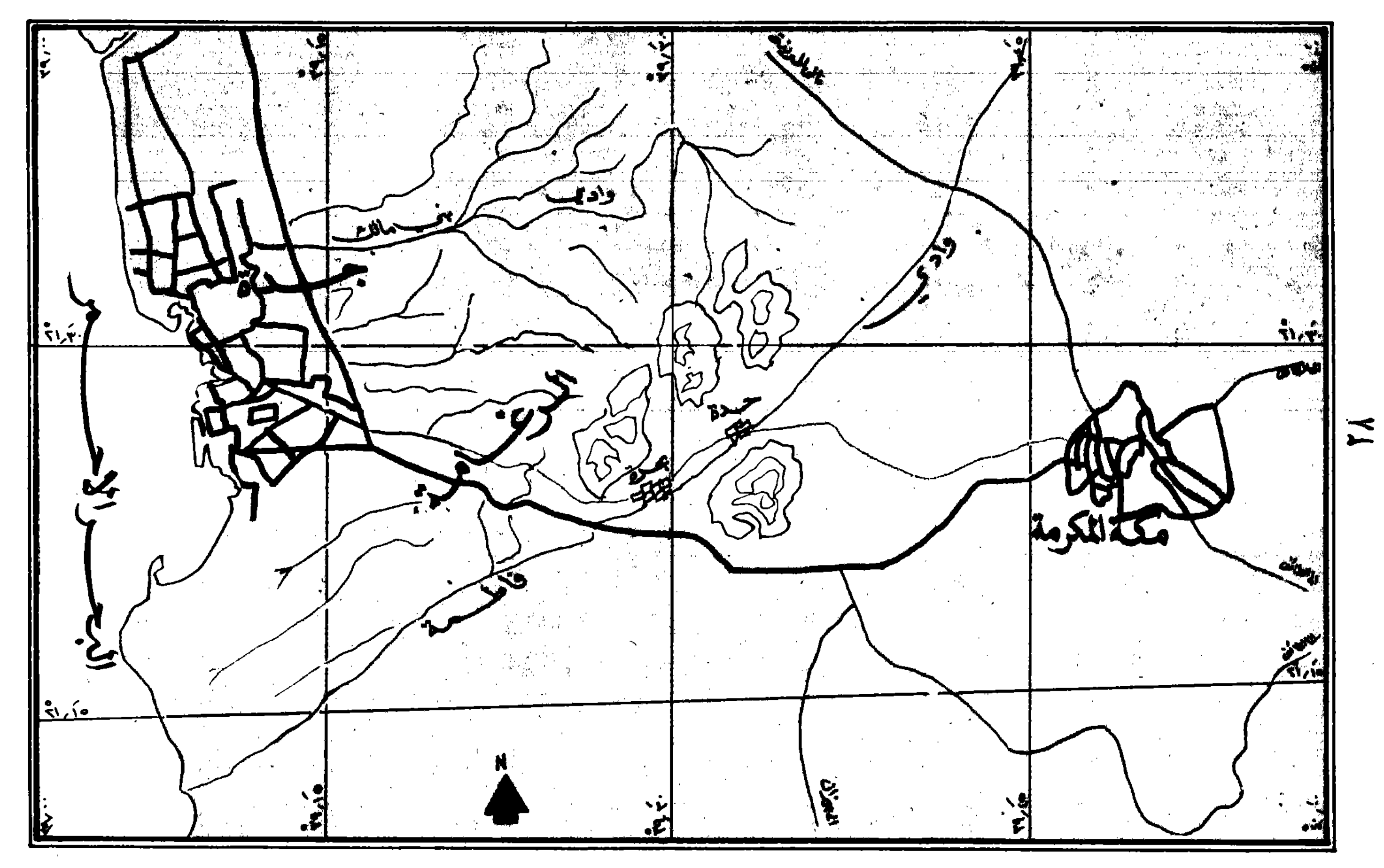
«ولما تفرقت الأمم عند تبلبل الألسن صار (يعنى جدة) لعمرو ابن معد ابن عدنان وهو قضاعة».

قال عاتق بن غيث البلادى: قال أبوزيد البلخى:

«بين جدة وعدن نحو شهر، وبينها وبين ساحل الجحفة خمس مراحل وينسب إلى جدة جماعة منهم عبدالملك بن ابراهيم الجدى وعلي بن محمد بن علي بن الأزهرى أبو الحسن العليمى المقرى القطان، يعرف بالجدى، سمع أبا محمد بن أبى نصر وأبا الحسن أحمد بن محمد العتيقى وأبا بكر محمد بن عبدالرحمن القطان، وروى عنه عبدالله بن السمرقندى، المتوفى سنة ٤٦٨هـ [١].

---

(١) معجم معالم الحجاز ج٢/ ١٣٣، ١٣٤.


جدة
حدة
مكة المكرمة
N



وفي مجلة (العرب ورد في ص ١٩٥ج ٣ س٢) قيل بناها يزدجرد ابن برويز بن يزدجر بن شهريار بن بهرام».

وأول من اتخذ جدة ميناء: الخليفة عثمان، وفي القرن العاشر الهجرى بنى عليها سور. أنظر الخريطة رقم (٢٩، ٣٠) والصورة.

الموقع :

تقع جدة في غرب المملكة العربية السعودية ــ والجزيرة العربية وهى أكبر مدن البحر الأحمر وأكثرها تقدما وعمرانا.

وهى في تقاطع خطى الطول: (٣٩/٢١°) شرقاً، والعرض (٢١/٣٠°) شمالاً.

أقرب المدن إليها :

مكة المكرمة أقرب المدن إلى جدة وتبعد عنها بـ(٧٢) كيلا.

الرَّغَــامَة :

قال البلادى: هى تلك الأرض الرملية التي تدعها يمينك وأنت تخرج من جدة إلى مكة يسيل فيها من الشرق وادى غليل[1].

قلت : وتبعد عن الميناء البحرى الإسلامي بـ(١٥) كيلا، انظر الخريطة رقم (٢٨).

فيها مصنع الجفالي (للمرسيدس) وفي غربها يقع مثلث الطريق السريع من مطار جده الدولى وميناء جده الإسلامي إلى مكة المكرمة.

---

(١) معجم معالم الحجاز ٤ : ٦١.

عسكر فيها الملك عبدالعزيز لحصار جدة، في يوم السبت السابع من شهر جمادى الآخر من سنة ١٣٤٣هـ، إلى صباح يوم الخميس الثامن من شهر جمادى الآخر من سنة ١٣٤٤هـ.

المنـــــاخ :

مناخ رطب وقت الصيف، وتبلغ درجات الحرارة مابين (٣٨ ـــ ٤٤) درجة مئوية، أما في فصل الشتاء فهو دافيء، وتكون درجات البرودة مابين (١٨ ـــ ٢٤).

الارتفاع :

ترتفع الرغامة عن سطح البحر بـ(٢٨) مترا.

الأمطـــار :

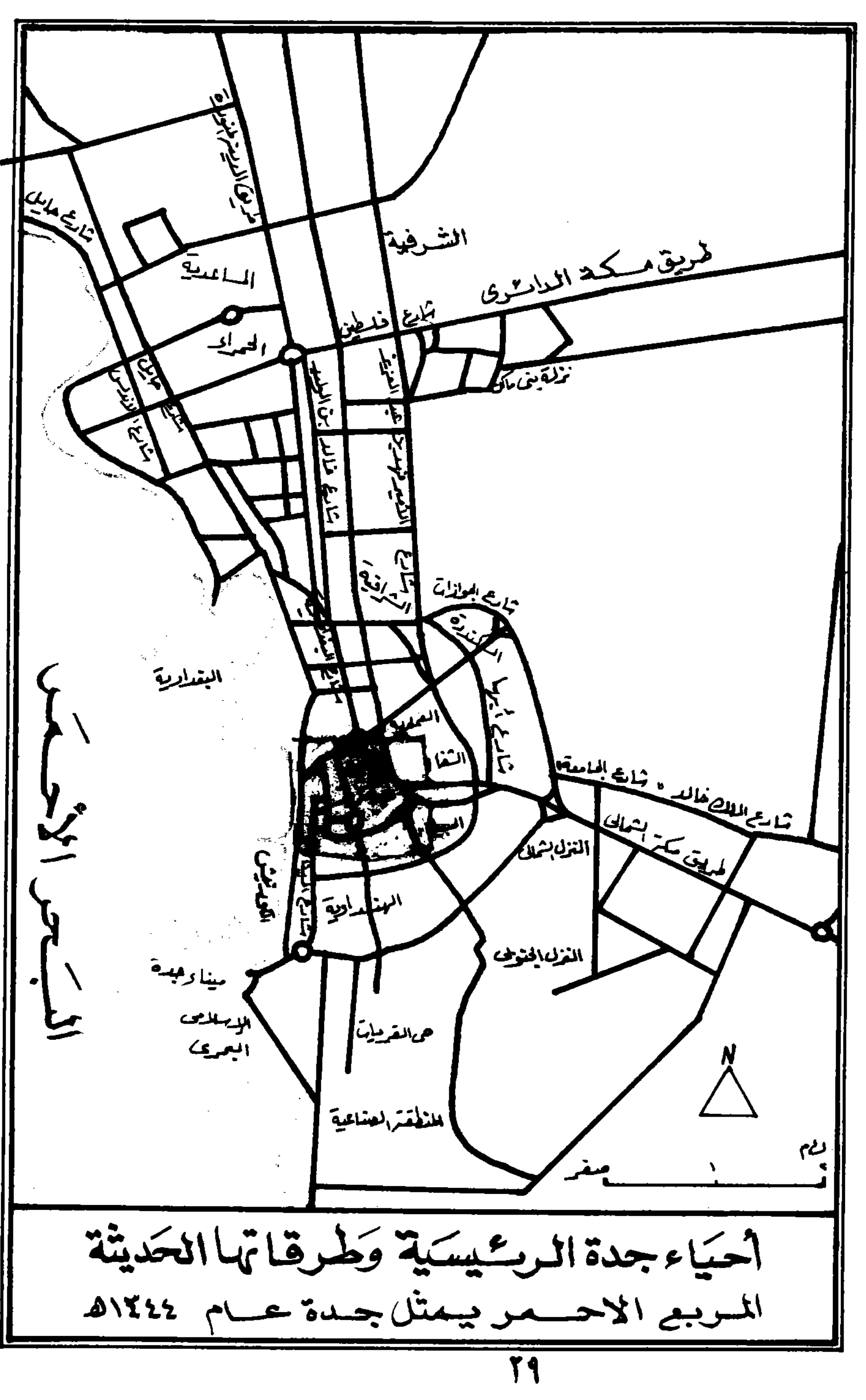
يبلغ المتوسط السنوى لهطول الأمطار في منطقة جدة (٦٣٫٨) مم.

تضاريس الرغامـــة :

أرض منبسطة تأخذ في الانحدار من الناحية الغربية والجنوبية الغربية ويقع في شمالها الشرقى جبل الحمراء ووادى عشير الذي يسيل فيها وفي شمالها بعض التلال الصغيرة التي لاتتجاوز ارتفاعاتها ٤٠ مترا.

الحـــــدود :

يحد الرغامة من الغرب مدينة جده ومن الشرق جبل الحمراء وقرية أم السلم ومن جنوبها جبل الطويلة ومن الشمال حى الرغامة فوادى عشير.



أحياء جدة الرئيسية وطرقاتها الحديثة

المربع الاحمر يمثل جدة عام ١٣٤٤هـ



جدة في العهد السعودي

بعد أن استسلمت جدة لابن سعود، أصدر أمره بالاعلان في الجرائد المحلية والخارجية، يقول لأهل جدة الذين خرجوا منها عام الحصار، بأن عليهم العودة إلى منازلهم وأملاكهم واعْطَاهُم الأمان، ولهم ممارسة نشاطاتهم الاقتصادية وكل أعمالهم الحرة.

كما أعلن جلالة الملك عبدالعزيز بأن ميناء جدة سنة ١٣٤٤هـ سيستقبل حجاج بيت الله الحرام في يسر وأمان.

فحج المسلمون ذلك العام وكان بداية عهد جديد وحكم جديد وأخذت جدة تتقدم تدريجيا حتى أصبحت أكبر مدينة على البحر الأحمر فهى (عروس البحر الأحمر، واحدى قواعد المملكة الاقتصادية الكبرى.

أقامت بها الحكومة السعودية ميناء بحريا إسلامياً كبيراً، ومطاراً دوليا يستوعب الطائرات العالمية لاسيما شهور الحج من كل عام.

ثم توالت عطاءات الحكومة السعودية العادلة، فأمر الملك فيصل رحمه الله بتوسعة ميناء جدة الإسلامي فأصبح من أكبر الموانىء العالمية.

أمر الملك خالد رحمه الله، ببناء أكبر مطار في العالم في جدة، وتم بناءه وهو مطار الملك عبدالعزيز الدولي.

وقد أنشأت الحكومة السعودية في جدة مصفاة بترولية كبرى، وانْشِأَت مصانع الحديد والصلب والاسمنت، كما يوجد بها أول مصنع للتايد وأول مصنع للسجاد، وأول مصنع للسيارات في المملكة، وعدد كبير من المصانع.

كما تقدمت عمرانيا، ففيها ناطحات السحاب.

كما قامت وزارة الموصلات بفتح عدد من الطرق والجسور وهى من أحدث التصميمات في العالم وبها أطول جسر وهو من ميناء الملك فيصل الإسلامي إلى طريق (المدينة، جده مكة) السريع، وطوله ثلاثة عشر كيلا.

كما قامت أمانة مدينة جدة بانشاء الحدائق العامة العالمية و يكفى مدينة جدة فخراً، أنها الفائزة بالجائزة الذهبية لأجمل (مدينة في العالم) لعام ١٤٠٤هـ.

حصار واستسلام

جـدة

الموقف العام :

السلطان عبدالعزيز :

بعد أن تمت له السيطرة على مكة المكرمة (قبلة المسلمين)، وتم تطهيرها من براثين الدول الأجنبية، وأصبحت في ثوب عزة وكرامة، ورجعت لها هيبتها وحرمتها.

شرع السلطان عبدالعزيز يخطط في تأمين السبل المؤدية إلى مكة المكرمة برياً وبحرياً، واتخذ من الشهداء في مكة مقراً له، وأخذت الرسائل في مابينه وبين الملك علي بن الحسين أشواطاً واسعة، غير أنه لم يتم شيء من مطالب الطرفين.

بريطانيا :

أرادت بريطانيا أن تدخل في عملية مفاوضات بين الطرفين بواسطة القنصل البريطانى في جدة، ولكى يتم له الاجتماع بالسلطان عبدالعزيز قرر السلطان أن يكون اللقاء خارج مكة وخارج الحرم وفي قرية «حدة»، والتى تبعد عن مكة إلى الغرب بـ(ثلاثين) كيلا.

السلطان عبدالعزيز :

انتقل السلطان عبدالعزيز بمعسكره إلى «حدة» الواقعة في الشمال الغربى من مكة المكرمة، وفي جانب وادى فاطمة من جنوبه الشرقى أنظر الخريطة(٢٨).

سير المحادثات :

تم الاجتماع بين السلطان عبدالعزيز آل سعود، والقنصل البريطاني، وأخذ القنصل يتنقل فيما بين الطرفين لابلاغ كل منهما بوجهة نظر الآخر، ولكن دون جدوى، فلم تسفر المحادثات عن تقدم يذكر، وكان مطلب السلطان ابن سعود هو بنداً واحداً لاغير هو:

«أن ينتهي الأمر بخرُوج الأشراف و باستسلام «جدة» الكامل بدون قتال، حقنا للدماء وغير ذلك فلا يقبل».

وطالت الاجتماعات والمحادثات دون تحقيق شيء من ذلك.

السلطان عبدالعزيز :

عاد السلطان عبدالعزيز إلى «مكة»، وسلم قيادة القوات في «حدة» لأخيه محمد بن عبدالرحمن، ومكثت القوات في «حدة» أربعين يوماً.

كانت خلال تلك الفترة تأخذ تدريبات وتمرينات عسكرية يومية، وكان الأمير محمد يبعث كل يوم سرية من الفرسان، لاستطلاع جوانب وضواحي «جدة» واكتشاف تحركات قوات الشريف ومدى استعدادها للقتال.

اعلان الحصار:

بعد أن فشلت كل المحاولات السلمية التي بذلت لاقناع الشريف، أصدر السلطان عبدالعزيز أمراً لقواته، بالتحرك من قرية «حدة» إلى «الرَّغَامَة» الواقعة في شرق «جدة» وعلى بعد خمسة عشر كيلا منها. وأعلن ابن سعود الحصار على «جدة» حتى تستلم، وكان ذلك في يوم السبت الموافق للسابع من شهر جمادى الآخر سنة ١٣٤٣هـ.

الشريف :

علـم الشريف بتحرك ابن سعود من «حَدَّة» إلى «جُدَّة»، فأمر طائراته الحربية بشن غاراتها على القوات السعودية وضربها.

القوات السعودية :

تحـركـت الـقـوات الـسـعـودية ولما وصـلـت وادي «الشَّعَيْبَةَ» غرب بلدة «بَحْرَة»، غـارت طـائـرة من طائرات الشريف وقذفت بقنابلها على القوات الـسعودية، ولكن بفضل الله لم يصب أحد منهم بأذى، وكانت الطائرة تحمل أربع قـنـابـل، قذفت منها ثلاث وبقيت الرابعة لم تُقْذَف، وليقضي الله أمراً كـان مـفـعولا، فـقـد انفجرت القنبلة الرابعة في الطائرة، بعد أنْ أخبر الطيار بـالهاتف مقر قيادته في «جدة»، أنه تم ضرب العدو وتدميره، وقبل أن ينتهي مـن مـكـالمـتـه، هـوت طـائرته محترقة شمال خط سير القوات السعودية (بكيل واحـد) فـقـط، وقـد لـقـى طـيـارهـا ومـرافقاه وهما (الكاتب المراقب/ شاكر، والقائد الروسى/ تشاريكوف) حتفهم.

الشريف :

ظن الشريف أن القوات السعودية هى التي أسقطت طائرته، فازداد رعباً وضـيقاً، وازداد الطيارون القابعون في القاعدة خوفاً، حتى أنهم اذا كلفوا فيما بـعـد بالغارة على القوات السعودية، فتراهم يقذفون القنابل من بعد وعلى غير هدى، خوفاً من أن يلحقوا بمن سبقهم فكان ذلك نصراً للقوات السعودية.

السلطان عبدالعزيز :

أخـذت الـقـوات الـسـعـودية تواصل تقدمها، حتى نزلت في «الرَّغَامَة»،

وكـان ذلك في صباح اليوم الثاني، واتخذت القوات تحصيناتها كما هو موضح بالخريطة(٣٠)،

وبدأت المعارك اليومية وفرض الحصار الشديد على «جُدَّة».

الشريف :

كـان الشريف قد أمر من قبل قواته بانشاء حائطا من الأسلاك الشائكة والخنادق العسكرية، كما أمر بزرع الألغام داخل ذلك الحائط.

وأنشاء «مواقع محصنة» للمدافع داخل سور جده لقصف القوات المهاجمة وصدها عن الهجوم ـــ أنظر الخريطة رقم(٣٠).

قوات وامدادات للشريف :

تـوالـت عـلى الـشريـف «عـلي» الـنجدات بالمؤن والذخائر والأسلحة، المرسلة إليه من العقبة عن طريق البحر وكان والده قد بذل كل مايملك في شرائـهـا، كما قـام ابـنـه «عـبـدالله بـن الحـسين» بجمـع المتطوعين وتدريبهم وتـسليحهم وارسالهم إلى جدة، وأصبحت السنابيك تغدو وتروح بين «جُدّه» و«العَقَبَة» في جسر بحرى قوى مشحون.

ومـن امـدادات الحـسين لابـنـه «علي»، خمس طائرات حربية، وعشرون مصفحه.

السلطان عبدالعزيز :

أصـدر أمـره عـلى قـواتـه بتشديد الحصار على «جدة»، كما أمر بتكثيف الغارات اليومية.

وكان قد قسم جيشه إلى سرايا، كل سرية تقوم بالهجوم على أبواب «جُدّة»، وشواطئها ثم تعود إلى قاعدتها، وتقوم السرية التي تليها مثل ذلك في عملية متتابعة، ليرهب «علياً» ومن معه، ويرغمه على الاستسلام، وكان يريد أن يكون الاستسلام فورياً، خشية التدخل الخارجي.

لكنه لما رأى الأمر قد تحول إلى حرب استنزاف، طويلة المدى دون تحقيق الاستسلام على ماينبغي، وعلم أن البعض من سكان «جُدة» قاموا بالخروج منها إلى مدن السواحل المجاورة، وان بعض التجار في تلك المدن يمد الشريف تحت جنح الظلام، ويمد السكان ببعض المؤن أيضاً.

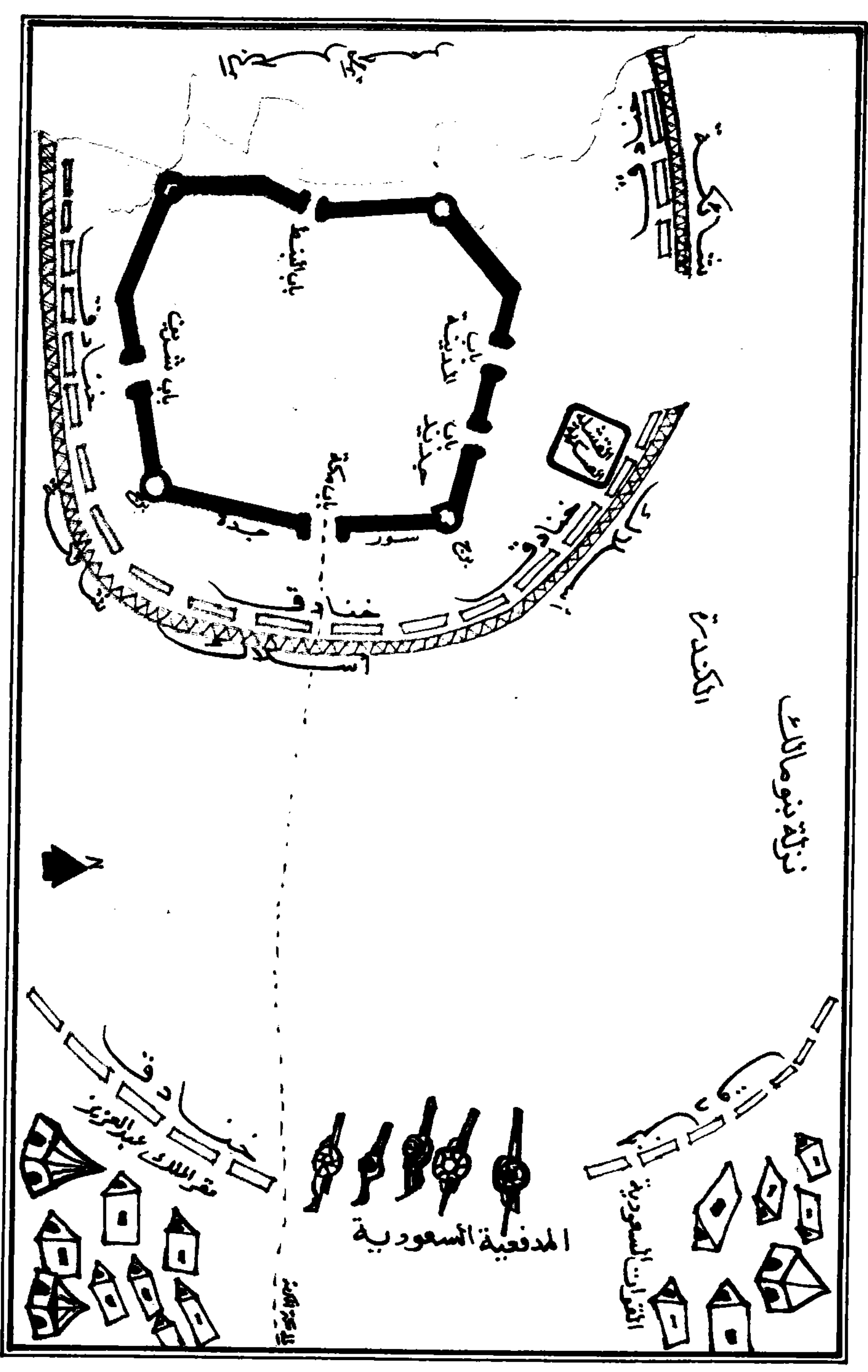
رأى أنه لابد من قطع ذلك تماماً عن «جدة» ومن فيها، كما أراد تمويل «مكة» بالأرزاق من تلك الموانيء، فقد توقفت عنها منذ بداية حصار«جدة»، وأوشك أن ينفد ما في «مكة».

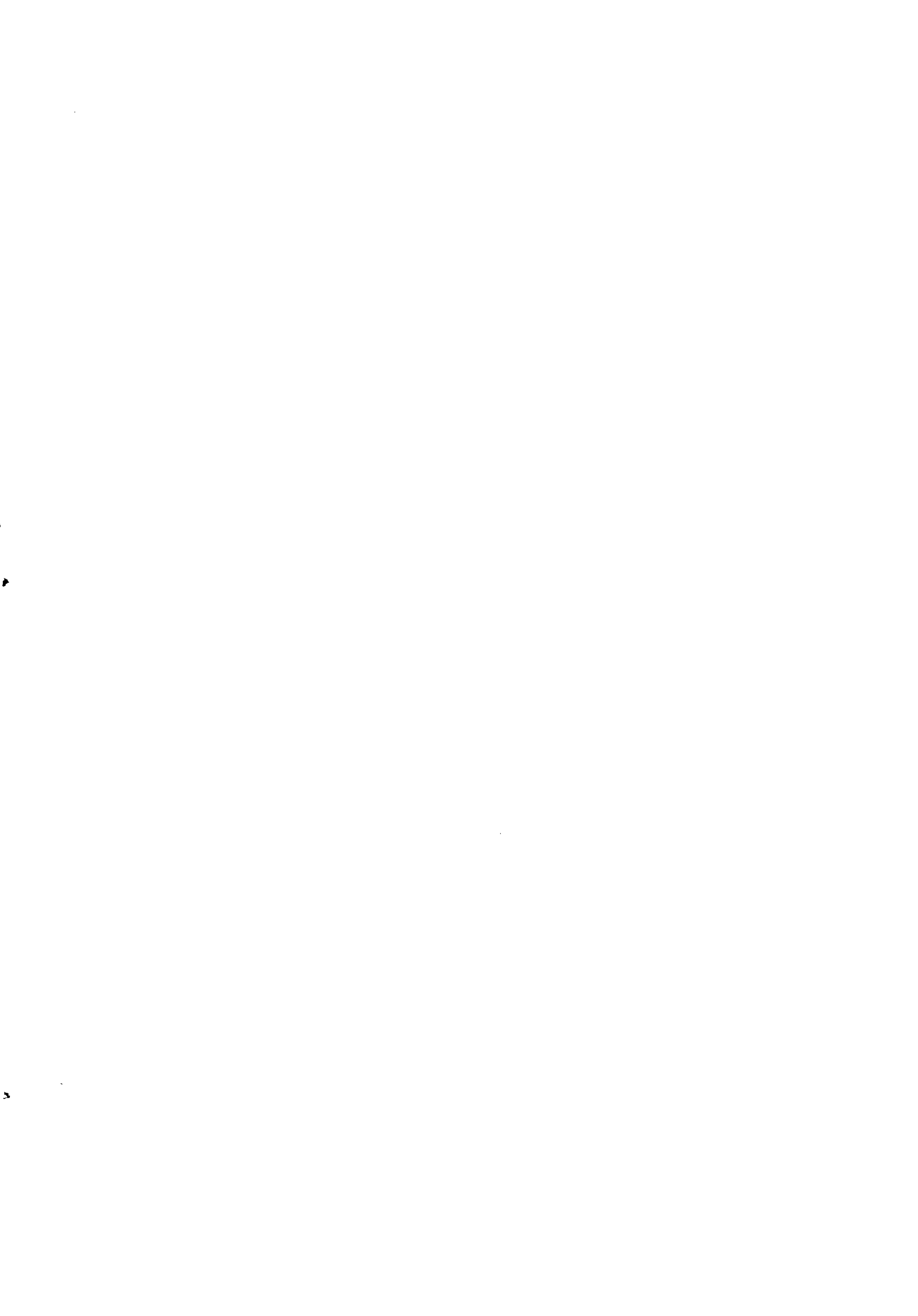
فتح المدن الساحلية :

سارع السلطان عبدالعزيز، وأمر بعض سراياه المقاتلة بالسير إلى المدن الساحلية واحتلالها وهي:

مدينة القُنْفِذة: وهى الميناء الثاني بعد «جدة»، ومدينة «تَثْلِيث» وتقع المدينتان جنوب «جدة» وأمر على السرايا بالمرابطة فيهما بصد أى قوة أجنبية، ومنع أى امداد منهما إلى «جدة»، كما بعث كتيبة مقاتلة إلى مدينتي «رَابَغ» و«يَنْبُع» في شمال «جُدّة» لاحتلالهما، والمرابطة فيهما لصد أى قوى أجنبية، ومنع أى امداد منهما إلى «جُدّة» وكذلك إلى «المدينة»، وأمر بتحويل البضائع والمواد الغذائية التجارية إلى مكة.

وبعد أن تم ذلك واستسلمت المدن الأربع بدون أى مقاومة، وقدمت البيعة لابن سعود، ورأى منهم حسن النية أبقى بتلك المدن بعضاً من السرايا، والفصائل المقاتلة للحماية من التدخل الخارجي، وتأمين السبل للحجاج القادمين بحرا إلى بيت الله الحرام، وعادت باقى القوات إليه في «الرّغَامَة» للقيام بما هو أكبر من ذلك، كما قام التجار بممارسة تجارتهم، وتأمين أهل «مكة» باحتياجاتهم وكل ذلك في يسر وأمان.


نزلة بنو مالك
الكندرة
القوات السعودية
المدفعية السعودية
مقر الملك عبدالعزيز
خنادق
خنادق
خنادق
باب المدينة
باب جديد
برج
سور
باب مكة
باب البنط
باب شريف
جدة
برج



أكبر معارك جدة

الأسباب :

١ ــ فرض ابن سعود الحصار على جدة ومن فيها حتى يستسلموا له.

٢ ــ الشريف علي، يريد صد تلك القوات المحاصرة وفك الحصار عن «جدة».

الموقف العام :

فرض ابن سعود الحصار على جدة في ١٣٤٣/٦/٢٧هـ، وأخذت قواته تهاجم أسوار «جدة» كل يوم، كما ازدادت أعدادها وأخذت تقوى شوكتهم، ورأى أهل «جدة» ان ابن سعود سيدخل بقواته عليهم في دورهم.

الشريف :

كان الشريف خلال تلك الفترة، قد تزود بالسلاح والعتاد الحربى من أخيه عبدالله في الشام، ومن أبيه «بالعقبة»، وكان من ضمن ماتزود به المصفحات البريطانية والألمانية.

سير المعركة :

في الساعة الرابعة من ضحى يوم السبت الثامن عشر من شهر شعبان سنة ١٣٤٣هـ، خرجت قوات الشريف من باب جديد إلى الكندرة، ــ أنظر الخريطة رقم (٣٠) وكانت قد أعدت مخططاً كبيراً من بنوده:

١ ــ ضرب الخطوط الأمامية للقوات السعودية في موقعي نزلة «بنى مالك» و«الرويس».

٢ ــ الغارات على القيادة السعودية في «الرغامة» والاستيلاء عليها.
٣ ــ التقدم من «الرغامة» إلى «مكة» واحتلالها.
٤ ــ وآخر نقطة في مخططهم هو احتلال «الطائف» والذي لن تقف قواتهم حتى تحتلها.

هكذا كان أمر العمليات، وكان ضُبَّاط قوات الشريف، حينما أرادوا الخروج من سور «جدة» يرددون أقوالهم: سَنُعَيِّد رمضان في «مكة» وسندعوكم لزياراتنا في «الطائف» ومشاركتنا أفراحنا.

وبعد أن خرجت قوات الشريف، من سور «جدة»، أخذت مدافع الحامية المتمركزة داخل السور تقصف بنيرانها مراكز القوات السعودية في نزلة «بنى مالك»، و«الرويس» وهى عملية عسكرية لايعرفها إلا العسكريين تسمى «الغِطَاء» ــ وهو غطاء بكثافة النيران ــ لحماية القوات في حالتى الهجوم والانسحاب، وذلك لصرف وجهة العدو ونيرانه عن قواتها.

وبعد خروج المصفحات غارت ثلاث منها، على مواقع القوات السعودية في وادى «بنى مالك» ومعها خمسمائة مقاتل، ومائة من الخيالة النظاميين، وغارت اثنتان على القوات السعودية في «الرويس»، ومعها ثلاثمائة مقاتل ومائة من الخيالة.

وتقدمت قوة خلفية مكونة من مائتي جندى نظامى، ومائة من الخيالة وعشرين «جملاً» تحمل بعض المدافع والرشاشات والمؤن.

اشتبكت القوتان في وادى «بنى مالك» واللتان تمثلان ميمنة القوات السعودية مع ميسرة قوات الشريف، في الشمال الشرقي من مدينة «جدة».

وبعد أن تم الاشتباك دارت معركة شرسة تقهقرت قوات الشريف من

المشاة، واشتبك السعوديون مع مصفحات قوات الشريف في أقوى معركة، وتم خلالها تعطيل واحدة من المصفحات، وحينما اختلت صفوف قوات الشريف، تقدم السعوديون في محاولة لتطويق جيش الشريف، الأمر الذي جعل المصفحات تنسحب لصد القوات السعودية، ومنعها من التقدم فأدى ذلك إلى اشتباك القوتين مرة ثانية، في أشد قتال لم يسبق له مثيل، وظلت القوات السعودية تعارك المصفحات، حتى مزقت جوانبها وأصابت اثنين من سائقها وهم من الجنود السوفيتيين.

عند ذلك تقدمت قوة ضاربة من السعوديين في «الرغامة»، فوصلت إلى موقع المعركة في وادى «بنى مالك» بعد نصف ساعة من قيام المعركة فخاضوا المعركة الفاصلة التي دامت أربع ساعات وأسفرت عن خسائر فادحة.

الخسائر :

القوات السعودية :

سبعة عشرة قتيلا وأكثر من خمسين جريحاً.

قوات الشريف :

ثلاثمائة وسبعة وعشرون قتيلا، وأكثر من سبعين جريحاً، وقد غنمت القوات السعودية سلاح القتلى الـ(٣٢٧) وزيادة ثلاثة رشاشات ومدفع صغير.

مابعد المعركة :

توقفت الهجمات من الجانبين احتراما لشهر رمضان وسكتت مدافع قوات الشريف، التي كانت تطلق نيرانها على المدافع السعودية ليل نهار.

الحصار يطول :

طال الحصار ودخلت أشهر الحج دون الوصول إلى حل سلمي بموجبه ينتهي حصار «جدة» و يتم تسليمها، ورغبة من ابن سعود في قيام المسلمين بأداء مناسك الحج لذلك العام ١٣٤٣هـ أمر باعلانه.

السلطان عبدالعزيز يعلن الحج :

في اليوم الثاني عشر من شهر شوال من سنة ١٣٤٣هـ أعلن السلطان عبدالعزيز في بيان له نشرته جريدة «أم القرى» التي تصدر في «مكة المكرمة» يوم اذن، كما نشر في الصحف المصرية ومفاده:

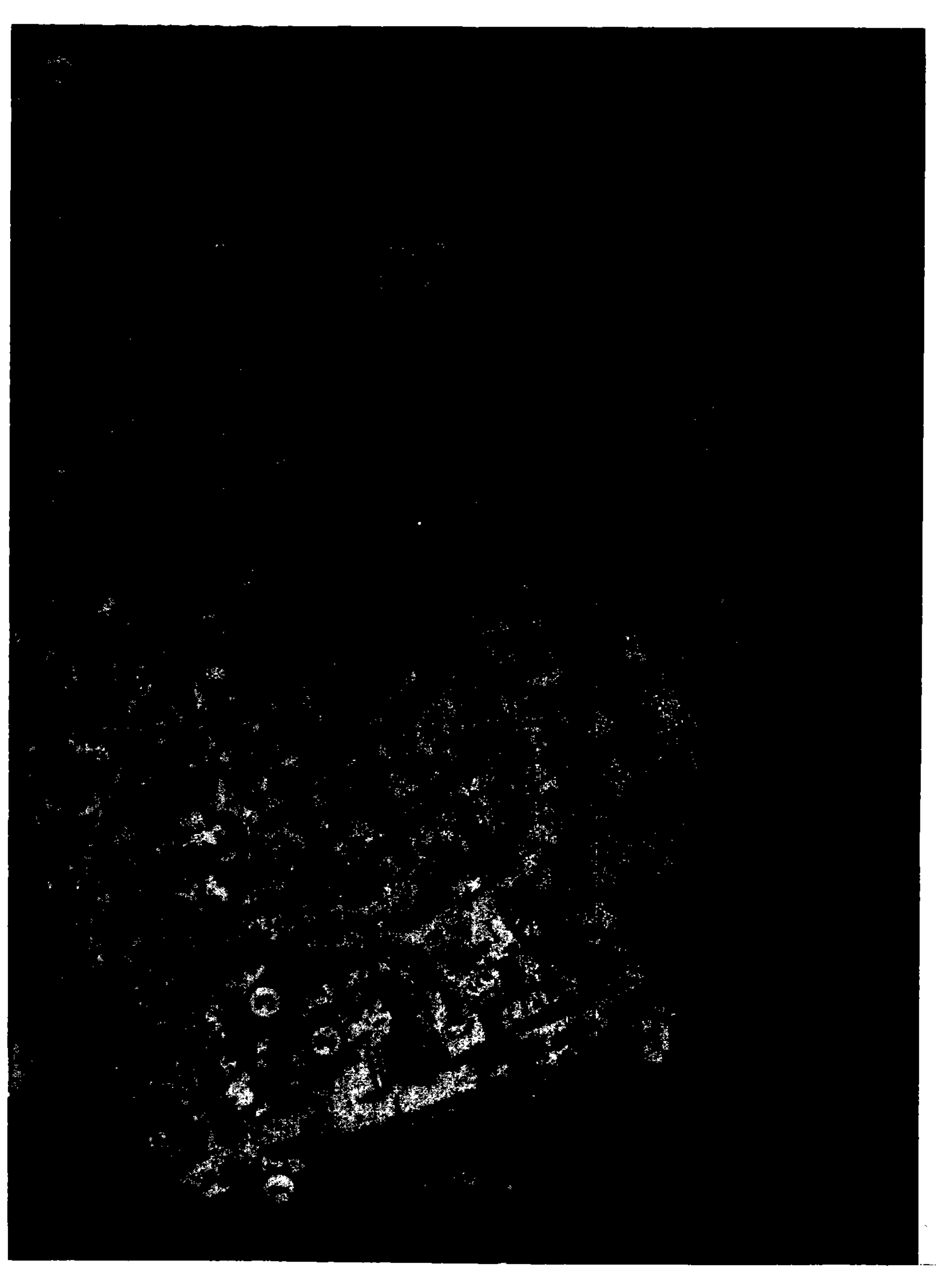
«أنه تم استتباب الأمن في الطرق المؤدية إلى «مكة» من الموانى الساحلية التي تم لابن سعود السيطرة عليها هي: «ميناء ينبع»، و«ميناء القنفذة» وهما ميناءان كبيران يمثلان ميناء «جدة» حينئذ، فمن رغب في الحج من المسلمين، من خارج البلاد، فإن له ذلك في يسر وأمان».

فوصل عن طريق الموانىء المذكورة مايقرب من خمسة آلاف حاج، أدوا مناسكهم، وعادوا سالمين آمنين.

كما حج أعداد من سكان نجد، وقبائل تهامة، وقبائل السروات ذلك العام ١٣٤٣هـ.

فتح المدينة :

لقد جعلنا فتح المدينة مادة مستقلة عن «جدة» وان كان فتح «المدينة» من خلال حصار «جدة»، انظره في صفحة (٣٤٥).



هذه صورة جوية لمدينة جدة رقم(١) يدل على باب المدينة ورقم(٢) القنصلية هولندا ورقم(٣) فندق قصر الضيافة. ورقم(٤) السفارة البريطانية. ورقم(٥) الكنداسة لتحلية ماء البحر. ورقم(٦) سوق قديم في جدة وكان يعرف بسوق الجبيل وهذه الصورة أخذت من الجو سنة ١٩٤٧م.

القوات والحج :

دخلت أشهر الحج فرأى السلطان عبدالعزيز وجوب سحب القوات السعودية المحاصَرة لـ«جدة»، لأداء فريضة الحج فأمر بذلك كما تم انسحاب القوات، وتم لها أداء الحج.

السلطان عبدالعزيز وقناصل الدول :

دعا السلطان عبدالعزيز قناصل الدول الإسلامية في «جدة» لأداء فريضة الحج، وقد تم ذلك لكل من معتمد حكومة السوفيت عبدالكريم حكمين، ونائب قنصل هولندا، ورادين براوير، ووكيل قنصل ايران أحمد أفندى، وهؤلاء الثلاثة قاموا بمشاورة السلطان عبدالعزيز في قبول الصلح قائلين:

«اننا نتكلم مع عظمتكم في مسألة الاصلاح بصفتنا الشخصية، دون حكوماتنا، ونحن كشرقيين يهمنا الاصلاح والاتفاق» فرد عليهم قائلاً:

«كأن القوم لم يدركوا حتى اليوم غاياتنا ومرامنا، فما زال الشريف «علي» في «جدة» فلا سبيل إلى الصلح، أما اذا أخلاها وترك المسألة للعالم الإسلامي فنحن نقبل بما يقرره بشأن الحجاز».

فطلب القناصلة الثلاثة من عظمته أن يأذن لوزير الخارجية «فؤاد الخطيب» ويسمح له بالمثول بين يديه، ويبحث المسألة للوصول إلى حل يرضى الجميع فقال عظمته:

«أرحب بمن أراد القدوم علينا سواء كان فؤاد أو غيره».[(١)]

---

(١) بالإضافة إلى ماروواه الشيخ (عياد) الذي كان ضمن القوات في الرغامة اقول: انظر إلى كتاب نجد وملحقاته لأمين الريحاني وشبه الجزيرة للزركلي وتذكرة اولي النهى والعرفان.

الخطـــــيب :

عـاد القناصلة إلى «جدة» و بعثوا فؤاداً إلى ابن سعود، وتمت له المقابلة وأخـذ فـي طـرح أراءه لابن سعود، وكلما أتى بقول رده السلطان إليه، وكان آخر ما قاله لفؤاد الخطيب بشأن «علي ابن الحسين».

«يـاخطيب يكفي أن «علياً» ولداً للحسين وأخاً للرجلين، [يعنى عبدالله وفيصل]».

ثم قال: «يا الخطيب قال: نعم قال: بما أنك وزير للخارجية هل اطلعت علـى المعاهدة التي بين الحسين والحكومة الانجليزية؟ فأجاب الخطيب بقوله: لا. فـقـال الـسـلـطـان: اذ من الذي يجيبنا بعدك عن هذا فقال الخطيب: أنا وزيـر للامضاء لا للفعل». وكان السلطان عبدالعزيز، قد وجد الاتفاقية في قصر الشريف بمكة، ضمن أوراق الديوان الهاشمى.

و بـعـد أن خـابـت مـساعي الخطيب عاد إلى «جدة» راكبا بغلته حاملاً مظلته وقد امتلأت من صلابة رأى السلطان عبدالعزيز وهيبته وسمو خلقه.

جـاء الـقناصلة إلى الخطيب يسألونه وهو يجيب بالخيبة و يقول: «لاسبيل إلـى بـقاء الحكومة الحجازية «الهاشمية»، ويجب التخلص من الملك «علي» وقطع الصلة بالأشراف».

قوات الطرفين :

الشريف :

ألـف وتسعمائة ضابط وضابط صف وجندي نظاميين وثلاثمائة من أهل «جدة».

١ ــ أنواع الاسلحة وكمياتها: (١٤) طائرة (خمس» ايطالية و«تسع» بريطانية، وكان الطيارون من الحزب العنصرى «الروسي»، في بداية حصار «جدة» وبعد أن سقطت احدى الطائرات، خاف الطيارون، فرفضوا الطيران بها.

فأبدلهم الشريف بطيارين ألمَان، لكن الأخيرين أخوف وأسوأ من السابقين.

٢ ــ حشد مصفحتان «خمس» قديمة و«اثنتان» جديدتان، مجهزات بمدافع رشاشة.

٣ ــ وثلاث دبابات ألمانية.

٤ ــ عشرون مدفعاً أرضياً محمولة، منها الجبلية ومنها الصحراوية، وكانت لها قنابل مضيئة لكشف العدو.

٥ ــ ثلاثون رشاشاً.

هذه القوات داخل الخط الشائك المعمول حول «جدة» بشكل دائرى انظر طوله سبعة أكيال الرسم والخريطة (٣٠).

٦ ــ ألف ومائة بندقية ذات ال(عشر طلقات) المانية الصنع، مع حوالي «مائتي» صندوق من الجنبخان ــ وهى الذخيرة ــ وله ثلاث نقاط من البادية.

الأولى : في «النزلة اليمانية» بها «مائة فرد».

والثانية: «نزلــة بن مالك» وبها «مائة» أيضاً.

والثالثة: «الرويس» وبها أيضاً «مائة».

السلطان عبدالعزيز :

اثنا عشر ألف مقاتل عدىٰ السرايا المرابطة في «ينبع» و«القنفذة» وقوامها «ألف وثمانمائة» مقاتل، وعدىٰ قوات الفتح بالمدينة المنورة والبالغة «سبعة آلاف».

السلاح :

١ ــ عشرون مدفعاً ــ أرضيا محمولاً ــ جبلى وصحراوى.

٢ ــ سبعون رشاشاً.

٣ ــ ثلاثة آلاف بندقية ذات الـ(عشر طلقات).

٤ ــ أكثر من ثلاثمائة صندوق ذخيرة منوعة.

وكل هذه الأسلحة والذخائر غنمتها القوات من قشلة «الطائف» يوم فتح «الطائف»، وقلعة «جياد» في مكة بعد فتح مكة.

٥ ــ السيوف والرماح، هذه أسلحة قوات ابن سعود.

وكانت قوات الشريف مقسمة على «ستة» مراكز حول «جدة»، وكانت القيادة العامة في القشلة العسكرية وهذه المراكز هي:

أبوبصيلة الجناح الأيسر، والشرفية، والكندرة، والمشاط، والعقم، والطابية اليمانية، الجناح الأيمن ــ أنظر الخريطة رقم (٣٠).

وكان توزيع القوات السعودية كالتالي:

الجنـاح الايسر و يـقـابـل جـنـاح الـعدو الأيمن، و يقع بالجنوب، والجناح الأيمـن و يـقـابل الجناح الأيسر لقوات العدو و يقع في الشمال، وخط الوسط و يـشـكـل رأس السهم، وهو المشاة والمدفعية الثقيلة، والقيادة العامة وتقع إلى الخلف في «الرَّغَامَة».

المدينة المنورة

هى: العاصمة الإسلامية الأولى، ومنها شع النور الإسلامي، وانتشر حتى بلغ أرجاء المعمورة في يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول من العام الأول من الهجرة، الموافق ٢٠ سبتمبر من سنة ٦٢٢م، قاد لواءه الأول ـ الأمين وخاتم النبيين، وإمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين نبينا «محمد»(صلى الله عليه وسلم).

كان اسمها في الجاهلية «يثرب»، وقد ورد في القرآن مصرحا بهذا اللفظ في أكثر من موضع، وفي كتب السنة والسير والتاريخ في مواضع متعدده ليس هذا موضع ذكرها، «وأذكر اخواني من المسلمين أنه لايجوز لهم أن يقولوا لها بعد الإسلام «يثرب» لأن هذا اسمها في العصر الجاهلي».

والمدينة غنية عن التعريف انما نوضح جوانب مما يهم بحثنا لاسيما في أعوام فتحها في العهد السعودى الزاهر.

الموقع :

تقع المدينة في غرب الجزيرة العربية بصفة عامة، وهي ثالث مدن الحجاز من ناحية السكان بعد «مكة» «وجدة».

وهى ثانى مدينة مقدسة في الدنيا بعد «مكة» حيث بها مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو ثانى الحرمين الشريفين، وبها قبره وقبور عدد من أصحابه وآل بيته الطاهرين.

والمدينة كما هو معروف أنها أسست في العصور الجاهلية، انما الحديث فيها هو بناء المساجد الإسلامية وأولها مسجد قباء وهو أول مسجد بنى على

وجه الأرض[1] ثم مسجده (صلى الله عليه وسلم) ومسجد ذو القبلتين، فقد كان محرابه باتجاه الأقصى، ثم تحول بعد أمر الله لرسول كما في قوله تعالى:

(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّمَاء فَلَنُولِيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا)[2] يعنى إلى مكة وهي أحب بلاد الله إلى نفس النبى (صلى الله عليه وسلم).

ثم توالت الدول على المدينة من عصر الصحابة، إلى عصر بني أميّة، ثم إلى عصر بني العباس، ثم إلى عصر العثمانين، ثم الشريف، ثم العهد السعودى.

وكل دولة تحاول أن تحدث في المدينة شيء يَذْكُرهَا بِه التاريخ، فما من الحكام إلا أمر بتوسيع مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومنهم من بنى على المدينة سوراً، يحيطها ويمنعها من الأعداء.

وأول من بنا سور المدينة هو أمير المدينة (اسحاق بن محمد) سنة ٢٦٣هـ الموافق ٨٧٦م، وقد بناه من الطوب واللبن ــ الطين ــ وهو أول سور يقام فيها منذ تأسيسها.

ثم هدم السور المقام من اللبن وبنى بالحجارة سنة ٣٦٧هـ، وكان الذي بناه «عضد الدولة بن بويه».

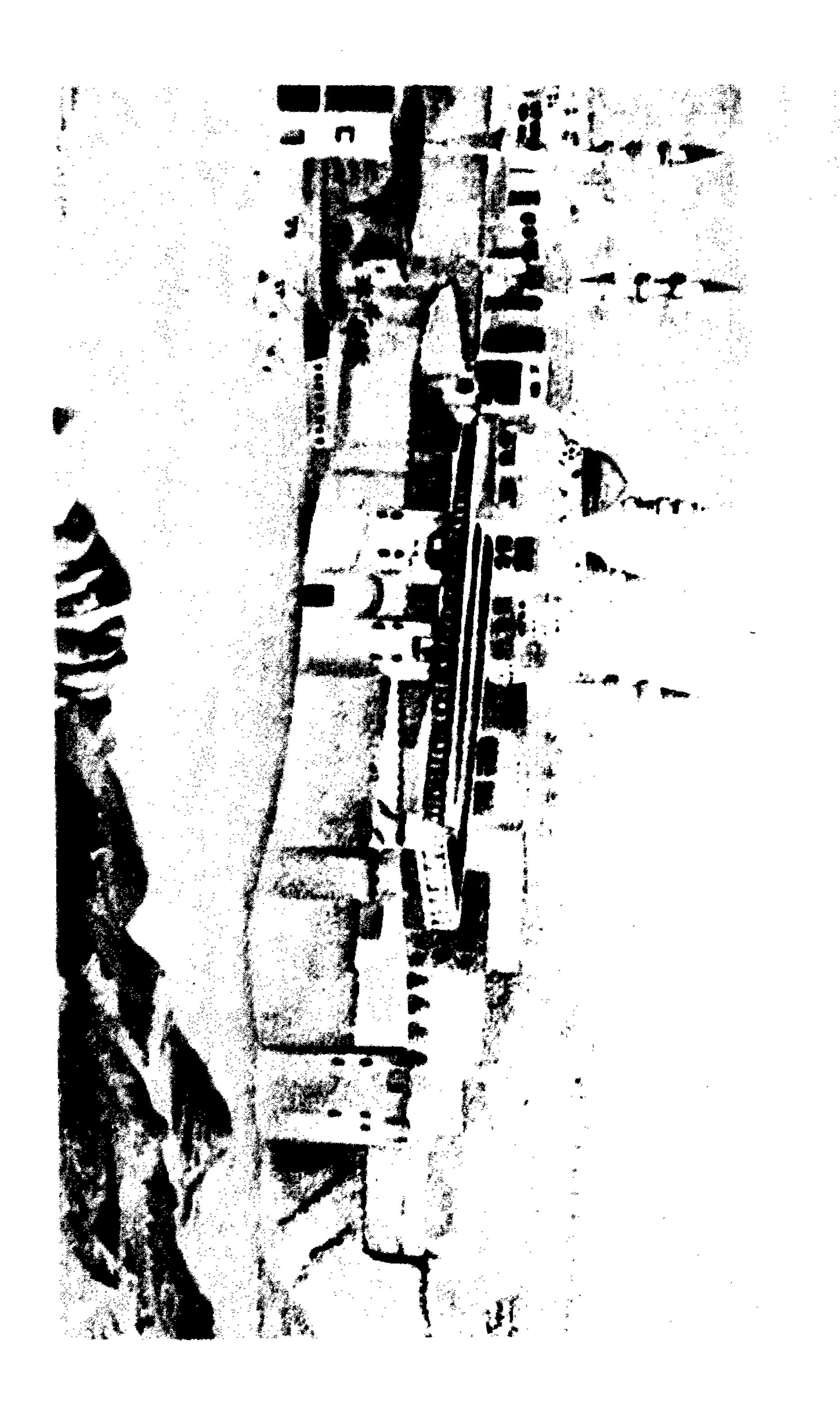
كان السبب الداعي إلى تجديده وجعله من الحجاره حتى يكون أقوى، في وجه الدولة الفاطمية في مصر، التي فكرت في الاستيلاء على المدينة، وقد جعل له أربعة أبواب:

١ ــ باب البقيع في السور الشرقي.

---

(١) انظر اثار المدينة ص ٨٠ لعبد القدوس الأنصاري.

(٢) الآية : ١٤٤ من سورة البقرة.



آلاف» داخل السور، و«ثمانية ألف» خارجه، وبها من القوات التركية أكثر من «أربعمائة» جندى.

وفي سنة ١٣٣٤هـ قامت الحرب العالمية الأولى، فكان للمدينه من تلك الحرب نصيب، ومما سببته تلك الحرب لـ(المدينه)

١ ـ ايقاف الخط الحديدى وتدميره.

٢ ـ استغل «الشريف حسين بن علي» ذلك فقام هو الآخر بثورة ضد الأتراك في المدينة.

٣ ـ كان لتلك الثورات أسباب تدميرية.

أ ـ جلاء السكان عن المدينة، وقد بلغ عدد الذين خرجوا منها «احدا عشر» ألف نسمه، فلم يبق سوى «خمسة عشر» ألف نسمه.

ب ـ هدم الأتراك كل المبانى المحيطة بالحرم، وكان هدفهم من بنائها توفير وسائل الدفاع وتسهيل قيامهم بالحماية.

الأمر الذي كان له انعكاساته الحسنه خلال فترة الهجوم السعودى على المدينة سنة ١٣٤٤هـ.

المدينة في عهد الملك عبدالعزيز

كانت المدينة المنورة عندما سقطت في يد الملك عبدالعزيز آل سعود سنة ١٣٤٤هـ على النحو التالي:

(أ) المدينة القديمة ويحيط بها السور الأول، وكان له ثمانية أبواب.

١ ــ باب «البقيع» و يقع وفي ناحية السور الشرقية.

٢ ــ باب «الغمامة» و يقع في جنوب السور.

٣ ــ باب «المجيدى» و يقع في الشمال الشرقى.

٤ ــ باب «البصرة» و يقع في شمال السور.

٥ ــ باب «الشام» و يقع في غرب السور، و ينتهى في جانب القلعة الشمالى.

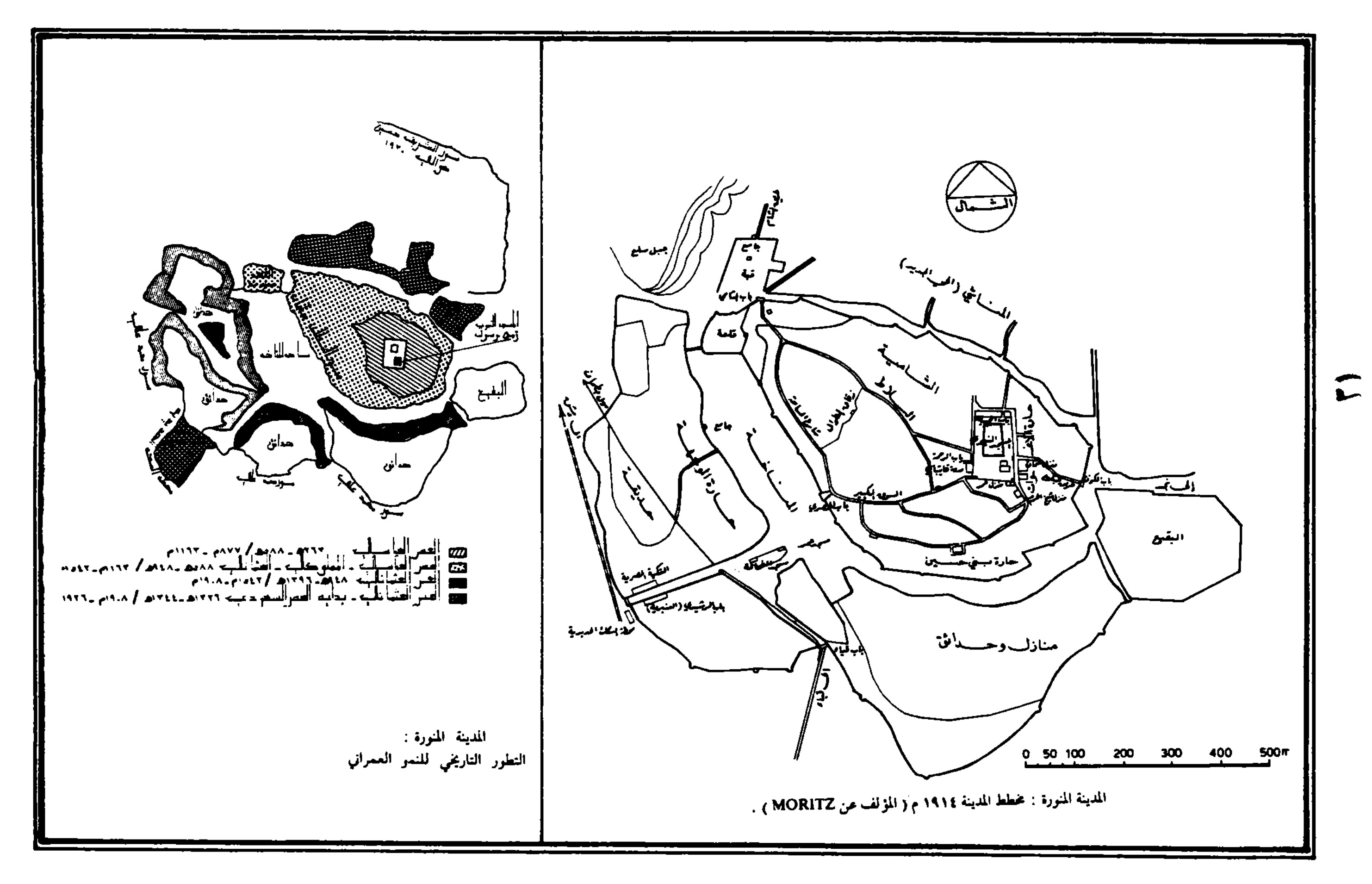
٦ ــ الباب «الصغير» و يقع في الغرب أيضاً، و ينتهى في جنوب القلعة.

٧ ــ باب «مصر» و يقع في الغرب.

٨ ــ باب «الشموته» و يقع في الجنوب الغربي.

انظر الخريطة رقم (٣١).

ب ــ المدينة الحديثه الكبرى، وتحيط مبانيها بالسور القديم من الخارج، ويحيط بها السور الثاني الذي بناه نور الدين بن زنكى سنة ٥٥٨هـ، ثم جدده السلطان سليمان سنة ٩٣٩هـ، وكان به ستة أبواب هي:



المدينة المنورة :
التطور التاريخي للنمو العمراني

المدينة المنورة : مخطط المدينة ١٩١٤ م (المؤلف عن MORITZ) .





١ ــ باب «البقيع» ويقع في ناحية السور الشرقية وفي البقيع من الشمال.

٢ ــ باب «العوالى» ويقع في ناحية السور الشرقية ويلى البقيع من الجنوب.

٣ ــ باب «قباء» ويقع في جنوب السور.

٤ ــ باب «العنبرية» ويقع في جنوب السور أيضاً ويلى محطة سكة الحديد من الناحية الشرقية.

٥ ــ باب «السيل» ويقع في غرب، وسمى باب السيل لأنه يخرج منه سيل وادى بطحان الذي ينحدر من واديى مهزور ومذينيب شرق المدينة المنورة ويسيل إلى وادى العقيق الكبير دخولاً من باب العنبرية وخروجاً من باب السيل ــ انظر الخريطة رقم (٣١).

٦ ــ باب «الكوفه» ويقع في الشمال الغربي من السور ويلى واجهة القلعة الغربية ــ ويكون في ركنها الجنوبى الغربى.

٧ ــ باب «الشام» ويقع في شمال القلعة، ويكون بالنسبة للمدينة في شمالها الغربي. انظر الخريطة.

ثم يلى المدينة من الشمال الشرقى سوراً حديثاً، بناه الشريف الحسين سنة ١٣٣٦هـ.

ويمتد من باب «المجيدي» إلى قلعة الآسلكى شمال المدينة، ووضع به بابين هما:

١ ــ باب «البصرة» وهو امتداد لباب البصرة القديم.

٢ ــ باب «المجيدي» امتداد للباب القديم أيضاً.

انظر الخريطة رقم (٣١).

قام الملك عبدالعزيز آل سعود منذ الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخر من سنة ١٣٤٤هـ، بتطهير المدينة المنورة عامة، والحرم النبوى خاصة، من الخرافات والبدع، وقضى على ما كان يفعله بعض الجهال، من الأمور الشركية عند القبر النبوى الشريف، وفي البقيع وقبور الشهداء في أحد.

كما أمر بتعيين عدد من العلماء الأجلاء لارشاد الناس إلى ما يجب عليهم، ونهيهم عما حرم عليهم.

وفي سنة ١٣٥١هـ أمر جلالته بشق وتوسعة الشوارع والأزقة المؤديه إلى الحرم بالنسبة للقادمين إلى المدينة والمقيمين بها.

وفي ١٢ شعبان من عام ١٣٦٨هـ وجه جلالته خطاباً إلى الأمة الإسلامية، أعلن فيه عزمه على توسعة المسجد النبوى الشريف وبعد نزع ملكية المنازل المجاورة للمسجد وهدمها، وضع حجر الأساس في ١٣ ربيع الأول من سنة ١٣٧٣هـ.

وافتتح بعد التوسعه في الخامس من شهر ربيع الأول من عام ١٣٧٥هـ، وكانت مساحته قبل التوسعه ٦٠٣٣٫٠٠ متر مربعا.

وأصبحت مساحته بعد التوسعه السعودية ١٦٣٢٦٫٠٠ مترا مربعا.

المناخ :

مناخ المدينة المنورة :

معتدل متوسط البروده شتاء، تبلغ درجات البرودة فيها من ٢٧° — ١٢° درجة مئوية فوق الصفر.

وفي فصل الصيف تكون درجات الحرارة مابين ٣٨ — ٤٠° مئوية.

الارتفاع :

ترتفع المدينة عن سطح البحر بـ(٦٧٠) مترا.

الأمطـــار :

بلغ المتوسط السنوى لهطول الامطار في المدينة بـ(١٦٣٫٣)مم في عام ١٤٠٤هـ.

حدودها :

يحدها من الشمال جبل «أحد» ومن الجنوب وادى «مذينيب»، فـ«الحرة» فجبل «عير»، ومن الشرق ــ العريض ــ، «وحرة واقم»، «العوالي» ومن الغرب «حرة الوبرة» فوادى «العقيق» الكبير.



المملكة العربية السعودية
ص. ب ٦١٨٩ الرياض ١١٤٤٢

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض المعذر ٤٨٢٤٩٨٣ / ٤٨٢٤٨٦٥